التّصغير في اللغة العربية

نظرة في: الدلالة والتحليل الصوتي

د. "محمد أمين" الروابدة
جامعة مؤتة/ كلّية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص

يتناول هذا البحث جانبين من جوانب التصغير، هما: الدلالة والتحليل الصوتي.

في الجانب الدلالي، يحاول استجلاء المعاني السياقية لصيغ التصغير من خلال: القرآن الكريم، وعيّنة من الشعر والنثر العربي القديمين، ويكشف أن التحقير الذي توسع في استعماله العلماء للدلالة على معنى التصغير، وورد كمعنى أساسي عندهم، لم يكن بالشيوع الذي ذهبوا إليه، وإنما ورد في سياقات لغوية معينة، قصد إليها الشاعر، أو الناثر قصداً.

ويبين البحث في جانبه الآخر، أنّ العوامل الصوتيّة لها أثر في تشكيل البنية الصوتية لأبنية التصغير، وأنّ كثيراً من التغييرات في أبنية التصغير يسهم في تحديدها التخلّص من الحركات غير المتجانسة، والمرفوضة لغويّا، وتكوّن مقطع صوتيّ مرفوض أيضاً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Abstract

A Semantic and phonological analysis of the diminutive "tasghir" form in Arabic is addressed in this paper. Evidence from the Holly Quran, Arabic prose and poetry is adduced to supply the context and meaning of the "diminutive ". The disparaging, pejorative meaning of the diminutive is found not to be as common as linguists originally purported; its meaning is contextually determined.

The morphological structure of the diminutive is influenced by the phonological factors of the language, for instance: the sequence of two long vowels is not permissible in the diminutive.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدخل: التصغير، لغة واصطلاحاً

لغة:

مصدر صغّرته تصغيراً: إذا قللته، وفلانة تُصغّر سِنّها، أي: تُنقصه وتُقلله. وصغّرته وأصغرته: جعلته صغيراً. وصَغَره يَصغُرُه صَغراً: كانت سنّه أقلّ من سِنّه. وصَغُرَ يَصغُر: قلّ حجمه، أو سِنّه، فهو صغير[1].

وجاء في القاموس المحيط أنّ الصِّغَر خلاف العِظم. وصَغَره وأصغَرَه: جعله صغيراً[2].

أمّا في الاصطلاح، فقيل: (المُصغّر ما زِيد فيه شيء حتى يدلّ على تقليل)[3] وكذا قيّده السهيلي، فقال: (التصغير عبارة عن تغيير الاسم ليدلّ على صِغَر المسمّى، وقلّة أجزائه)[4]. بينما أطلقه الجرجاني، فقال، بأنه: (تغيير صيغة الاسم لأجل تغيير المعنى، تحقيراً، أو تقليلاً، أو تقريباً، أو تكريماً، أو تعظيماً)[5].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا التغيير مخصوص يطرأ على بنية الاسم المعرب، بحيث يأتي على وزن خاص من أوزان التصغير الثلاثة: فعيل، وفعيعل، وفُعَيعيل.

وهو من الظواهر اللغوية المتعدّدة التي تحكمها أبنية مستقلّة، ذات دلالة خاصّة، تأتي ضمن تحوير في بناء الاسم القابل للتصغير، على جهة مخصوصة.

وهو نظام خاص تلعب فيه المُصوّتات الدور الأساس، فهي التي تمنحه هذه الخاصّية، وهذه الدلالة للتعبير عنها عند الحاجة.

---

(١) لسان العرب، مادّة: صغر. والمعجم الوسيط، مادّة: صغر.

(٢) القاموس المحيط، مادّة: صغر.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ١/١٩٠.

(٤) نتاج الفكر ص ٨٩.

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٣٢.

وكان إدخال المصوّتات في الأصل الاشتقاقي له قد اتّخذ طابعاً تمييزياً، كحال غيره من المشتقّات.

والتصغير يجمع بين وسيلتين من وسائل التعبير في اللغة، هما: اللصق، والصيغة، فهو يوجب زيادة ياء ساكنة في حشو الكلمة، كما يُغَيّر في أصواتها، بضمّ الأول، وفتح الثاني، وهو بهذا يكون مرتبطاً بالناحية الصوتيّة، أكثر من ارتباطه بالناحية الشكلية، وإن كانا مهمّين في تكوينه.

معنى التصغير:

حملت صيغة التصغير معاني متعددة[1] متضادّة – أحيانا –، لم تحملها صيغة صرفية أخرى، منها:

تقليل ذات الشيء، مثل: جُبَيل، في: جبل.

تقليل كمّيّته، مثل: دُرَيهمات في: دراهم.

تقريب الزمان، مثل: قُبَيل العصر في: قبل.

تقريب منزلته، مثل: صُدَيقي، في: صديقي. يقول ابن عصفور: (أخي وصُدَيقي، إنّما تريد تقريب منزلة أخيك، وصديقك في نفسك)[2].

إظهار الشفقة، مثل: ذلك عُجَيّز يستحقّ العون[3].

التمليح، كقول الشاعر[4]:

يا ما أُمَيلح غزلاناً شَدَنّ لنا من هؤليّاكنّ الضّال والسّمُر

---

(١) انظر هذه المعاني في الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/١٨٣،١٣٥،١٢٨،٢، وشرح ابن الحاجب١/١٩٨، والمقرّب٢/٨٠، وشرح المفصّل ٥/١١٤، ومغني اللبيب ١/١٣٥، والأشموني ٣/١٥٧، والهمع ٦/١٣ و٢٨، وشذا العرف في فنّ الصرف ص١٤٨، والنحو الوافي ٤/ ٥١٣.

(٢) المقرّب ٢/٨٠.

(٣) الموسوعة النحوية والصرفية الميسرة ص ١٨٧، وجعل الرضي التصغير المفيد للشفقة والتلطّف من مجاز تقليل الذات ١/١٩٠.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب ١/ ١٩٠.

الترحّم، مثل: مُسَيكين في: مسكين[١].

التعظيم والتحبّب، كقوله (صلّى الله عليه وسلّم) (أُصَيحابي أُصَيحابي)[٢] وقوله: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحُمَيراء)[٣] ويقصد السيدة عائشة، أمّ المؤمنين (رضي الله عنها).

الاختصار اللفظي، مثل: وُليد، فقد أغنت عن القول: ولد صغير[٤].

الذمّ، مثل: يا فُوَيسق، في: فاسق[٥].

ويرد معنيان آخران متضادان تماماً، من معاني التصغير، غير ما ذكر، وهما:

التحقير، والتعظيم، وربما يكونان من أكثر المعاني التي أفاض فيها العلماء،

١ - التحقير:

استعمل الخليل، وسيبويه، والمبرد، وابن جني، وابن السراج، والأنباري، وابن عصفور، وابن يعيش التحقير للدلالة على التصغير، ويبدو لي أن لفظة "التحقير" جاءت في مصنفات العلماء السابقين أكثر من ورود لفظة "التصغير" وذهب بعضهم أكثر من ذلك حين عنون مبحث التصغير بالتحقير.

يقول الخليل: (وتحقير الكلمة تصغيرها)[٦] واستعمل سيبويه لفظة التحقير للدلالة على التصغير مرات عديدة، منها قوله: (اعلم أن تحقير ذلك كتحقير ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته ألف التأنيث)[٧].

ويقول المبرد: (وتقول العرب في تحقير شفة: شفيهة)[٨].

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٧/٣.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٥١٣/٣ و ٢٥٧/٣ والإنصاف ١٣٨/١ والهمع ١٣/٦.

(٣) السابق نفسه ٥١٣/١ و ٢٥٧/٣.

(٤) الموسوعة النحوية الميسرة ص ١٨٧.

(٥) لسان العرب: مادة: صغر.

(٦) العين ٣/ ٤٣.

(٧) الكتاب ٢/ ١٠٧.

(٨) المقتضب ٢/ ٢٤١.

ولدى مقارنة ابن جني جمع التكسير بالتصغير قال: (إنّما صار هـذا التحقير يجري مجرى هذا الجمع)[١] وقال:(وإنّما حُمِل التحقير في هذا على التكسير)[٢].

واستعمله كمصطلح فقال في تصغير: كساء وقضاء (ألا تراك تقول في التحقير: كسي وقضي)[٣] وقوله: (سألت مرة أبا علي – رحمه الله – عن رد سيبويه كثيراً من أحكام التحقير إلى أحكام التكسير)[٤] وقال: (ألا ترى أن كل واحد من مثالي التحقير والتكسير عارضان للواحـد)[٥] أمـا ابـن السراج فسمى باب التصغير "باب التحقير"[٦].

وذهب ابن عصفور أبعد من ذلك حين جعل التحقير المعنى الأساسـي للتصغير فقال: (لا يتناول التصغير إلا حقيراً)[٧].

وإلى مثل ذلك ذهب الأنباري[٨]، وجعل ابن يعيش الأمر كذلك حـين ربط بين التصغير والتحقير، وجعلهما وكأنهما من المترادفات، فقال: (اعلم أنّ التصغير والتحقير واحد) وأضاف بعد أن قدم ثلاثة معـانٍ للتـصغير وهي: (تصغير ما يتوهم أنّه عظيم كقولك: رُجيل، وتقليل مـا يجـوز أن يتوهم أنّه كثير، كقولك: دُريهمات، وتقريب ما يجوز أن يتوهم أنّـه بعيـد

---

(١) المنصف في شرح تصريف المازني ٢/ ٨٨.
(٢) الخصائص ١/ ٣٥٣.
(٣) نفسه ١/ ٣٥٣.
(٤) نفسه ١/ ٣٥٤.
(٥) نفسه ٣/ ٢٦٨.
(٦) الأصول ٣/ ٣٦.
(٧) الجمل ٢/ ٢٩٠.
(٨) أسرار العربية ٣٦١.

كقولهم: "بُعيد العصر) ثم قال: (وجميع ما ذكروه راجع إلى معنى التحقير" قال: "وهو خلاف التكبير والتعظيم")[1].

وفي دراسة حديثة لمعاني التصغير في بعض اللغات السامية ذكر الباحث أنّ التحقير معنى أساسي للتصغير (فهو فيها كما هو الحال في العربية الشمالية، تحقير من شأن المُصَغّر تتفرع منه معان ثانوية هي في حقيقتها تمثل تضييقاً له) وبعد أن أورد معاني التصغير، وهي كما ذكر (تقليل من ذات الشيء، أو حجمه، أو كميته، أو عدده، أو سنه، أو هو تقريب للمكان، أو الزمان، أو هو تلميح، أو تلطف، أو ترحم) أعقب ذلك بقوله: (وفي النظر إلى تصغير المكان والزمان الذي يفيد التقريب كما قال سيبويه ونرى أن أصله التحقير أيضاً)، لا بل إنّ الباحث ذهب -أيضاً- أبعد من ذلك حين ذكر أنّ (معنى التدليل أو التمليح أو التلطف، هو متفرع عن معنى التحقير أيضاً) وانتهى إلى القول بأنّ "التصغير يحمل معنى واحداً أساسياً في اللغات السامية، وهو التحقير، وتتفرع عن هذا المعنى الأساسي معان أخرى ذات صلة وثيقة به"[2].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينما ذهب عباس حسن إلى إمكان إرجاع كثير من الأغراض المتصلة بالتصغير إلى غرضين أساسيين هما: التحقير أو التقليل.[3].

التعظيم:

استدلّ من قال بأنّ التصغير يأتي للدلالة على معنى التعظيم، كما يأتي للتحقير، بجملة من الشواهد الشعرية والنثرية، دلّ السياق فيها على أنّ التصغير لا يأتي فيها إلا لهذا المعنى كما يرى، منها:

---

(١) شرح المفصل ٥/ ١١٣،١١٤، ١١٥.

(٢) التصغير في أسماء الأعلام العربية دراسة تأصيلية في ضوء علم اللغات السامية المقارن. د. عمر جابر عبد الجليل. ص ٢١-٢٣.

(٣) النحو الوافي ٥/ ٥١٣.

الشواهد الشعرية:

قول أوس بن حجر[١]:

فُوَيق جُبَيل شاهق الرأس لم تكن لِتبلغه حتى تكلا وتعملا

(قال: جُبَيل، ثمّ قال: شاهق، وهو العالي، فدلّ على أنّه أراد تفخيم شأنه، وتعظيمه)[٢].

وجاء في شرح الشافية (وقيل: يجيء التصغير للتعظيم، فيكون من باب الكناية، يكنّى بالصغر عن بلوغ الغاية في العِظم؛ لأنّ الشيء إذا جاوز حدّه جانس ضدّه، وقريب منه قول الشاعر[٣]:

داهية قد صَغُرت من الكِبَر صِلّ صفا ما تنطوي من القِصَر

واستدلّ بمجيء التصغير للإشارة إلى معنى التعظيم بقوله[٤]:

وكلُّ أناس سوف تدخل بينهم دُوَيهيّة تصفرُّ منها الأنامل

قال ابن الأنباري عن قوله: (دُوَيهيّة) (يُريد: الموت، ولا داهية أعظم من الموت)[٥] وإلى مثل ذلك أشار الصبّان، فقال: (فتصغيرها للتعظيم، بقرينة وصفها بالجملة بعدها التي هي كناية عن الموت)[٦].

---

(١) ورد في: المقرّب ٢/ ٨٠، وشرح الشافية ١/ ١٩٢، وشرح المفصّل ٥/ ١١٤ ومغني اللبيب ١/ ١٣٥.

(٢) ورد في: شرح شافية ابن الحاجب ١/ ١٩١، ومغني اللبيب ١/ ١٣٥، وحاشية الصبان ١٥٧/٣.

(٣) القائل هو: لبيد بن ربيعة، الديوان ص ٢٥٤.

(٤) الإنصاف ١/ ١٣٩.

(٥) نفسه ١/ ١٣٩.

(٦) حاشية الصبان ٣/ ١٥٧.

ويمكننا أن نستأنس بما قاله العلماء عن قول المتنبّي:

أحـــاد أم ســداس فـــي أحـــاد لُيَيلتنـــا المنوطـــة بالتنـــاد

في مجيء التصغير للتعظيم، فقد جاء في الوساطة بين المتنبّي وخصومه: (قال الخصم: صغّر الليلة، ثمّ استطالها، فقال: لُيَيلتنا المنوطة بالتناد، قال أبو الطيّب: هذا تصغير التعظيم، والعرب تفعله كثيراً)[1].

الشواهد النثرية:

جاء في لسان العرب: (والتصغير يجيء بمعانٍ شتّى، منها ما يجيء على التعظيم، وهو معنى قوله: فأصابتها سُنيّة حمراء... ومنه الحديث: أتتكم الدُّهَيماء، يعني: الفتنة، فصغّرها، تهويلاً لها)[2].

وكقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في عبدالله بن مسعود: (كُنَيّف مُلِئ علماً، فقد شبّه عمرُ ابنَ مسعود هنا بالجامع الذي حفظ كلّ ما فيه.)[3].

وجاء عن الحبّاب بن المنذر يوم السقيفة (أنا جُديّلها المُحكك وعُذَيقها المُرَجَّب)[4] (وإنّما كان التصغير في ذلك للتعظيم؛ لأنّ المقام المدح)[5].

ومجيء التصغير للتعظيم رأي كوفي[6]، ومنعه البصريّون، متأوّلين ما جاء من أدلّة عند الكوفيين، فقد أنكر المبرد مجيء التصغير للتعظيم، وتأوّل ما جاء

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٤٥٨.

(٢) لسان العرب، مادة: صغر.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ١/ ١٩٠، وشرح المفصّل ٥/ ١١٧ وشرح التصريح على التوضيح ٢/ ٣١٧ وحاشية الصبّان ٣/ ١٥٧.

(٤) الإنصاف ١/ ١٣٩ ولسان العرب، مادة: صغر، وحاشية الصبّان ٣/ ١٥٧ وجُذيلها: تصغير جَذل، وهو: العود الذي يُنصب للإبل الجربى لتحتكّ به، والمحكك: هو الذي كَثُر الاحتكاك به، أي: أنا ممن يُستشفى برأيه كما تُستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود. وعُذَيقُها: تصغير عِذق النخلة.

(٥) حاشية الصبان ٣/ ١٥٧.

(٦) ورجّحه هنري فليش في: العربية الفصحى ص ٩٨.

على هذا المعنى، فقال عن تصغير (دُوَيهيّة) في البيت السابق: (أراد خفاءها في الدخول، فصغّرها لهذا الوجه، وهو ضدّ التعظيم المذكور)[1].

ونرى أنّ اختزال معنى التصغير بالتحقير دون النظر إلى المعاني الأخرى التي تفيدها، وأخصّ بالذكر معنى التعظيم؛ لقوّة الأدلّة الشعرية والنثرية التي وردت، فيه نوع من التجاوز، وبُعدٌ عن الواقع.

وإنّ قولهم: إنّ المعنى الأساسي للتصغير هو التحقير[2]على الإطلاق، وما جيء من معانٍ أخر يمكن تأويلها؛ لتنسجم مع دلالة التحقير، فيه تجاوز أيضاً.

ونرى أنّ دلالة التحقير التي ركّز عليها بعض العلماء، واستعملت في مصنّفاتهم، وكأنّها المصطلح البديل للتصغير؛ جاءت لتشير إلى دلالة التصغير معجمياً، وما تحمله من إذلال، ومهانة، دون النظر إلى السياقات اللغوية المختلفة التي ورد فيها التصغير، والمقام الذي قيل فيه.

ونرى – أيضا – أنّ صيغ التصغير لا تؤدّي دلالة التحقير إلا إذا كان القائل يقصد بها التحقير قصداً، ودليلي على ذلك ما يلي:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ – القرآن الكريم:

لم يرد في القرآن الكريم اسم مُصَغّر يدلّ على التحقير في قراءاته المشهورة، وإن ورد في بعض القراءات الشاذة، كما في قراءة أبي حيوة، في قوله تعالى: ﴿**وامرأته حمّالة الحطب**﴾[3] حيث قرأ: (ومُرَيئته) على التصغير، وجاء التصغير للتحقير؛ حيث السياق القرآني يدلّ على ذلك، وأمّا الأسماء

---

(١) انظر: شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٨٩ وشرح التصريح على التوضيح ٢/ ٣١٧ والهمع ٦/ ١٣ و١٠٨.

(٢) انظر: السابق نفسه ٢/ ٢٩٠.

(٣) المسد: آية ٤، وانظر هذه القراءة في: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ص ٢٢٤.

الأخرى التي على وزن من أوزان التصغير، فهي:[1] بُني، وشُعيب، وسُليمان، ومُسيطر، ومُهيمن.

أمّا (شُعيب) و(سُليمان) فهما من الأسماء التي وردت عن العرب بهذه الصورة، ولا دلالة فيها على التصغير. وأمّا (مُهيمن) و(مُسيطر)، فلا يُعدّان من التصغير – أيضاً – فهما على وزن يشبهه من جهة ضمّ الأوّل، وفتح الثاني، إلا أنّ الياء فيهما ليست زائدة (علم التصغير) فهي أصليّة في بنائهما؛ لأنّهما اسما فاعلين من غير الثلاثي، الأوّل من (هيمن) والآخر من (سيطر) وأمّا (بُنَيّ)، فهي تصغير (ابن)، وأكثر ورودها جاء في سورة لقمان، في معرض وصايا لقمان لابنه، وهو يعظه، ودلالتها على التحبب واضحة.

إنّ معظم ما ورد عن العرب من أشعار تحتوي صيغة من صيغ التصغير، غير تلك الأعلام التي جاءت في أصل وضعها على وزن من أوزان التصغير، مثل: صُهَيب، وكُميت، ودُريد، وهُذيل،... على الرغم من قلّة ما ورد عن العرب من ألفاظ مصغّرة؛ حيث ظاهرة التصغير قليلة في العربية[2] إذا ما قورنت بالظواهر اللغوية الأخرى، أقول: إنّ معظم ما ورد، لا يومئ بأنّ هذا المعنى الذي ركّز عليه القدماء – وأقصد به التحقير – أخذ طابَعاً تمييزياً، يتمثّله العربي في أشعاره، وأقواله التي وردتنا، بل على العكس من ذلك، فمعظم ما ورد عنهم يتضمّن معنى من المعاني التي تدلّ على الصفات الحميدة، مثل: التحبب، والشفقة، والتلطف، والتمليح، والتعظيم، وأنّ ما ورد عنهم، مما تحتمله لفظة التحقير من معنى، لم يكن في معظمه إلا عند شعراء الهجاء خاصّة.

---

(١) هذه الأسماء ذكرها ابن دريد في (الجمهرة) ضمن مجموعة أخرى، جاءت على وزن من أوزان التصغير، تكلمت بها العرب كأسماء، ولا دلالة فيها على التصغير، وهي موجودة في: المزهر ٢/ ٢٥٣.

(٢) انظر: باب التصغير في مظانّ النحو واللغة، د: عبد الفتاح الحموز ص١٩٥.

وقد عدّت إلى بعض ما جاءنا من دواوين العرب، كنموذج لما ورد عنهم من شعر، وهي تمثّل شعراء ذوي اتّجاهات مختلفة، ومن بيئات مختلفة، فلم أجد فيها هذا المعنى واضحاً أكثر من غيره، منها:

أ – المعلقات السبع للزوزني:

لم يرد في معلقات العرب السبع لفظة جاءت على وزن من أوزان التصغير، ودلّت على التحقير.

– معلقة امرئ القيس

وردت فيها الأسماء الآتية الدالة على التصغير: أم الحُويرث، وهو اسم امرأة، في قوله:(١)

كدأبك من أم الحُويرث قبلها وجارتها أمُّ الرّباب بمأسل

وعُنيزة، اسم امرأة – أيضاً – في قوله:(٢)

ويوم دخلت الخدرَ خدرَ عُنيزة فقالت لك الويلات إنّك مُرجلي

وكُميت، صفة من صفات الفرس محمودة عند العرب جاءت في قوله:(٣)

كُميت يَزلُ اللبدُ عن حال مَتنه كما زلت الصفواءُ بالمتنزل

وفُويق: تقريب المكان، في قوله:(٤)

ضَليعٌ إذا استُدبرته سَدّ فَرجه بضافٍ فُويق الأرض ليس بأعزل

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١١.
(٢) نفسه ص ١٤.
(٣) نفسه ص ٤١.
(٤) نفسه ص ٤٥.

والعُذيب[1] وكُتيفة ومُجيمر[2] أسماء أمكنة مشهورة عند العرب. وغُدية: تصغير: غدوة، أو: غداة، وهي: الصبح[3].

- معلقة طرفة بن العبد:

لم يرد فيها إلا اسم واحد هو: كُميت، في قوله:[4]

فمنهن سَبقي العاذلات بشربة كُميت متى ما تُعلَ بالماء تَزبَد

- معلقة عمرو بن كلثوم:

ورد فيها أربعة أسماء، هي: (قبيل) في قوله:[5]

قريناكم فعجلنا قِراكم قُبَيل الصّبح مرداة طحونا

و(حُدَيّا)، اسم جاء على صيغة التصغير مثل: ثريا، وهو بمعنى: التحدي، جاء في قوله:[6]

حُديّا الناس كلّهم جميعا مُقارعة بَنيهم عن بنينا

و(كُليب) اسم شخص، و(الهُوينى) تصغير: الهونى، مؤنث: الأهون، مثل: الأكبر والكبرى، وهي صفة مُحبّبة في مِشية المرأة، جاءت في قوله:[7]

إذا ما رُحن يَمشين الهُوينى كما اضطربت متون الشاربينا

- ولم أجد اسماً مصغراً في معلقات: زهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، والحارث بن حلزة[8].

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٥١.
(٢) نفسه ص ٥٢.
(٣) نفسه ص ٥٤.
(٤) نفسه ص ٥٥.
(٥) نفسه ص ٨٣.
(٦) نفسه ص ٤١.
(٧) نفسه ص ١٧٤.
(٨) نفسه ص ١٧٧.

– وردت ثلاثة أسماء في معلقة عنترة؛ اثنتان منها اسمان لموضعين هما: عُنيزتين في قوله:[١]

كيف المزار وقد تربع أهلُها بعُنَيزتين وأهلُنا بالغيلم

(والعُشيرة) في قوله:[٢]

صعلٍ يعودُ بذي العُشيَرة بيضة كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم

والثالث جاء اسماً، وهو: (كُحيل) في قوله:[٣]

وكأنّ رُبا أو كُحيلا مُعقدا حشَّ الوقودُ به جوانب قُمقُم

وفي دراسة عن الأبنية الصرفية ودلالاتها في شعر عامر بن الطفيل، فإنني لم أجد من بين الأسماء المصغرة التي ذكرتها الباحثة ما يدل على التحقير، على الرغم من تعدد الأسماء المصغرة عنده[٤].

كما رجعت إلى ديواني العرب: الأصمعيّات، والمفضليات، اللذين ضما أشعاراً لشعراء من بيئات مختلفة، ومن قبائل متباعدة، إلا أنني لم أجد فيهما لفظة مصغرة دلّت على التحقير، بينما ظهرت معاني التصغير الأخرى التي أشرنا إليها قبلُ بشكل واضح عند كثير من الشعراء، فضلاً عما ورد من أعلام وأسماء قبائل جاءت في أصل وضعها على صيغة من صيغ التصغير، ففي الأصمعيات وردت أسماء قبائل مثل: صُديم، وسُليم، وقُريش، وآل زُبيد، وكُليب، ونُمير، وأُسيد[٥] وأسماء أشخاص مثل: بُحير[٦] وأسماء أمكنة مثل:

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٩٣.

(٢) نفسه ص ٢٠٠.

(٣) نفسه ص ١٩٥.

(٤) الأبنية الصرفية ودلالتها في شعر عامر بن الطفيل. د. هدى جنهوتيشي ١٧٦-١٧٧.

(٥) نفسه، انظر على التوالي الصفحات ١٢٨، ١١١، ٧١، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٠٦.

(٦) نفسه ص ١٢٥.

عُنيزة ومُليح[١] وأسماء نساء، مثل: سليمى وأسيماء[٢] كما وردت لفظة: الشويهة، تصغير شاة[٣] وسُحير مصغر السحر وهو آخر الليل قُبيل الصبح، ووردت ظروف زمانية ومكانية مثل: قُبيل[٤] وفُويق[٥]. أما في المفضليات، فوردت الألفاظ الآتية:

رُدينة[٦] اسم امرأة من البحرين ينسب إليها الرماح الرّدينية.

وسُبيع وكُميت أسماء أعلام[٧].

وعُرينة وجُهينة أسماء قبائل[٨].

وسُويقة وأنيق أسماء مواضع[٩].

وأميمة[١٠] اسم امرأة.

ومُليحة[١١] تصغير: مَليحة، وهو للتحبب.

عَبّر القرآن بالوصف أحيانا عند إرادة التقليل من شأن شيء معين دون أن يلجأ إلى اللفظ مصغراً يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وشَرَوهُ بثمن بَخسٍ دراهم معدودة﴾[١٢] حيث وصف الثمن بأنه (بخس) ولم يأت به مصغراً،

---

(١) الأبنية الصرفية ودلالتها في شعر عامر بن الطفيل. د. هدى جنهوتيشي، ص ١٨٦، ١٥٥.

(٢) نفسه، ص ١٢٦، ٢٧.

(٣) نفسه ص ٦١.

(٤) نفسه ص ٧٥.

(٥) نفسه ص١٢١.

(٦) المفضليات ص ١٤٩.

(٧) نفسه ص ٦٦.

(٨) نفسه ص ٨٣.

(٩) نفسه ص٥٦ و٦٨.

(١٠) نفسه ص ٥٥ و ٨٣.

(١١) وانظر: الصفحات ١٠٩,١١٢,١٣٢,١٤٥,١٥٢,١٧٤,١٧٧,١٧٨,٢٠٢.

(١٢) يوسف آية ٢٠.

ووصف الدراهم بأنّها (معدودة) ليستدل به على القلة، وقال الفراء (إنّما قيل معدودة ليستدلّ به على القلة)[1].

وكما عبّر العربي إذا ما أراد التقليل من ذات الشيء بالوصف الدال على القلة بدلاً من بناء التصغير الذي ربّما يومئ في دلالته المعجمية إلى معنى التحقير كما جاء – مثلاً – في معلقة امرئ القيس[2]:

فجئت وقد نَضّت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضّل

فقوله: (لبسة المتفضل) إشارة إلى قلة الثياب التي ترتديها ولم يقل: لُبَيسة.

وقوله[3]:

وكشحٍ لطيفٍ كالجديل مُخَصّر وساقٍ كأنبوب السقيّ المذلل

قوله: (كشح مُخَصّر) إشارة إلى ضموره، ولم يقل: مُخَيصر. وقوله:[4]

فقلت له لما عوى إنّ شأننا قليل الغنى إن كنت لمّا تَمَوّل

أي: إنّ غنانا قليل، ولم يأت به-أيضاً – مصغراً. وقوله:[5]

يُزِلّ الغلام الخفّ عن صهواته ويُلوي بأثواب العَنيف المثقل

فقال: (الغلام الخفّ، أي: الخفيف)

ويبدو أنّ هذه الظاهرة – أي: التعبير عن التصغير بالوصف – مازالت مستعملة إلى اليوم عند كثير من الروائيين المعاصرين، ففي دراسة عن التصغير

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٤٠.

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٢٣.

(٣) نفسه ص ٣٠.

(٤) نفسه ص ٣٩.

(٥) نفسه ص ٤٣.

قام بها عليان الحازمي ساق أمثلة كثيرة دل من خلالها على كثرة استخدام الأدباء والروائيين للوصف بدلاً من التصغير عند إرادة القلة إلى جانب استخدامهم صيغة التصغير، ولم أجد أحداً من بينهم من أتى بمعنى التحقير في استخدامه، سواء أكان ذلك في الوصف أم في البنية[١].

وعلى الرغم من شيوع أبنية التصغير الثلاثة القياسية إلا أنّهِ وردت صيغ أخرى لها الدلالة نفسها تعبّر عن التحقير بجانب دلالتها عن التعظيم، منها:

فُعاَل، مثل: خُفاف (خفيف) تصغير تحقير، وهُمام (شهم) تعظيم.

فُعاّل، مثل: زُمّال (ضعيف) تصغير تحقير، وحُسّان (جميل) تعظيم.

فُعَيل، مثل: عُقَيب (نسر صغير) تصغير تحقير، وخُرَيطة: ضخمة، تعظيم.

فِعّول، مثل: خِنّوص (ولد الخنزير) تحقير، وعِجّول (ولد البقرة)، وقد تعبر عن التكبير، مثل: ضِرّوط وهِلّوف: لذي اللحية الكبيرة[٢].

والأمر لا يقتصر (على هذه الصيغ فالمتتبع لتطور تاء التأنيث وما ذكره السيوطي في المزهر من أمثلة مستعملة فيها يجد لوناً من التحقير للمذكر إلى جانب التكبير، مثل: علامة ونسابة: تكبير، ومثل: لحّانة وصخّابة تحقير)[٣].

ويمكننا – أيضاً– أن نضيف إلى ذلك من باب الاستئناس ما نلحظه من أعلام بعض القبائل الأردنية التي جاءت مصغرة ومجموعة جمع مذكر سالماً

---

(١) التصغير في اللغة العربية، د.عليان محمد الحازمي، ص ١١١، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، ج ١٣، ع ٢١. وتجدر الإشارة إلى أن الروائيين والأدباء الذين كانوا موضع دراسة الباحث هم: طه حسين، في كتابه: الأيام، وأحمد أمين في كتابه: حياتي، والطيب صالح في كتابه: موسم الهجرة إلى الشمال، ونجيب محفوظ في قصته الشهيرة: بين القصرين.

(٢) العربية الفصحى، هنري فليش ص ١٩٩–٢٠٠، وانظر: التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية، د. مصطفى النحاس ص ٤٦.

(٣) انظر: التحول الداخلي في الصيغة الصرفية ص٤٦، ٤٧.

من مثل: هُميسات، عُريقات، زُريقات، قُطيشات، طُبيشات، عبُيدات، شُديفات، سُحيمات، خُريسات... والقول نفسه في بعض الأعلام المصغرة المنسوبة في بعض دول الخليج العربي من مثل: سُبيعي، رُميحي، نُويهي، عُبيدي، رُبيعي...[1] فهذه الأعلام وغيرها لا يمكننا حملها على معنى التحقير، كمعنى ملازم لها. أضف إلى ذلك – ومن باب الاستئناس أيضاً – أنّ الإنسان العربي –بطبعه– يميل إلى ملاطفة أبنائه، والتقرب إليهم باستعمال صيغة (فَعّول) للتصغير الذي يفيد التحبب، والتي هي (من الأوزان السامية المشتركة)[2] فيقول – مثلاً–: عَبّود، في تصغير: عبدالله أو عبد الرحمن، وسلّوم في تصغير: سلام، أو سالم، أو سليمان، وهنّود، في تصغير: مهنّد، وصطّوف في: مصطفى، وليّوث، في: ليث، وسعّود في: سعد، أو سعيد. وأحياناً يأتي به بإضافة التاء على البناء، فيقول: عمّورة في: عمر، أو عامر، أو عمران، وحذّوفة في: حذيفة... الخ مما هو مشهور في أقطار عربية كثيرة.

وبعد، فلا يعني ذلك أنّ التحقير لم يكن وارداً في أشعار العرب، وفي أقوالهم، ولم يكن غرضاً من أغراض التصغير، أو معنى من معانيه، فهذا لم يقل به أحد، وإنّما قصدت من ذلك أن أبين أنّ معنى التحقير الذي ورد كمعنى أساسي عند النحاة، لم يرد بالقوّة التي ذهبوا إليها، وإنّني أميل إلى أنّ التحقير لم يرد إلا في السياقات اللغوية التي يقصد بها القائل هذا المعنى قصداً، ولا يكون ذلك – في الأعم الأغلب – إلا عند شعراء الهجاء، أو في المواضع التي يَشَمّ منها رائحة التحقير كقوله – صلى الله عليه وسلم –: (ويتكلم فيها الرُّوَيبضة، قيل: وما الرّوَيبضة؟ قال: الفُوَيسق يتكلّم في أمر العامّة)[3].

---

(١) انظر: باب التصغير في مظان النحو واللغة ص ١٩٦.

(٢) التصغير في أسماء الأعلام العربية ص ٤٥.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب شدّة الزمان، حديث رقم ٤٠٢٦ ج١٢/٤٤.

فلا يمكن حمل معنىّ التصغير هنا إلا على دلالة التحقير، وكذلك ما نلحظه عند بعض الشعراء، فقد يكون الشاعر مدّاحا، فيستعمل التصغير للتحبب، أو التعظيم، وقد يكون هجّاء، فيستعمل التصغير للتحقير كمعنى أساسي عنده.

ومما يزيد في وضوح الصورة، أنّ شاعراً مثل المتنبي لو جاء في شعره، وهو يمدح سيف الدولة الحمداني، فقال: سُيَيف، فلا أظنّ أحداً يحمل ذلك إلا على دلالة التعظيم، والتحبب من سيف الدولة، وبالمقابل فإذا جاء بتصغير كافور، فلا يمكن حمل الصيغة إلا على دلالة التحقير، والذي جعلنا نتبنّى هذين الحكمين المتضادّين ليس دلالة الصيغه، وإنّما علاقة المتنبي بهذين العلمين، فكما أنّ التحقير يقصد به قصداً، ونستدلّ عليه من السياق، كذلك الأمر في دلالة التحبب، والتعظيم.

فقد عرف عن المتنبي كثرة استعماله للتصغير في شعره، وقيل عنه إنّه كان (مولعاً بالتصغير لا يقتنع منه بخلسة المغير)[1] وأفرد عباس محمود العقاد حديثاً عن ولع المتنبي بالتصغير حيث أشار إلى أنّ المتنبي كان يشعر في قرارة نفسه بأنه عظيم، وأنّه خليق بالملك والقيادة، وأظهر مظاهر شعوره بالعظمة في سمات شعره المبالغة في التهويل والتضخيم من جهة، وهذا الولع بالتصغير من جهة أخرى[2].

وقد ورد في ديوانه من ألفاظ التصغير ثلاثين كلمة، ومما يلفت الانتباه أنّ (١٨) لفظة جاءت للتحقير، بينما توزعت الباقي في أغراض التصغير الأخرى، ومنها(٣) مرات (قُبيل) و (أُهيل) مرتين، و(ذيا) مرتين و(٣) للمحبة والاستملاح و(١) لتقريب الزمان و(٣) لتقليل الذات وواحدة للتعظيم[3].

---

(١) انظر: التصغير في شعر المتنبي، د. موسى الشاعر ص ٣٩ وما بعدها.

(٢) نقلاً عن السابق ص ٣٩.

(٣) انظر: التصغير في شعر المتنبي، د. موسى الشاعر ص ٤٣-٤٥.

ويقال الأمر نفسه في شعراء النقائض: جرير والفرزدق والأخطل، فقد استعمل جرير التصغير في شعره (٧٧) مرة بما في ذلك التصغير المكرر، منها (١٨) في التحقير و(٣) للمحبة والاستملاح، وواحد لتقريب الزمان، وآخر لتقليل الذات، وذكر جرير الأخطل (٦٠) مرة في شعره، صغره منها في (٥٨) مرة ودلالة التحقير فيها واضحة[١].

ومن هنا نرى أنّ معاني التصغير في العربية متنوعة ومتضادة في آنٍ معاً، لا يقتصر فيها على معنى بعينه، فكما جاء التحقير كمعنى من معانيه، جاء التعظيم والتحبب كمعنى أيضاً، وكما أنّ التحقير قصد إليه قصداً، ولا يستدلّ عليه إلا من خلال السياق، كذلك الأمر في المعاني الأخرى، ما عدا تلك التي تدل على التقريب الزماني أو المكاني، فتصغيرها جاء للتقريب ليس إلا، فلا يستشف منها تحقير ولا تعظيم كما ذكر سيبويه قبلُ.

ب – التحليل الصوتي:

يتم التصغير بإيقاع ثلاث حركات على الاسم المراد تصغيره إذا كان ثلاثياً؛ ليكون على بناء (فُعَيل) اثنان منها – كما هو واضح – قصيرة وهما: الضمة على الحرف الأول، والفتحة على الحرف الثاني، والثالثة: كسرة طويلة (ي)، تكون بعد حرفين من البناء. أما إذا كان الاسم رباعيّا، وكذلك الملحق به، فيصغر على بناء (فُعَيعل) بزيادة (عين) على البناء السابق، مع تحريكها بالكسر، أما البناء الثالث، فهو (فُعَيعيل) بإطالة الكسرة التي تلي العين الثانية، وهو لتصغير ما زاد على أربعة أحرف.

وقد حاول العلماء تعليل هذه التغييرات، فاعتل السيرافي لضمّ أوّل المصغّر بأنّهم لما فتحوا في التكسير لم يبق إلا الكسر والضم، فكان الضم أولى بسبب

---

(١) انظر: التصغير في شعر المتنبي، د. موسى الشاعر ص ٤٣–٤٥.

الياء والكسرة بعدها في الأكثر، وهي أشياء متجانسة، وتجانس الأشياء مما يُستثقل[1]. وقال الأنباري: "إن قال قائل: لِمَ ضُمّ أوّل الاسم المُصغّر؟ قيل: لوجهين: أحدهما: أنّ الاسم المُصغّر يتضمن المُكبّر ويدلّ عليه، فأشبه فِعلَ ما لم يُسَمّ فاعله... والوجه الثاني: أنّ التصغير لما صِيغ له بناء جُمِع له جميع الحركات، فبُني الأوّل على الضم؛ لأنّه أقوى الحركات، وبُني الثاني على الفتح تبيّنا للضمة، وبُني ما بعد ياء التصغير على الكسر في تصغير ما زاد على ثلاثة أحرف"[2]. وعن علة زيادة الياء ساكنة دون غيرها من أصوات المدّ، قال: "إنّما كانت ياء؛ لأنّهم لمّا زادوا الألف في التكسير، والتصغير والتكسير من واد واحد، زادوا فيه الياء؛ لأنّها أقربُ إلى الألف من الواو، وإنّما كانت ساكنة ثالثة؛ لأنّ ألف التكسير لا تكون إلا كذلك"[3]. واتّخذ الأرد بلي من الطابع التمييزي للبناء وسيلة لبيان أحد وجهي وجود هذه الحركات الثلاث، واقترب في تعليله الآخر من وجهة نظر الأنباري، فقال: "وإنّما ضُمّ أوّله... لأنّه فَرع المُكبّر، كالمبني للمفعول فرع المبني للفاعل... وإنّما فُتح ثانيه؛ لأنّه ربّما لا يحصل الفرق – أيضاً– بدونها كما في: صُرَد، بضم الأول وفتح الثاني"[4].

وأياً كان التعليل، والأسباب والدوافع التي جعلت العربي يتّخذ من هذه الصيغة وسيلة للدلالة على التصغير، فنحن نميل إلى القول بأنّ كلّ بناء من الأبنية المستقلة يُفتَرض أن يكون منفرداً لمعنى من المعاني المقصودة وإلا اختلطت الأبنية، ولم تعد اللغة وسيلة من وسائل التخاطب بين المجتمعات. "فإذا

---

(١) انظر رأيه في: همع الهوامع ٦/ ١٣١.

(٢) أسرار العربية ص ١٨٣.

(٣) نفسه ص ١٨٤.

(٤) انظر: الهمع ٦/ ١٣١.

كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زِيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به"[1] فتغاير المعنى يقتضي تغاير اللفظ كما ذكر السيوطي[2].

وهذه المصوتات أضيفت إلى أصل البناء إضافة اعتباطية خُصّ بها هذا البناء واقتصر عليها دون غيرها أدّت إلى تحديد معالمه، وبيان صفته، وتشكيل هيئته، ولم يقصد إليها قصداً.

الياء في بناء (فُعَيل):

إنّ وصف ياء التصغير بأنها ساكنة ينسجم مع نظرة القدماء في وصف أصوات المدّ واللين بالسكون، بينما ينظر علم اللسان الحديث إلى أنّ الأصوات الصامتة وحدها يمكن أن توصف بأنّها سواكن أو متحركة، أما الأصوات الصائتة القصيرة منها والطويلة فلا توصف بذلك؛ لأنّها حركة، والحركة لا يمكن أن يُوضع عليها حركة أخرى.

في تصغير الثلاثي والملحق به:

خُصّ بناء (فُعَيل) لتصغير الأسماء الثلاثية وما ألحق بها – كما قلنا – فتقول في الثلاثي، رجل: رُجَيل، أمّا الملحق بالثلاثي، فهو كل اسم منته بتاء التأنيث، في مثل شجرة: شُجَيرة، أو ألف التأنيث المقصورة، في مثل ليلى: لُيَيلى، أو ألف التأنيث الممدودة، في مثل حمراء: حُمَيراء، أو جاء على مثال جمع التكسير الدال على القلة، على وزن أفعال، مثل أحباب: أُحَيباب، أو جاء على وزن (فعلان) الذي مؤنثه (فعلى) ولم يجمع على (فعالين) في مثل عطشان: عُطَيشان، حيث لا يُعتدّ (في التصغير بألف التأنيث الممدودة، ولا بتاء التأنيث،... ولا بالألف والنون المزيدتين)[3].

---

(١) الخصائص ٣/ ٢٦.

(٢) الهمع ٦/ ٣٠.

(٣) شرح ابن عقيل ٢/ ٤٨٣.

ومما يجب التوقف عنده هنا الاسم المنتهي بألف ونون، فقد يكون فيه هذان الحرفان مزيدين، وقد تكون النون فيه أصليه؛ ولذلك اشترطوا في تصغير هذه الأسماء كتصغير الثلاثي أن يكون على وزن (فعلان) الذي مؤنثه (فعلى)، وألاّ يجمع على (فعالين)- كما قلت- والعلة في ذلك أنّ ما يعتدّ به في التصغير هي الأحرف الثلاثة الأولى، ولذلك سلمت الألف في كليهما (فعلان و فعلى) بينما قُلبت - في نظرهم - إلى ياء في غير ذلك، يقول الرضي: "فَعلان وفُعلان وفِعلان كحَومان وسُلطان وسِرحان، فإنّ نون حومان موقعها موقع اللام في: جبّار وزلزال، وموقع نون سلطان، كلام قرطاس... وموقع نون سرحان، كلام سربال... فتقول: حُوَيمين وسُليطين وسُرَيحين"[1]. وكذلك الحال في نون: عثمان وسعدان، قال: "أمّا نون عثمان في فرخ الحُباري على ما قيل، وسعدان في نبت، فتصغيرهما: عُثيمين وسُعيدين، وليسا أصلين لسعدان وعثمان علمين، بل اتّفق العلم المرتجل والجنس"[2]. إنّ الإبقاء على الألف في مثل: عطشان، عطشى، أو في كل اسم جاء فيه الألف والنون مزيدين، مثل: عمران، له ما يبرره، فالتصغير واقع على البناء الأصلي للكلمة قبل الزيادة، فيكون تصغيره كتصغير الثلاثي؛ -كما قلنا - أما ما جاء على: فعلان فعلانة، في مثل: سَفيان سَفيانة، وخَمصان خَمصانة، وكذلك المنتهي بالألف والنون، وكانت النون فيه أصليه، كحسّان من الحُسن وعفّان من العفونة، وكذا ما جمع على فعالين مثل: سلطان وسلاطين، وسرحان وسراحين. فإنّ نظرة العلماء إلى هذه الأسماء على أنّ نونه هي لام الاسم، إلا أن الألف فيه لم تنقلب إلى ياء بل نتجت من إطالة حركة العين الثانية في بناء (فُعَيعيل) الذي صُغّرت هذه الأسماء عليه فقد جاء تصغيرها كتصغير الخماسي والياء في بناء (فُعَيعيل) تكونت من امتداد حركة العين في بناء (فُعيعل) الخاص بتصغير الرباعي، ولذلك فإنّ ما حدث هو تكوّن حركات غير متجانسة مرفوضة لغوياً بين الألف في مثل: حسّان وحركة العين الثانية في بناء

---

(١) شرح الشافية ١/١٩٧-١٩٨.

(٢) نفسه.

(فُعيعل) نتج عنه حذف المسبب فيه، وهو الألف والتعويض عنه بمد الحركة السابقة عليه وهي الكسرة، فأصبح: حُسَيسين، على بناء: فُعيعيل.

ومما يجب التوقف عنده – أيضاً– بقاء الألف في مؤنث (فعلان) الذي هو (فعلى) مثل: عطشى، عند التصغير، وحذفها في مثل: ملهى، وما ذلك إلا لأن التصغير الواقع على: عطشى، وقع على بنية الاسم الثلاثية (عطش) فصُغّر كما صُغّر الثلاثي بينما في: ملهى، فتصغيرها كتصغير الرباعي على (فُعيعل) فيكون (مُليه)، حيث صُغّر البناء الافتراضي لـ (ملهى) وهو (ملهو)؛ لأنّه من: لها يلهو، كتصغير الرباعي، على بناء فُعيعل، هكذا:

م ـُ ل ـَ ي ه ـِ و

ف ـُ ع ـَ ي ع ـِ ل

فتكوّنت حركات غير متجانسة مرفوضة لغوياً، بين صوت الواو وما سبقه من حركة الكسر، استدعى حذف المسبب فيه، أي: حذف الواو، ثم التعويض عن المحذوف بمد حركته، أي الكسرة؛ لتصبح طويلة – تماماً كما قلنا سابقاً– وعندما دخل التنوين، تكوّن مقطع صوتي مرفوض أيضاً، وهو صوت مدّ طويل يليه صوت صحيح ساكن، الأمر الذي أدّى إلى تقصيره فأصبحت الكلمة بعد التصغير (مُلَيه).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصغير ما ثانيه ألف:

ذكر العلماء أنّ الألف إذا كانت ثانية في اسم ثلاثي، فإنّها تعود إلى أصلها: الواوي أو اليائي، فتقول في تصغير باب: بُوَيب؛ لأنّ الأصل: بوب، وفي ناب: نُيَيب، لأنّ الأصل: نيب، يقول ابن السراج: "حقّ هذا الاسم إذا صُغّر أن يُرَدّ إلى أصله، فإن كانت الألف منقلبة من واو رُدّت الواو، وإن كانت منقلبة من ياء رُدّت الياء نقول في ناب: نُيَيب"[1].

---

(١) الأصول في النحو ٣/ ٣٧–٣٨ وانظر الكتاب ٢/ ١٢٧.

أما إذا جُهِل أصل الألف فقال: "وإن جاء اسم نحو (الناب) لا تدري أمن الياء هو أم من الواو؟ فاحمله على الواو حتى يتبين لك أنّها من الياء؛ لأنّها مبدلة من الواو أكثر"(١).

ففي الوقت الذي اتّفق فيه مع هذه النظرة إلى الأصل الافتراضي للبناء، مخالفاً بذلك الوصفيين، الذين يرون أنّ البحث فيه بحث ميتافيزيقي، لا يعتمد على مبدأ سليم، بينما يرى المنهج التحويلي أنّ قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم البنية العميقة وتحويلها إلى بنية السطح(٢).

إلا أنني لا أتّفق مع النظرة القائلة بأنّ الألف أعيدت إلى أصلها: الواوي أو اليائي، فأصلها ليس واواً أو ياء، وإنّما هو فتحتان تكونتا بعد حذف الواو أو الياء؛ لوقوعهما بين حركتي الفتح، فالأصل المفترض هو: بوب ونيب، إلا أنّ الولو والياء – كما قلنا– وقعتا بين حركتين متشابهتين هما: الفتحتان، أدى ذلك إلى إسقاطهما، ثم تكون من مجموع الحركتين القصيرتين حركة طويلة من جنسهما وهي الألف، تماماً كما حدث في الأفعال الجوفاء، مثل: قال، وباع اللذين هما على وزن (فال) بعد حذف عينهما لوقوعهما بين حركتي الفتح، فالتصغير حدث على البناء الأصلي للكلمة، فالأصل هو:

ب ـَ و ـَ ب ـَ

ن ـَ ي ـَ ب ـَ

على وزن: ف ـَ ع ـَ ل ـَ

وعند التصغير نُوقع الحركات الثلاث، وهي: ضم الأول وفتح الثاني وزيادة ياء ثالثة على هذا البناء، تماماً كما نفعل في تكسيرهما؛ فإنّنا نكسرهما على وزنيهما المفترضين لا على ما آل إليه البناء بعد حذف الواو أو الياء، فكما نقول

---

(١) الأصول ٣/ ٣٧–٣٨ وانظر: الكتاب ٢/ ١٢٧.

(٢) النحو التحويلي والدرس الحديث ص ١٥٤.

في التكسير: أبواب وأنياب، نقول في التصغير: بُوَيب ونُييب. ويقال مثل ذلك في تصغير الثلاثي الذي ثانيه ألف مجهولة الأصل فإنّنا نتعامل مع بِنية مفترضة.

وقد أنكر عبد الصبور شاهين أن تُعَدّ الواو أو الياء المرتد إليها بديلاً عن الألف فقال: "فأمّا أنّنا نرده إلى أصله، فلأنّ التصغير بناء مستقل تتعرض له الكلمة، فهو يتعامل مع مادتها، وأمّا أنّنا لا نعرضه لأيّ إعلال، فلأن هذا الصوت الثاني يكون حينئذ بداية مقطع نهايته ياء التصغير، فموقعه موقع قوي، بسبب وجود الحركة بعده، وهي عنصر أساسي في التصغير"(١).

ومما يُستدل به – أيضاً– على أنّ التصغير إنّما يكون في الأصل الافتراضي للاسم أنّنا عندما نُصغّر الأسماء التي حدث فيها إعلال، فإنّنا لا نصغّر ما آل إليه الاسم بعد الإعلال، وإنّما نصغّر البناء المفترض، فنقول في تصغير مثل: قيمة: قُوَيمة؛ لأنّ الأصل المفترض: قوم، وفي موقن: مُييقن؛ لأنّ الثلاثي منه: يقن. يقول ابن السراج تحت عنوان: "تحقير كل حرف كان فيه بدل... تحذف البدل وترده إلى الأصل، تقول في: ميزان: مُويزين، وميقات: مُوَيقيت، وقيل: قُوَيل"(٢). ولذلك قالوا: "شذّ قولهم في عيد: عُييد، والقياس: عُويد؛ بقلب الياء واواً؛ لأنّها أصله؛ لأنّه من عاد يعود"(٣) فعدوه شاذاً؛ لأنّه لم يؤخذ بنظر الاعتبار البناء الافتراضي له.

بناء فُعَيعل:

يُصغر الرباعي والملحق به على وزن: فُعَيعل، بضمّ الأوّل، وفتح الثاني، وزيادة ياء ثالثة، تماماً كما هو الحال في الثلاثي، إلا أنّه يزيد عليه بتضعيف العين، مع تحريكها بالكسر.

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٥٤.

(٢) الأصول ٣/ ٥٨ وانظر: سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٩٣.

(٣) شرح ابن عقيل ٢/ ٤٨٥ وانظر: الأصول ٣/ ٥٨.

ويبدو أنّ تحريك العين المزيدة بالكسر، جاء انسجاماً صوتيّاً مع صوت اليـاء السابقة، فتقول في تصغير مثل جعفر: جُعَيفر، يقول السيوطي: (وإن كان تالي ياء التصغير غير مكسور، كُسِر للمناسبة بين اليـاء والكـسرة، كجُعَيفـر، وبُـرَيْثن، ودُرَيهم)[1].

وهذا البناء هو من الأبنية التي اختصّت به العربية دون غيرها مـن أخواتهـا السامية[2].

أمّا ما يتعلق بالملحق بالرباعي، فقد ذكر العلماء أنّه يجب فتح ما ولـي يـاء التصغير[3] والملحق بالرباعي هو: كلّ اسم رباعيّ منتهٍ بتاء التأنيـث المربوطـة، مثل: حنظلة، وتصغيرها: حُنَيظلة، أو بألف التأنيث الممـدودة، مثـل: قرفـصاء، وتصغيرها: قُرَيفصاء، أو المنتهي بألف ونون مزيدتين مثل: زعفران، وتصغيرها: زُعَيفران.

ويبدو أنّ هذا الاستثناء غير مبرر؛ لأنّ أواخر هذه الأسماء أصـلاً حركتهـا فتحة، فهي لا تقبل إلا هذه الحركة، ويستحيل تحريكها بغيرها، سواء أكانت هـذه الحركة قصيرة، كما في: حنظلة، أم طويلة، كما في الباقي.

الرباعي الذي ثانيه صوت مدّ (ألف):

ذكر العلماء أنّ ثاني الاسم المصغر إذا كان ألفاً مزيدة، وجـب قلبهـا واواً، فتقول في مثل خاتم: خُوَيتم، وطابق: طُوَيبق، ودانق: دُوَينق[4] حيث عُوملت هذه الألف معاملتها إذا كانت في اسم ثلاثي، وكانت مجهولة الأصل.

---

(١) الهمع ٦ / ١٣٥.

(٢) التصغير في أسماء الأعلام العربية ص ١٥٤.

(٣) شرح ابن عقيل ٢/ ٤٨١.

(٤) الكتاب ٢/ ١١١، وانظر: شرح ابن عقيل ٢/ ٤٨٥.

ويبدو أنّ الألف لم تنقلب إلى واو، بل قُصّرت إلى حركة من جنسها، بسبب وجودها بين حركات غير متجانسة: الضمّة قبلها، وياء التصغير بعدها، فالكتابة الصوتيّة للبناء بعد إسقاط حركات التصغير عليه هي: ك – ُ ا – َ ي ت – ِ ب.

وهو بناء لغويّ مضطرب، مكوّن من مقاطع صوتيّة مرفوضة نتيجة وجود حركات متتالية غير متجانسة، لا يفصل بينها أيّ صوت صامت، وهو اضطراب اقتضاه تغيّر البناء الأصلي؛ لأداء دلالة التصغير، فكان أن تخلّصت اللغة من هذا الاضطراب المرفوض بوسيلتين مجتمعتين،الأولى: وجود واو انزلاقية نتيجة وجود فتحة طويلة مسبوقة بضمّة، والثانية: تقصير الفتحة الطويلة إلى قصيرة مثلها؛ لتسدّ مسدّ الفتحة التي هي جزء من بناء الاسم المصغّر، تكون الواو الانزلاقية نقطة اتّكاء لها.

يقول عبد الصبور شاهين عن هذه الألف: (فإنّها لا تمثّل شيئاً محدداً سوى وجودها على ما هي عليه (فتحة طويلة) فإذا سُبقت بضمّة حدث من الانزلاق بين الحركتين واو انتقالية يليها ياء التصغير... فالواو ليست نتيجة قلب الألف، بل نتيجة الانزلاق بين ضمّة التصغير بعد الصوت الأوّل وبين هذه الألف التي تتحوّل من فتحة طويلة إلى فتحة قصيرة)[1].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصغير الرباعي الذي ثالثه صوت مدّ:

ذكر العلماء أنّ الرباعي إذا كان ثالثه صوت مد: ألف أو واو، فإنّهما تقلبان إلى ياء، ثم تدغمان بياء التصغير، فتقول في مثل كتاب: كُتَيِّب، وفي مثل عجوز: عُجَيِّز، يقول ابن جني: "واعلم أنّ حذاق أصحابنا وذوي القياس القوي منهم، يذهبون إلى أنّ الألف في: كتاب وغزال وغراب، إذا حقّرت الاسم فقلت:

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٥٤.

كُتَيّب، وغُزيّل، وغُريّب، فإنّك لم تُبدل ألف: كتاب وغزال وغراب، في أول أحوالها لياء التحقير ياء، وإنّما المذهب عندهم أنّك قلبت الألف فصار التقدير: كتيوب، وغزيول، وغريوب، فلما اجتمعت الياء والواو، وسبقت الياء بالسكون قلبتَ الواو ياء وأدغمت ياء التحقير فيها، فقلت: كُتيّب، وغُزيّل، وغُريّب، فالياء إذاً في: غُزيّل إنّما بدل من واو بدل من ألف المد" وعلة ذلك كما يقول: "إنّهم رأوا الألف أكثر انقلابها إنّما هو إلى الواو."[1] ونحن إذا أجرينا موازنة صوتية بين بناء (فُعيعل) والكلمة المراد تصغيرها وكان ثالثها ألفاً ظهرت أمامنا الصورة الآتية:

ف ـُ ع ـَ ي ع ـِ ل

ك ـُ ت ـَ ي ـَ ـَ ب

أي أن العين التي تلي ياء التصغير تقابل صوت المد (الألف)، وهو وجود حركات غير متجانسة مرفوضة لغوياً، إضافة إلى أنّ الألف تكون بداية مقطع صوتي مرفوض – أيضا- إذ لا يوجد بين أنواع المقاطع في اللغة العربية مقطع صوتي يبدأ بحركة طويلة، يليها حركة قصيرة أخرى، من غير جنسها، وفي مثل هذه الحالة تعمد اللغة إلى حذف المسبب في هذا الازدواج الحركي (أي حذف حركتي الفتح) والتعويض عنه بصوت مد طويل آخر من جنس الحركة التي تليه؛ ليكون منسجماً مع ما سبقه، وما يليه من أصوات المد، وهو الياء، فأصبح البناء: كُتَيّب، متفقاً مع الوزن الإيقاعي لبناء (فُعيعل) وكذلك الأمر في تصغير عجوز: عُجيّز، حيث حذف صوت المد (الواو) للعلة نفسها، واستعيض عنه بصوت المد الياء، المنسجم مع ياء التصغير من جهة، ومع ما يليه من كسرة قصيرة، وهو ما يناسب الوزن الإيقاعي للبناء الذي هو الركن الأساسي

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٨٢-٥٨٣.

في دلالة التصغير. إنّ نظرة علمائنا إلى أصوات المد، وقولهم: إنّها قلبت إلى أصوات أخرى، مبعثه النظرة الشكلية إلى ما آلت إليه الكلمة، لا إلى حقيقة تغيّر هذه الأصوات نتيجة وقوعها بين أصوات متنافرة غير منسجمة، الأمر الذي يدعو في جميع الأحوال إلى حذف المسبب في هذا الازدواج الحركي، والتعويض عنه بصوت مد آخر، يكون منسجماً مع الأصوات السابقة واللاحقة له، وللمحافظة على الوزن الإيقاعي للبناء؛ طلباً للخفّة في نطق الأصوات.

بناء فعيعل:

ذكر العلماء أنّ هذا البناء هو لتصغير الأسماء الخماسية وفوق الخماسي؛ فإذا كان الاسم خماسياً مما لا زيادة فيه، فإنّه يُصغّركما يُصغّر الرباعي، أي أنّه يُصغر على بناء (فُعيعل) ومعنى ذلك أنّه لا بد من حذف بعض حروفه، وأشار العلماء إلى أنّ الأولى هو حذف الخامس؛ لأنّ الكلمة ثقيلة بالخمسة الأصول فإذا زدت عليها ياء التصغير زدت ثقلاً[1] فتقول في مثل: "سفرجل وفرزدق: سُفيرج، فُريزد، وقال بعضهم: فُريزق، لأن الدال تشبه التاء، والتاء من حروف الزيادة، وكذلك: خندرنق: خُديرق، فيمن قال: فريزق، ومن قال: فريزد، قال خُديرن"[2] ولتكوين بناء (فُعيعل) نصوا على أنّه يجوز التعويض عن المحذوف بإضافة ياء قبل الآخر، فتقول: سُفيريج وفُريزيق، أو فُريزيد في: سفرجل وفرزدق.

وبناء (فُعيعيل) بناء جائز في تصغير الخماسي وما زاد عن الخماسي سواء أكانت أصوله صحيحة كما في: سفرجل وفرزدق، أم كان الرابع منها صوتاً من أصوات المد كما في: عصفور وقنديل.

---

(١) شرح الرضي على الشافية ١/ ٢٠٤.

(٢) الأصول في النحو ٣/ ٤٠.

وأقول: صيغة جائزة وليست واجبة في أبنية التصغير؛ لأنّنا رأينا العلماء يجيزون حذف الخامس من الاسم، ويقتصرون عند تصغيره على أربعة أحرف؛ ليصار إلى تصغيره كتصغير الرباعي.

تصغير الخماسي الذي رابعه صوت مد:

ذكر العلماء أن كل اسم خماسي رابعه صوت مد طويل كما في: عصفور وسروال وقنديل، يجوز حذف صوت المد كلياً وتصغير ما تبقى من الاسم كما يُصغّر الرباعي، كما أجازوا أن يقلب صوت المد إلى ياء بدون حذف؛ ليصغر على بناء (فعيعيل)، يقول الرضي: "وإذا كان صوت المد رابعاً بعد الكسرة التي تحذف في التصغير بعد يائه؛ سواء أكان واواً كما في: مفتاح فإنّها في التصغير تصير ياء ساكنة مكسوراً ما قبلها إن لم تكن كذلك."[1] ويبدو أن هذه الصيغة (فُعيعيل) تكوّنت من امتداد لحركة العين الثانية في بناء (فعيعل) وليست ناتجة عن قلب الألف في مثل: مفتاح، أو الواو في مثل: عصفور، إلى ياء، يتضح ذلك من خلال إجراء موازنة بين البناء والاسم المصغر:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ف ـُ ع ـَ ي ع ـِ ـ ل

ع ـُ ص ـَ ي ف ـُ ـ ر

م ـُ ف ـَ ي ت ـِ ـ ح

وعندها يتكون ازدواج حركي مرفوض لغوياً بين صوت الألف الطويلة والواو الطويلة، وما يسبقها من كسر، إضافة إلى أنّ هذين الصوتين يكونان بداية لمقطع صوتي مرفوض لغوياً- أيضاً- الأمر الذي يؤدي إلى حذف المسبب في هذا الازدواج الحركي، وهو الألف الطويلة والواو الطويلة، والإبقاء على البناء؛ ليكون على وزن (فُعيعيل) وهو جائز لغوياً، فتقول في التصغير: عُصيفر ومُفيتح، أو

---

(١) شرح الرضي على الشافية ١/ ٢٥٠.

التعويض عن المحذوف بمد حركة ما قبلها، تماماً كما نفعل في مثل: ميزان، والأصل الافتراضي فيه: موازن، حيث سقط صوت المد الطويل الواو، وعوض منه مد حركة ما قبله، فيكون تصغيرهما: عُصيفير، ومُفيتيح، على بناء (فُعيعيل) الذي هو الأصل فيه.

وبعد، فقد حاولت الوقوف على ما انتهى إليه العلماء من معان لأبنية التصغير في العربية، وذكرت أنّ صيغة التصغير حملت معاني متعددة متضادة أحياناً لم تحملها صيغة صرفية أخرى، وأن معنيين منها ربما يكونان من أكثر المعاني التي أفاض فيهما العلماء وهما: التحقير والتعظيم. وبيّنت أنّ معنى التحقير الذي توسع العلماء في استعماله مصطلحاً مرادفاً للتصغير، لم يكن على هذه الدرجة من الشيوع التي تنم عن إشارات العلماء القدامى وأنّ دلالات التصغير لها ضوابط سياقية – أحياناً– يكشفها النص، ويدل عليها، وأنّ الدلالة الدقيقة للفظ المُصغّر تستخلص من الصيغ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يؤيد الاستعمال اللغوي في القرآن والحديث النبوي الشريف وعينة من الشعر العربي مما انتهى إليه العلماء من توسع في دلالة أبنية التصغير على معنى التحقير، وأن التعبير بالوصف قد اتّخذ بديلاً عن الصيغة أحياناً عند إرادة القلة.

وحاول البحث في جانبه الآخر من الوقوف على بعض الضوابط الصوتية التي أسهمت في تشكيل البنية الصوتية لأبنية التصغير لا سيما في تلك الأبنية التي يوجد فيها إعلال موضحاً نظرة كل من القدماء والمحدثين فيها، ومتخذاً من المنهج التحليلي التفسيري منطلقاً له. وبين البحث أن تكوّن حركات غير متجانسة مرفوضة لغوياً، والتخلص من المقطع الصوتي المرفوض، ومراعاة الأصل الافتراضي للبناء، كلها عوامل أسهمت في تشكيل أبنية التصغير، واستقرارها على هذه الصورة المتطورة التي تطالعنا في واقع الاستعمال اللغوي.

مراجع البحث

- الأردبلي، **شرح الأنموذج في النحو**، تحقيق: د. حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، ١٩٩٠م.

- الأزهري، خالد بن عبدالله، **شرح التصريح على التوضيح**، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

- الاستراباذي، رضي الدين محمد، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

- الأشموني، نور الدين علي بن محمد، **شرح الأشموني**، ومعه حاشية الصبان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، **أسرار العربية**، تحقيق: محمد بهجت البيطار، دمشق ١٩٧٥م.

- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

- الجرجاني، شريف أبو حسن علي بن محمد، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٥م.

- جنهويتشي، د.هدى، **الأبنية الصرفية ودلالاتها في شعر عامر بن الطفيل**، دار البشير، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي، درا القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **المنصف في شرح تصريف المازني**، تحقيق: إبراهيم مصطفى، د.عبدالله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

- **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.

- الحازمي، د. عليان محمد، **التصغير في اللغة العربية**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٣، العدد: ٢١،١٤٢١ هجرية.

- حسن، عباس، **النحو الوافي**، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.

- الحموز، د. عبدالفتاح، **باب التصغير في مظان النحو واللغة، بأمثلة الثرّة، توسم العربية بالتعمية والإلباس**، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثالث، العدد الثاني ١٩٨٨م.

- الحملاوي، الشيخ أحمد، **شذا العرف في فن الصرف**، طبعة ١٢، ١٩٧٥م.

- ابن خالوية، أبو عبدالله الحسين بن أحمد، **إعراب ثلاثين سورة من القرآن**، درا الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

- ابن ربيعة، لبيد، **ديوانه**، تحقيق: د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.

- الراجحي، د. عبده، **النحو التحويلي والدرس الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

- الزاوي، الطاهر أحمد، **ترتيب القاموس المحيط**، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٩م.

- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، **الجمل في النحو**، تحقيق د. علي الحمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد، **شرح المعلقات السبع**، دار القاموس الحديث، بيروت، بلا تاريخ.

- السراج، أبو بكر محمد بن سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٧٨م.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، طبعة بولاق.

- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٨٠م.

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، بلا تاريخ.

- الشاعر، د. موسى، **التصغير في شعر المتنبي**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ٢٣-٢٤ كانون الثاني ١٩٨٤م.

- شاهين، د. عبد الصبور، **المنهج الصوتي للبنية العربية**، مؤسسة الرسالة بيروت، بلا تاريخ.

- عبد الجليل، د. عمر صابر، **التصغير في أسماء الأعلام العربية، دراسة تأصيلية في ضوء علم اللغات السامية المقارن**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.

- ابن عصفور، علي بن مؤمن، **المُقرّب**، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- شرح جمل الزجاجي، تحقيق، د. صاحب أبو جناح، بغداد ١٩٨٢م.
- عبد العليم، أبو بكر علي، **الموسوعة النحوية والصرفية الميسرة**، مكتبة ابن سيناء، القاهرة ٢٠٠٤م.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، **شرح ابن عقيل**، مكتبة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة عشرة ١٩٦٤م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **معجم العين**، تحقيق، د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، بلا تاريخ.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، بيروت، بلا تاريخ.
- فليش، هنري، **العربية الفصحى**، تحقيق د.عبدالصبور شاهين، الطبعة الثانية، دار السرور، بيروت، بلا تاريخ.
- القيسي، مكي بن أبي طالب، **مشكل إعراب القرآن الكريم**، تحقيق ياسين محمد السواس، الطبعة الثانية، دار المأمون، دمشق.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.
- المبرد، محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، بلا تاريخ.
- النحاس، د. مصطفى، **النحو التحويلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية أو التعبيرية**، مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية، المجلد ١٨، الجزء الأول، ١٩٨٠م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.
- ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين، **مغني اللبيب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بلا تاريخ.
- ونسنكك، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، دار الدعوة، استنبول ١٩٨٨م.
- ابن يعيش، موفق الدين بن علي، **شرح المفصل**، عالم الكتب بيروت، بلا تاريخ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التوليد اللغوي على وزن (فَعْلَنَة)

في الاستعمال العربي المعاصر

د. عبد الحميد الأقطش

جامعة اليرموك

الملخص

ينبسط التكلم في هذا البحث حول صيغة صرفية مَرِنَة في توليد مفردات عربية حداثية خاصة في بلدان المشرق العربي، والأردن تحديداً. وتلك هي صيغة (فَعْلَنَة)، وهي تطرد كثيراً جداً، في الجذوع اللغوية من أسماء الأعيان أو الذوات (تَيْسَنة من التيس، ورَوْحنة من الرُّوح، وعَقْلَنَة من العَقْل) وكذا، وإن بنحو أقل، من جذوع لغوية مصدرية، أو وصفية (شَهْمَنة من الشَّهَامة، وحَرْمَنَة من الحرام، وزَعْرَنة من الأَزْعر).

فأما عن حياة هذا الوزن في العربية التراثية فيَشُقّ على الباحث أن يرصد له استعمالاً حياً، في شعر أو نثر، بيد أن شيئاً من التكلم عن صيغة مقاربة هي (فَعْلَن) تُلْمَح في طوايا تكلم علماء الصرف أو اللغة عن مفهوم (الإلحاق الصرفي) بزيادة لاحقة النون في مفردات شبه محفوظة (امرأة خَلْبَن، أي خَرْقاء، ورجل ضَيْفَن، أي مضياف).

وعن الخطاب الوظيفي لوزن (فَعْلَنة) فهي مألوفة في السياقات الاجتماعية التي يعمد إليها اللاوعي العربي الجمعي عند إرادة الإفصاح عن معنى لم يكن سَجِيَّة أو طبعاً في صاحبه ثم تحول إليه، ولابسه، واتصف به، فصار أَمارة عَلَيْه، وصفة شبه ثابتة في سلوكه.

وكذلك يشار إلى أن هذا الوزن قد تَبَرْعَمَ في الاستعمال العربي المعاصر على الهيئات التي يسمح بها نظام الاشتقاق الصرفي القياسي، مُولِّداً صيغاً فعلية، وأسماء فاعلين ومفعولين وغير ذلك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Words production in modern Arabic according to the derivative "*fa'lanah*"

This article is intended to examine the derivative form "*fa'lanah*", after which many words in modern Arabic, especially in the eastern part of the Arab World, are generated. These words are systematically derived from concrete proper nouns, like "*tays*" (*taysanah*) and "*walad*" (*waldanah*), or abstract proper nouns, like "*rūḥ*" (*rawḥanah*) and "*'aql*" (*'aqlanah*). They also may be derived from gerunds, like "*shahāmah*" (*shahmanah*) and "*ḥarām*" (*ḥarmanah*), or from adjectives, like "*az'ar*" (*za'ranah*). However, this "*fa'lanah*" form is not to be found in classical Arabic either in prose or in poetry. Nevertheless, Arab liguists speak of a very close derivative form— *fa'lan*— one which they detected in some particular words, like "*khalban*" (fool) and "*dayfan*" (hospitable).

The form under discussion has unintentionally been producing words needed to express semantic transformation from a non-constant into a constant quality in a person or a thing. It can also be noted that these words come in all possible forms made available by Arabic standard derivative system.

الفَرْش: التوليد اللغوي ناموس ثابت؛ واللغة عموماً ظاهرة اجتماعية، وهي – من جهة المبدأ– مثل غيرها من ظواهر الحياة على تَنَوُّعها، وتعدُّدها؛ تتطور وتتجدد، لكن على تفاوت ما بين لغة وأخرى، ووفقاً لمقتضى الظروف والأحوال؛ أي ظروف الناطقين بها، وأحوالهم.

والعربية، هي بالضرورة، كذلك لغة ثابتة مُتَحَوِّلة في آن، ثابتة من جهة نسيجها العام، ونسقها التركيبي، ومتحولة في أساليبها ومعانيها؛ فاستطاعت بذلك أن تواكب الظروف والتغيرات، مع المحافظة على تواصل الأجيال جيلاً إثر جيل. وفي مسيرة العربية ثمة تَدَرُّجات مرحلية تَشِفُّ عن وعي الناطقين بها، بما حولهم؛ فإلى جانب المُثَاقَفَة بموروث تليد ومغْرق في القِدَم تُوجد المثاقفة بالحاضر المُبْتَكَر، هكذا بين أصالة وحداثة، ودون أن يتناقض ذلك مع موضوع النقاش الفكري، أو العصف الذهني حول جدلية الصحة والخطأ، أو جدلية المشروعية وعدمها، فيما تولده اللغة في هذه المقامات، فثمة فارق بين الاستعمال اللغوي والمعيار اللغوي؛ فالاستعمال وُجودٌ ملحوظ، والمعيار حُكْم وتقييم[1].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاتفاق قائم بين علماء الألسنية حالياً، على أن المستوى الصوابي للغة ما، مرتبط في عرف الحداثة بالصورة التي يرتضيها المجتمع للغته، فالاستعمال الشائع أقوى من كل قاعدة، وأساس لكل قاعدة[2]، وبعدم الاعتراف بالمُتغَيِّر تَأْسَن اللغة، كما بغير الثابت تَنْفَلت.

---

(١) انظر في الموضوع: ميشال زكريا: الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ص٤٤، بيروت، ١٩٨٣م. وداود عبده: أبحاث في اللغة العربية، ص١٢٢، بيروت، ١٩٧٣.

(٢) انظر: إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، ص١٤٢، بيروت، ١٩٨١. وعبدالصبور شاهين: في علم اللغة العام، ص٢٣٦، بيروت، ١٩٨٠.

وقد عفا زمن على مثل قولة ابن فارس (٣٩٥هـ) في الصاحبي من أن اللغة (أي العربية) قد قَرّ قَرارُها: "فلم نعلم لغة بعد النبي صلى الله عليه وسلم حَدَثَتْ، فإن تعَمّل اليوم لذلك مُتَعَمّل وجد من نفاذ العلم من ينفيه ويرده[١]. وكذا قوله: "نَعَمْ وكل ذلك توقيف، ولا ينبغي أن نقيس ما لم يقيسوه"[٢]، فذلك إنما هو عيشٌ تحت سلطان الذاكرة، وهيمنة للمعيار على الاستعمال.

مظهر التوليد اللغوي:

المتأمل في تقاطع العربية مع التاريخ، يلمح بذور حركة توليدية لغوية، قد لازمت العربية منذ القدم؛ وقد كانت قبل الإسلام حركة بطيئة، تقوم على الاجتهاد الفردي، ودونما استناد إلى أسس نظرية محددة المعالم[٣]، ثم إنها بمجيء الإسلام فصاعداً قد اكتسبت عوامل قوة وقدرة، وانعكس ذلك على العربية فكراً وإنشاء، ومعاني وألفاظاً، ونشط الفكر اللغوي العربي يقارب مسألة التوليدة هذه، تنظيراً وتطبيقاً، تحت عنوانات مختلفة؛ لكنها في مجملها تنضوي في مظهرين وهما: **التوليد الدلالي، والتوليد الصرفي.**

التوليد الدلالي: الأساس في التوليد الدلالي هو خلق معان جديدة، من متون لغوية موجودة أصلاً، بطرق مثل: المجاز، أو الاستعارة، أو الكناية؛ فتنتقل بموجب ذلك دلالات المفردات من مجال دلالي إلى آخر، أو تُضَيَّق أو تُعَمَّم

---

(١) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: الشويمي، ص٣٣، بيروت، ١٩٦٣.

(٢) السابق نفسه، ص٦٧.

(٣) انظر: الأقطش، عبد الحميد الأقطش: طليعة التفكير اللغوي العربي إلى نهاية صدر الإسلام، ص ١٨٦، مجلة الآداب، جامعة منتوري، الجزائر، عدد٧، ٢٠٠٤م.

دلالتها، أو تنتقل من المحسوس إلى المجرد، أو العكس.[1] ولا اعتناء للبحث بمسألة التوليد الدلالي، وحسب المقام أن يشار إلى أطروحات بجامعة اليرموك مثل: "أثر التوليد الدلالي في ألفاظ الحواس": عائشة السيفية، و"تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش": سعيد أبو خضر، و"التغير الدلالي في شعر سميح القاسم": رقية زيدان.

التوليد الصرفي: الأساس في التوليد الصرفي هو: حرية إبداعية في تفعيل النظام الشكلي، المستكن في اللغة ذاتها، بما يؤدي إلى ظهور مفردات جديدة، مستقلة بأبنية صرفية خاصة، ودلالات خاصة أيضا. ويكون ذلك في العربية بطرق مثل: الاشتقاق، والنحت، والتركيب، والاختزال، والقلب المكاني، والإتباع الإيقاعي، فضلاً عمّا يتولد في اللغة من مفردات من جراء مبدأ المماثلة والمخالفة، أو من جراء الاقتراض اللغوي من (المعرّب أو الدخيل).

وفقه العربية في هذا الجانب سيل دُفاق في كلا مظهريه؛ التنظيري والتطبيقي، ولقد نعلم أن الأفهام التنظيرية اللغوية لا تنِي تُراتب مفردات التطبيق في مستويات أربعة هي: (الفصيح، والمولّد، والعاميّ، والأعجميّ)، ثم إنها تُنَمِّطُها ثانية في مستويات ستة وهي: (الفصيح، والأفصح، والنادر، والضعيف، والمُنكَر، والمتروك)[2].

---

(١) انظر: ابن مراد، إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، ص٤٨، بيروت، دار الغرب، ١٩٩٧م. والنصراوي، الحبيب النصراوي: الجاحظ معجمياً، ص١٠٢، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٨م

(٢) انظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت. محمد جاد المولى آخرين، ٢١٢/١، بيروت، ١٩٨٧م. وحجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، ص٥٣، القاهرة، دار غريب، ١٩٩٢م. الأقطش، القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في العربية، مجلة أبحاث اليرموك، عدد٢، مجلد١٥.

وباهتداء من قواعد التوليد الصرفي في العربية يتغيّا هذا البحث مقاربة مفردات لم تدخل بعد في القاموسية العامة، مع أنها غدت مرنة، وسَمُوحاً في العربية الحديثة، والسياقات اللغوية المصادقة على شهادة ولادة هذه الألفاظ في متناول كل يد، وخاصة في بلدان المشرق العربي، والأردن تحديداً.

وإذ هي مفردات تتقاصف على نمطية صرفية مقولبة من وزن (فَعْلَنَة)، فقد جاء البحث موسوماً بعنوانه المرقوم بأعلاه "التوليد اللغوي على وزن (فَعْلَنَة) في الاستعمال العربي المعاصر"

متن الاستعمال

في الذاكرة المعجمية الشفاهية:

لا مشاحة أن التفكير الحياتي العادي، به سَعَة في التصرف، تتجاوز مفهوم الاتِّباع والتقليد بل مفهوم التكرار والاجترار، والمبدأ الأساسي في توليد الألفاظ واستعمالها في عربية الحياة الشفاهية كَهُو في توليد الجمل واستعمالها، إذْ توجد في الذهن أنماط جاهزة مُقَوْلَبَة لكليهما، فالناطق بالعربية الشفاهية عليه أن يحفظ النموذج لا المثال المفرد، وعلى نسقه يتداول بالتمثيلات، ولو لم يكن سمعها من قبل، وتلك خاصية سامية مشتركة، أن توجد قوائم أبنية للمفردات، وقوائم تراكيب للجمل.

ومعلوم، أنه منذ تَفَتُّح العقل اللغوي العربي، على كينونة لغته، أدرك هذه السِّمة الغالبة، وأجرى النقاش حولها، وفق مفهوم (الميزان الصرفي) فليس لازماً في توليد مفردة جديدة في العربية، وجود سَبْك جديد وصياغة جديدة، مثلما هو عندما تُستَبْدل عُمْلة نقدية جديدة بأخرى قديمة، مع أن ذلك ليس ممتنعاً، لكنه أمر ثانوي بالمقارنة مع الخط الجارف في بناء اللفظ العربي الشفاهي خاصة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكتابي عامة؛ وهو التوليد بالاشتقاق في ضوء معيارية الميزان الصرفي، فثمة الموطن القارّ المُستَقِرّ للتوليد والتحويل، وخلق المعاني[1].

وبآية ما في العربية من مفهوم القَوْلَبة للمفردات تَتَبدّى في لغة الحياة، خاصة بإقليم الشام؛ صيغة (فَعْلَنَة) كصيغة ولودٍ، ومُستَحَبَّة في التخاطبات العادية، فلا يجدون عن بعض أمثلتها مَعْدَلاً، وقد أمكن لنا تقميش بعض من تلك المفردات الشائعة.

- **مفردات ترتد إلى جذوع لغوية من أسماء الأعيان أو الذوات:**

شَخْصَنة من الشخص، وولْدَنة من الولد، وعَقْلَنة من العَقْل، ورَوْحنة من الرُّوح، وفَتْوَنَة من الفتى، وجَسْدَنَة من الجسد، وأَنْسَنَة من الإنسان، ورَوْضَنَة من الروض، وبَقْرنة من البَقَر، وكَلْبَنة من الكَلْب، وتَيْسنة من التَّيْس، وسَعْدَنة من السعدان، وحَمْرَنة من الحمار، وجَحْشَنة من الجَحْش، وحَيْونة من الحيوان، وقَرْدنة من القِرد، وسَطْلَنة من السَّطْل، أعجمي مُشبَّه بالوعاء وهو السّطل، وزَلْمَنة من "زَلَمَة" وهو الرجل بلهجة الأردن، وقَلْسَنة من القَلْس، أعجمي معرب من أغطية الرأس، وفَكْهنة من الفاكهة.

- **مفردات ترتد إلى جذوع لغوية من أسماء المعاني:**

شَهْمَنة من الشهامة، وحَرْمَنة من الحرام، وجَدْعَنة من الجَدْع، وحَرْفنة من الحِرْفة، وفجْعَنة من الفَجاعة، وحَسْبَنة من الحساب، وجَمْعَنة من الجَمْعَة، وعَصْرَنة من العَصْر، وهَبْلَنة من الهَبَل، وحَذْقنة من الحذق، وخَبْثنة من الخُبْث، وبَحْثَنة من البحث، ودَهْنَنة من الدَّهاء، ولَوْطَنَة من اللِّواط، وسَوْفَنَة من التسويف، ونَظْمَنَة من النظام.

---

(١) انظر: الأقطش: "علاّمة وأمثالها من نعوت المذكر"، مجلة أبحاث اليرموك، عدد٢، ١٩٩٨، ص٣٢٦.

- **مفردات ترتد إلى جذوع لغوية من أسماء الصفات:**

زَعْرنة من الأزعر، وهَوْجنة من الأهوج، وفَصْحَنة من الفصيح، وهُمْجَنة من همجي، وفتونة من الفتي، وحَقْرَنه من الحقير، وقَوْدَنة من القَوّاد، وعَوْجَنة من الأعوج، ومَكْرَنة من الماكر، وفَلْتنة من فالت، أي متحرر، ووَرْشَنة من الوَرِش، أعجمي مُشَبّه بالوَرْشَة حيث تكثر الحركة، وكَوْسَنة من كُوَيِّس، أعجمي معرب يقال لصاحب الهِنْدام الحسن.

في الذاكرة المعجمية الكتابية:

لا خفاء أن مساحة التشبيه باتت ضيقة جداً بين خواص الأداء اللغوي الكتابي المعاصر، وذاك الذي كان عليه الأداء التراثي القديم؛ فعلى حين صار الأداء الأول صورة شبه حيّة ومباشرة عن لغة المشافهة، فإن الأداء الثاني، أي التراثي، قد كان شبه عُلوي عن طبقة عوام الناس، وأنصاف مثقفيهم، إنْ وظيفياً، وإن إبْداعيّاً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعوامل متعددة جعلت تدفع بالمباعدة بين الأدائين، وأظهرها، نحسبه في فورة ظاهرة (العَوْلَمة)، التي أباحت تدفق المعلومات بسهولة ورُخْص؛ فَعَبْر صَحْن صغير تَزْحَمُ أسيال من المعلوماتية إلى مُتَلَقِّيها. وبلغة عادية تهبط هي بنفسها إلى القاعدة الشعبية العريضة من عموم الناس. عوْضَ أن يرتقي الناس إليها، في نحو الصورة الفَنيَّة والبلاغية المعهودتين في المكتوبات التراثية بعامة، (عند العرب وغيرهم). ومعلوم جيداً أن لغة الأدب الحديث، من شعر ونثر، تَشْغَلُ الفصحى الحديثة العادية معظم مَشْهَدِها الأدبي.

وكذلك لم تر المعجمية الكتابية العربية حالياً إساءة، ولا حرجاً أن تعرض في طواياها أثواباً لغوية مبتكرة، أعني مفردات على وزن (فَعْلَنَة).

وقد اجتمع لنا، بمتابعة هذه المسألة بصورة عفوية حيناً، ومقصودة حيناً آخر أكثر من دليل في البرهنة على موجودية وزن (فَعْلَنَة) في لغة الكتابة، وبعض التمثيلات قد وردت في لغة لغويين كبار، وبعضها في لغة مثقفين ثقافة أكاديمية عالية، مما يعطي مؤشراً على الحاجة لهذا الوزن في الاستعمال المعاصر.

ومن الطريف أن شاعراً من الشبان من الأردن، كأنما راقه وزن (فَعْلَنَة)، فنظم عليه شعرية لطيفة ظريفة، وفي مَذاقَة اللغة الفكاهية، وهو الشاعر: (محمد الحيفاوي)، وقد صاغها في صورة نصيحة أب لابنه العاقّ، وقد تضمنت المفردات (زَعْرَنة، ولَدْنة، قَرْصَنة، حَمْرَنة، عَصْرنة، عَرْصَنة).

يَكْفيك زَعْرَنَةً تَدْمى لها المُقَلُ ... هَلْ خَفَّ عَقْلُكَ أم ضَلَّتْ بِكَ السُّبُلُ
قَدْ شابَ رَأْسُكَ والأفْعالُ وَلْدَنَةٌ ... قَدْ هَدَّني أَلَمٌ وانْهَدَّ لي أَمَلُ
قَدْ تَنْهَلُ اليومَ منْ أعمال قَرْصَنَةٍ ... مِمَّنْ أَسَأْتَ لَهُمْ مَنْ مِنْكَ قد نَهَلوا
هذا لَعَمْرُكَ في دُنْياك حَمْرَنَةٌ ... والعُمْرُ يجري فيا رباه ما العملُ
كُلُّ النَّصائح لم يَحْفَلْ بها أبداً ... إنْ تلك عَصْرَنَةٌ أودى بها الأَجَلُ
وكيف تَشْفَعُ لِلْقُرصانِ أدْعِيَةٌ ... والفِعْلُ عَرْصَنَةٌ ما ذاك يُحْتَمَلُ
إنّي همست بروض فيه سَوْسَنَةٌ ... قد صار مُرّاً على أشداقنا العَسَلُ

ومن المفردات المُسْتَنْخلة في مكتوبات الكاتبين المعاصرين؛ نورد ما يأتي:

أَرْخَنَة: "لأول مرة يتجرأ باحث على أَرْخَنَة النص القرآني"، "هاشم صالح، بترجمة الفكر الإسلامي واستحالة التأصيل، لمحمد أركون، بيروت ٢٠٠٧، ص٥٠".

أَنْسَنَة: "المبادئ التي انبنت عليها قراءات التأويل عند محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد هي: العَقْلَنَة، والأَنْسَنَة، والأَرْخَنَة، "محمد زاهد جول، "النص والتأويل"، مقال بمجلة التسامح العمانية، ص٢٢٥".

بَدْوَنَة: "ظهور العربية قد بدأ من خلال عملية البدونة، "محمد الشرقاوي، بترجمة: اللغة العربية إلى أين، لـ فرستيغ، ص٣٩".

حَرْفَنَة: "مثل قولهم: نفذها بِحَرْفَنَة، وقولهم: عَصْرَنَة الدراسة، أو الدولة"، "محمد عبده فلفل، رصدها في لغة الصحافة السورية في كتابه "اللغة العربية"، ص١٠٠".

حَرْكَنَة: "الحركنة الثقافية والسياسية، بمعنى الانخراط في مخطط ثقافي سياسي"، "محمد الأوراغي، التعدد اللغوي، منشورات كلية الآداب بالرباط، ٢٠٠٢ ص، ٣٦"

شَرْعَنة: "قال: إنه لا يعطي شرعنة للمحكمة في ظل الاحتلال"، "عدنان الدليمي، مقالة بالرأي الأردنية، ٢٠٠٦/١١/٥".

شَخْصَنَة: "شَخْصنة المسائل تضعف مفهوم الحوكمة الرشيدة للشركات"، "أمية طوقان، مقالة بجريدة الرأي الأردنية، ٢٠٠٦/١١/٥".

شَكْلَنَة: "يقدم البحث الخطوط العامة للنظرية المعجمية المُشَكْلَنَة"، "أمين عبدالكريم، ندوة العربية إلى أين ، ص٣٥٦، جامعة الجنان، طرابلس، ٢٠٠٦م".

عَصْرَنَة: "أي مقدار من التحديث والعصرنة قد صارت إليه عملية التعليم"، "رنا بكداش، ندوة العربية إلى أين، جامعة الجنان، لبنان، ٢٠٠٦م، ص١٢١".

عَقْلَنَة: "في العامية نوع من عَقْلَنة الواقع، بدون التخلي عن لذة الانتصار"، "فؤاد بريكي، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد (٨)، ١٩٩٢م، ص٢٧".

– "الشيء الوحيد الذي لا تستطيع أن تنتقده نقداً مُعَقْلَناً هو الإطار"، "حمزة المزيني، بترجمة: الغريزة اللغوية، لـ ستيفن بنكر، ص٥١٥".

قَطْعَنَة: "القطيع لا يؤتمن، والقَطْعَنَة التي شملت البشر حرمت الإنسان خصوصياته"، "خيري منصور، الرأي الأردنية، ١٠/ ٦ / ٢٠٠٨".

قَوْنَنَة: "المحكمة العليا وراء قوْنَنَة تشريع عدم الشَّمل بين الفلسطينيين"، "الرأي الأردنية ٢٠٠٦/١١/٥".

فَعْلَنَة في كتب التراث:

ما أوردناه بمطاوي البحث آنفاً، عن تمثيلات (فَعْلَنَة) الكتابية، يعطي شهادة مصادقة على ارتقاء السيادة لهذه الصيغة، بتحولها إلى المعجم الكتابي العربي، وفي العادة: أن المكتوب منظور إليه في العربية على أنه لغة فصيحة، وذات قبولية ومشروعية، خاصة عند تداوله بأقلام الكتبة الأكاديميين.

وفي حاقّ الأمر فإن الباحث يَشُقّ عليه أن يرصد استعمالاً لوزن (فَعْلَنَة) في التراث الصرفي القديم، فلا تسجيل له في كتب الأبنية الصرفية، وعلى كثرة الأبنية المتولدة من مصادر الثلاثي المجرد، بما يزيد على نيف وثلاثين وزناً، ما بين أساسي ومستدرك ملحق بالأساسي[1]، فلا ذكر لـ (فَعْلَنَة).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيد أن كتب الأبنية مُتَقاطِرة على سَرْد صيغة أخرى، كأنما هي الأم لـ(فَعْلَنَة) وهي (فَعْلَن)، وهي صيغة تُذْكر، عادة، في أبنية الإلحاق، مما يتولد بزيادة لاحقة النون في آخر الثلاثي ليصير رباعياً، وتكون في بنية اسمية أو وصفية، لكن ليس ضمن أبنية الأفعال. وهناك مفردات شبه محفوظة بأعْيُنها تتكرر في هذا الصدد:

---

(١) انظر: نور الدين، عصام نور الدين: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص١٣٩، المؤسسة الجامعية، بيروت. ونعيم، مزيد نعيم: الصيغ الرباعية والخماسية، اشتقاقاً ودلالة، ص٢٤٣، دمشق، ١٩٨٣م. وظافر يوسف: أبنية الأسماء المستدركة على سيبويه، مخطوط، جامعة حلب، ص٤١، ١٩٨٤. والحديثي، خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ، ص١٠٩.

• (امرأة خَلْبَن، أي خرقاء، وناقة عَلْجَن، أي غليظة، ويَدٌ رَعْشَنَ، أي مرتعشة، ورجل ضيفن، أي مضياف)[1].

• وكذلك ما أورده ابن السكيت (٢٤٤هـ) في الإبدال والمعاقبة "باب ما تُزاد فيه النون، فقال: قال الأصمعي: زادت العرب النون في أربعة أحرف من الأسماء، قالوا: رَعْشَن للذي يرتعش، وللضَّيْف ضَيْفَن، للذي يحضر مع الضيف ليأكل ما يُقْرى الضيفان، قال الشاعر:

إذا جاءَ ضَيْفٌ جاء للضَّيْف ضَيْفَنُ فَأَوْدى بما يُقْري الضُيوفَ الضَيَافِنْ

• وامرأة خلبن، وهي الخرقاء، وليس هو من الخلابة، وناقة علجن، وهي الغليظة الجسْرَة المُسْتجمعَةُ الخَلْق، وأنشد من الرجز:

وخَلَّطَتْ كُلُّ دَلاَث عَلْجَنِ تخليطَ خَرْقاءِ اليدين خَلْبَنِ[2]

• وقال المازني: فإذا وجدت حرفاً من حروف الزيادة سوى الواو، والياء، والألف، في شيء يُشْتق من معناه ما يَذْهَب فيه، فاجعله زائداً، نحو رَعْشن، لأنه من الرَعْشَة، يدلك على ذلك قوله:

من كُلّ رَعْشاءَ وناجٍ رَعْشَنِ[3].

---

(١) انظر: سيبويه، الكتاب، ٢٧٠/٤، طبعة هارون. وابن يعيش: شرح التصريف الملوكي، ت: قباوة، ص١٨٥، حلب، ١٣٩٣هـ. وابن عصفور: الممتع في التصريف، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ، ٢٧١/١.

(٢) ابن السكيت: الإبدال والمعاقبة، ص١٤٩، وانظر: السيوطي المزهر، ٢٥٩/٢، شرح، محمد جاد وزميله، بيروت، ١٤٠٨هـ. وابن جنى: الخصائص، ٣٦٠/١. ت، النجار. دار الهدي، بيروت. وابن عصفور: الممتع في التصريف، ٢٧١/١، ت: قباوة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣) ابن جني: المنصف، ١٦٦/١، ت: إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة، ١٩٥٤م.

وفي المظنون الراجح لدينا أن إمساس المعنى المفاد من وزن (فَعْلَنَة) قد عرفته الفصحى التراثية في صيغة (فَعالَة)، وهي صيغة شائعة في استدعاء مفردات تنتمي إلى حقل دلالي (في الطبائع أو المعاني الثابتة)، مما له خاصية الثبوت أو الوجود على حالة مطلقة، ومن اليسير عرض سلاسل مفردات تُمعْجِمُ خصيصة الطبع أو ما يشبهه، من المعاني المجردة الثابتة، ومنه:

- جَهالَة، حَقارَة، فَطانَة، بَلادَة، صَلابَة، بَطالَة، جَلادَة، خَزايَة، صَغارَة، ضَآلَة، طَراوة، حَداثَة، هَناءة، صَواتة، صَرافَة، سَلامَة، مَراءَة، سَذاجَة، شَباهَة، فَكاهَة، عَبالَة، نَكالَة، نَكارَة، طَعامَة.

وكذلك فإن المفردات من وزن (فَعْلَنَة) ترد في معنى الدلالة على (الثبوت والوجود على حالة)، لكنها حالة مقيدة لا مطلقة، من حيث لم تكن حالة الثبوت واضحة في صاحبها، ثم تحولت إلى الثبوت والاتصاف؛ ولا يستبعد أن يكون العدول من (فَعالَة) إلى (فَعْلَنَة) به قيمة مخالفة ومفارقة بين كلام فصيح وآخر عاميّ؛ ومن شأن لغة الحياة العادية إحداث اختراقات لغوية، بالزيادة أو النقص؛ وفضل كلام عن هذه النقطة سيرد في موضعه لاحقاً من هذا البحث، وكفاية المقام هنا أن نجري المقابلة الموالية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- **في الفصيح:** جَهالَة، حَقارَة، سَفالَة، عَباطَة، تَياسَة، جَحاشَة، زَعارَة، شَهامَة، بَداوة.

- **في العامي:** جَهْلَنَة، حَقْرَنَة، سَفْلَنَة، عَبْطَنة، تَيْسَنة، جَحْشَنة، زَعْرَنة، شَهْمَنة، بدونة.

تَبَرْعُم وزن (فَعْلَنَة):

تحسن الإشارة إلى أن وزن (فَعْلَنَة)، قد تَبَرْعَمَ في الاستعمال المعاصر، بمقتضى معيارية النظام الاشتقاقي الصرفي في العربية، فتولدت منه صيغ

صرفية ما بين اسمية وفعلية، ولا غرابة؛ فالمنهج الجذري، الذي عليه تكوين المفردات العربية، يُبيح استدعاء مواد لغوية تكميلية، لم تُرصد سماعاً من قبل، واستثماراً للطاقة التوليدية الكامنة في كل جذر لغوي على حَدّه، وحسب الاحتياج إليه.

وصحيح أنه في المفردات المُستَجِدة تَقْبَعُ مشكلة الاعتراف بها من عدمه، ولكن ذاك مَشْغَلة فقه الفقهاء باللغة، لا اللغة نفسها، فاللغة شيء وعلم اللغة شيء آخر، تماماً مثلما الشريعة شيء، وفقه الشريعة شيء آخر، والمتحصل أنه توجد مفردات جديدة، وعدم الاعتراف بها لا يعني نفيا لوجودها.

وقد كانت فئة مُتَنَوّرة من علماء السلف على إجازة المُتَغَيِّر اللغوي، ومن قواعدهم "أنه إذا صَحّ الاسم فالفعل بالكفّ" يريدون أن القياس ضامن بَلِمّ الشمل، وبالتوسعة إلى باقي التصاريف اللغوية، عند عَوَز الحاجة إليها.

فابن منظور يورد في لسان العرب قوله: "ليس في الأفعال (فَعْلَنَ)، وإنما هو في الأسماء، نحو عَلْجَنٌ، وخَلْبَنٌ، ولكن مجيء الاسم على وزن (فَعْلَن) يوجب أن يجيء الفعل على وزنه أيضاً، لأن الاسم هو الأصل، والفعل تفرع منه، مثل: عَرْجَنَه بالعصا، ضربه بالعرجون"[1].

ومنه قولهم: دَرْجَنَت الناقة على ولدها دَرْجَنة: رمته بعد نِفار، وبَحْثَن في الأمر بَحْثَنَة: تراخى فيه.

ومن توسُّطات القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، بين المتنبي وخصومه نورد المناكفة الموالية "قوله (أي المتنبي):

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرجن).

فِـدىً مَـنْ عـلى الغَبْراءِ أوَّلُـهم أنا لـهذا الأَبيِّ الـمـائِـدِ الـجَائِدِ القَرْمِ

قالوا: لم يُحْكَ عن العرب: الجائد، وإنما المحكيّ عنهم رجل جـواد، وفـرس جواد، ومطر جواد.

قال المحتج: "هذا الباب يُستغنى فيه بالقياس عن اسماع لاطّراده، واتساق أمره على الاعتدال، فكلُّ فِعْل في الكلام يقتضي التصريف إلى فاعِل ومفعول، وكل فِعْل فله مُفْعِل ومُفْعَل، ولسنا نحتاج في مثل هذا إلى التوقّف، واتباع المـسموع، وهـذا أشبه بمذاهب القياس، والأصل الذي عليه أهل اللغة"(١).

وعليه كان قرار لجنة الأصول في مجمع اللغة بالقاهرة؛ قبول ما يشيع علـى ألسنة المثقفين من نحو: عَلْمَنَ، وعَضْوَنَ، وعَقْلَنَ، ومصادرها، وما يـشتق منهـا، على أن تعدّ النون زائدة. وفي الموضوع بحث للدكتور محمد حسن عبـدالعزيز(٢) بعنوان: "زيادة النون في فَعْلَنَ وما يشتق منها، وقد أطلعنا عليه ولـم نجـد فيـه الإضافة التي نتغياها من جراء بحثنا هذا، وهو يذهب إلـى أنَّ ولادة هـذه البنيـة جاءت لسَدّ حاجة الترجمة للمصطلحات الأجنبية: فالذين يقولون (يُعَلْمن) يريـدونها بإزاء الفعل Secularize بمعنى يجرد العلم عن صفته الدينية، والـذين يقولـون (يُعَضْون) يريدونها بإزاء الفعل Organize، بمعنى يجعله عضواً، والذين يقولون (يُعَقْلِن) يريدونها بإزاء الفعل Rationalize، بمعنى يجعل الشيء عقلانياً.

---

(١) القاضي الجرجاني: الوساطة، ت: محمد أبـو الفـضل وآخـرين، ص٤٧٠، القـاهرة، ١٩٦٦م.

(٢) عبد العزيز، محمد حسن عبدالعزيز: زيادة النون في فَعْلَن، مجلة مجمع اللغة بالقـاهرة، ج١، مجموعة القرارات العلمية، ص٣٤١.

وثمة إشارة لطيفة جداً، قد تنبّه إليها، وهي: توظيف بنية "فَعْلَنَة" في توليد المصطلحات العلمية لدى علماء الطبيعيات، وإثباتهم إياها في المعجمات المتخصصة؛ للدلالة على وجود المادة نفسها في الشيء ذاته؛ ومنه أن يقال في عوارض "الدم أو البول": حَمْضَنَة، وقَلْوَنَة، وفَحْمَنَة، وصَفْرَنَة، وبَوْلَنَة، وشَحْمَنَة ... إلخ.

مرونة الاشتقاق من الرباعي:

لا خفاء أن العربية الحديثة، تميل كثيراً إلى تنشيط التوليد اللغوي على نسق المثال المُتَوطِّن في الذاكرة جيداً، وذاك هو قالب الرباعي المجرد (فَعْلَل)، والأمر على سواء في هذا الصدد بين أن يكون الرباعي مُرْتَجلاً بأصل الوضع وجامداً في مادته مثل (جعفر)، أو أن يكون رباعياً بالتكبير من أصل ثلاثي، مثلما هو في وزن (فَعْلَنَة) بعامة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى نحو لم يكن مُشْتَهَراً قديماً، تتبدى علاقة تلازُم وثيقة بين الرباعي المجرد والمصطلحات العلمية المعاصرة؛ مما يعكس سلوكاً اجتماعياً ينتحي بالعقل من المحسوس إلى المجرد. وقد لا يُدْفَع بنكران قاعدة تنص على أن صياغة معنى (التفعيل) ترد في عربية اليوم على وزن (فَعْلَلَة)، وخاصة في ألفاظ الحضارة من معربة أو دخيلة، مثل: بَرْمَجَة، ودَبْلَجَة، وفَرْمَتَة، ومَكْنَكَة، ...إلخ.

وبأية حال؛ فإنه من المؤكَّد أن تَوَلُّدات صرفية مختلفة، قد صارت باليد من هذا المنوال، من نموذج (فَعْلَنَة) وتفرعاتها. وبالوسع التكلم عن القياس في مفردات مثل:

- عَلْمنَ، يُعَلْمِنُ، عَلْمَنَة، جعل الدولة علمانية.

- تَشَهْمَنَ، يتَشَهْمَنُ، شَهْمنة، مَتَشَهْمِن، لمن يتصف بالمروءة والنخوة.
- تَزَعْرَن يَتَزَعْرَن، زَعْرَنَة، مُتَزَعْرِن، لمن يتصف بفعل الشُّطار والعَيّارين.
- تَوَلْدَن، يَتَولْدَن، وَلْدَنة، مُتَوَلْدِن، لمن يتصف بفعل صغار الناشئة أو الأطفال.
- تَتَيْسَنَ، يَتَتَيْسَن، تَيْسَنة، لمن يتصف مجازاً ببعض صفات الحيوان (التيْس).
- تَحَزْبَن، يَتَحَزْبن، حَزْبَنَة، لمن يقف مناصراً لهذا الحزب على غيره.

وللعامية الدارجة في الأردن غرامة بتوليد مفردات فعْليَّة من النمط المقطعي (ص ح ص+ ص ح + ص ح ص) من مقطعين مغلقين طويلين بينهما مقطع قصير مفتوح (حَسْبَنَ المسألة) وقد رصدناها مستعملة في لغة الصحافة، لكنها قد استبدلت مؤخراً بـ (حَوْسَبَة)، المقيسة على نسق مفردات (عَوْلمة). وهو مسلك يدفع إليه درء اللبس في دلالة المفردات، ضمن نظرية المخالفة اللغوية المعهودة في معظم اللغات البشرية[1]، فصارت (حَسْبَنَة) لمعنى الظن، و(حَوْسَبَة) لمعنى الحساب، وكذلك (عَلْمَنَة) من فِعْل ذي علاقة بالعِلْم الموضوعي، و(عَوْلَمَة) من فِعْل ذي علاقة بالعالَم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقع كثيراً أن تتصدر البنية الصرفية هنا بسابقة دالة على المضارعة بمقطع قصير مفتوح (يَتَجحْشَن جَحْشَنة) من فعل مجازي له بعض طبع ولد الحمار، وهو يطرد عند قصد تحويل هذه الصيغ من التعدي إلى اللزوم، وعندها يصير لها معنى المطاوعة مع المعنى المجرد للفعل.

ومن قواعد الإرشاد المعلومة في اللغات بعامة، أنه إذا ضارع شيء شيئا، لمناسبة بينهما، ضارعه الآخر؛ وكذلك أخذت اللغة الشفاهية تسبك مفردات عديدة من نسق (مَصْرَنة) الوظائف العامة، وبالقياس أن يقال: (عَمْنَنة) الوظائف

---

(١) انظر: هريدي، أحمد هريدي، المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي، ص٨٠، القاهرة، مكتبة الزهراء.

في عُمان، و(بَحْرنة) الوظائف في البحرين، وكذا قَطْرَنَتُها في قطر، ولَبْنَنَتها في لبنان، ومنه (بَلْقنة) الدولة من جعلها على شاكلة دول (البلقان) مجزّأة، ومعلوم أنه لا يقال (سعدنة) الوظائف في السعودية بل (سعودة) احترازاً من مفهوم الحيوان (السعدان)، وكذا لا يُقال (عَرَقَنَة) في العراق، احترازاً من مفاهيم سلبية دالة على العرق. والمهم في هذه الأمثلة ونظائرها، هو الشبه في الصورة المقطعية، لا في الوزن الصرفي، أهو فَعْلَنَ، أم فَعْلَلَة؟

والراجح أن مثل هذا المسلك اللغوي في إحداث النسبة، هكذا، على (فَعْلنة) مرتبط بالنزعة التحليلية في لغة الحياة اليومية الشفاهية، وهي نزعة مؤداها الميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي اللغوي، بتجاوز الصعوبة إلى السهولة، وبإسقاط العناصر اللغوية غير التوليدية، وغير الفاعلة على مستوى المعنى[1].

وكثيراً ما تلجأ لغة الحياة الشفاهية هنا في الأردن إلى مفهوم البنية المُجَرَّدة للتعبير عن الكليات الذهنية في مجال أسماء الأعلام الخاصة بالقبائل، فثمة فُشُوٌّ عارم لبنية جمع تكسير من نمط (فَعالِلة) وما يماثلها مقطعياً، إذ تُزاد بذْيلها (تاء للتأنيث) مربوطة، فتغدو دالة (نسبة اعتباطية) إلى المجموع الكلي من أفراد القبائل، وللتمثيل نذكر:

- أقاطشة، طراونة، خصاونة، عثامنة، ضراغمة، حتاملة، بلاسمة، عجارمة، جعافرة، ربابعة، طلافحة، شخاترة.

وعاقبة ما نشير إليه من التبرعمات المقاربة لما نحن بصدده، ما تورده، مصنفات كتب الأبنية التراثية من وجود صور صرفية نظرية لوزن (فَعْلَنْ) الوصفي، قد زيدت عليها تاء مربوطة بآخرها، مثل قولهم:

---

(١) انظر: فيلد، شتيفان فيلد، لغة الكتابة العربية في الحاضر، ترجمة سعيد البحيري، ص١٤٣، ضمن دراسات في العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

• فُعْلُنَة: امرأة سُمْعُنَة نُظْرُنَة للكثيرة النظر والاستماع، وتُضبط كذلك على وزن "فِعْلِنة" وأحياناً بتشديد النون (سُمْعُنَّة نُظْرُنَّة) ونحو خُلْفِنَّة لكثير الخلاف من ذكر أو أنثى، ومنه عِرْضِنَة، ورجل زِقْحِنَة للضيّق الخُلُق، وإلْفِنَّة للشرير.

وليس باليد من مَأثُور كلام العرب ما يوثّق صحة الأمثلة هنا، ونحسبها من أثر صنعة القياس الصرفي حسب[1]، لكنها تبقي طاقة مخبوءة في النظام المعياري بالصرف العربي عند عوز الحاجة إليها؛ لعدولات شعرية، أو خطابية، أو أسلوبية، أو غير ذلك.

فَعْلَنَة أم فَعْلَلَة؟

التخالف في وزن المفردات بطيه سالفاً على (فَعْلَنَة أم فَعْلَلَة)، إنما هو تخالف لفظي محض، وفي الشكل لا الجوهر، فملتقى الوزنين، من ناحية مقطعية، واحد تماماً، وكلاهما له خاصية الدخول في الجدول التصريفي العربي (جنساً، وعدداً، وتَعْيناً، وزَمَناً...) على سواء؛ ثم إن الإعراب يجرى عليهما سواء بسواء أيضاً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيد أن تفكيك البنية اشتقاقياً سيفضي ضرورة إلى القول بوزن (فَعْلَنة) عند من يقول بالزيادة في (النون)، وإلى القول بوزن (فَعْلَلة) عند من يقول بالأصلية في (النون)، وهذه وجهة نظر في مسألة يجوز فيها الاختلاف في وجهات النظر، وكل ذلك لا يطعن في موثوقية التكوين الوجودي للمفردات بأنفسها.

وقد كان من مذهب جمهور علماء الصرف القدماء أن النون زائدة صرفية في (فَعْلَنة) وليست بأصل فيها، وزيادتها قد عُدّت من مبادئ الزيادة (للإلحاق) [2]، والجذع فيها يكمن في ثلاثة الصوامت الأولى، وهي حَمّالة للمعنى الأساس فيها،

---

(١) انظر: يوسف، ظافر يوسف، أبنية الأسماء، ص١٨٦.

(٢) انظر: ابن القطاع: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ت. أحمد محمد عبدالكريم، ص١٠٢، القاهرة، ١٩٩٩م.

وإنما تتسع بالنون اتساعاً يلحقها بأبنية الرباعي المطرد بأصل الوضع، وتبعاً لمنظور علماء السلف أولئك؛ فهي زيادة لفظية لا معنوية[1]، وليس بوسعنا التوافق وهذا الفهم، الذي يراها زيادة لفظية، بل، هي زيادة معنوية، وذات دلالة مخصوصة؛ وفي القَابِل من الفقرات نورد تكلماً عن هذه الناحية بأوضح منه هنا.

على أننا لا نجري القول بوزن فَعْلَلَة في المفردات الأخرى الجامدة، والجُلْمود هكذا بأصل الوضع فيها، ونَعُدّها مندرجة الوزن تحت أنموذج (فَعْلَلَة)، تفريقاً للأصلي عن المزيد، فالمفردات الموالية كلها أصلية النون، وعلى فرض القول بزيادة النون فيها فهي من الزيادة اللفظية، تلك التي لا يفيد معناها، من خلال النون، تضيّقاً، ولا اتساعاً.

ولا اعتناء لهذا البحث بالمفردات المتولدة بهذه الطريقة، وللتمثيل عليها نسوق الأمثلة الآتية:

• (شَيْطَنَة، ورَهْبَنَة، وقَطْرَنَة، وعَرْبَنَة، ودَهْقَنَة، وقَرْصَنة، وسَلْطَنَة، وفَرْعَنَة، وحَيْوَنَة) من شيطان، ورهبان، وقطران، وعربون، ودهقان، وقرصان، وسلطان، وفرعون، وحيوان.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالتصريف الذي يقع في هذه المفردات، وأضرابها من أفعال، ومصادر وأسماء فاعلين أو مفعولين لا يُخْرج القول فيها عن جمودها، واعتبار صامت (النون) من بنية الجذع فيها[2]، وكذا يُقال في المسموع من مفردة (أُرْدُنَّة الوظائف) فالزيادة الصرفية الموسعة للمعنى هي في (التاء)، وما قبلها لا يعدو كونه من الجامد المحفوظ سماعاً واعتباطاً.

---

(١) انظر: الشايب، فوزي الشايب: الإلحاق في اللغة العربية، ص٥٠، مخطوطة بجامعة عين شمس، ١٩٧٨م. ومحمد خير حلواني: المغني الجديد في علم الصرف، ص٩٦، بيروت، دار الشرق.

(٢) انظر: ترزي، فؤاد ترزي: الاشتقاق، ص٢٥٨، بيروت، ١٩٦٨م.

التكوين الصرفي في وزن (فَعْلَنَة):

قد وضُح مما أزجيناه بالفقرات الفارطة من أمثلة هذا الوزن (فَعْلَنَة) أنها بنية من السهولة تشْقِيقُها إلى ثلاث الوحدات الصرفية الآتية: وحدة (الجِذْع)، ومكونة من ثلاثة صوامت صحاح، ووحدة (النون) المزيدة رابعة بعد وحدة الجذع، ووحدة (التاء) بآخر الصيغة.

وحدة (الجِذْع): وهي الصورة المجردة الجامدة للصيغة في صورتها المعجمية الأساسية، ومن هذه الصيغة توسعت عربية لغة الحياة العادية بالاشتقاق منها، بالزيادة فيها، أي بالاشتقاق من الجذع الجامد، من (تَيْس، وكَلْب، وبَقَر، وحمار... الخ) إلى تيسنة، وكلبنة، وبقرنة، وحمرنة).

ونعلم أن التحويل المعجمي بالاشتقاق من الجامد ظاهرة واضحة في القرآن، والحديث، وفي الفصحى التراثية، وللتمثيل نشير إلى الموالي بأدناه[1].

- (تسَوَّروا): "{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}. اشتقاق من (السور). (ق. ٢١/٣٨، ص).
- (أدوأ): في الحديث عن الجَدّ بن قيس وكان بخيلاً، وأيُّ داء أدْوَأ من البخل، اشتقاق من (الداء). (الأزهري: تهذيب اللغة ٤٤/١).
- (أشْهَرْنا): قال الفراء: قال لي بعض العرب: أَتُرانا أشْهَرْنَا مُذْ لم نلتق؟ أراد مَرّ بنا (شَهْر)، (معاني الفراء ٣٩٨/١).

---

(١) انظر: قنيبي، حامد قنيبي: الاشتقاق وتنمية الألفاظ، مجلة اللسان العربي، ص٨٥، عدد ٣٤، سنة ١٤١٠هـ. وعياش فرحات: الاشتقاق ودوره في نمو اللغة، ص٦٨، الجزائر، المطبوعات الجامعية، ١٩٩٥م.

- (رأسوك): قال يونس للكسائي بعد مناظرة بينهما، أشهد أن الذين رَأَسُوك قد رَأَسُوك باستحقاق، أراد صيّروه رئيساً فيهم: (تاريخ بغداد ٤٠٨/١١).
- (تَذَرَّيْت): اشتقاق من (الذروة).
- أنا سَيْفُ العشيرة فاعرفوني حُمَيْداً قد تَذَرَّيْتُ السَّناما

" حُميد بن ثور"

وحدة (النون): مجيء النون زائدة رابعة في أبنية اسمية، وأخرى وصفية مما لقَطَهُ علماء السلف، وقد كانت بؤرة المناكفة فيما بينهم حول تعيين الوظيفة الصرفية لهذه (النون)، مع إقرارهم كلهم بأن النون هي الصوت الأشدّ مرونة، والأكثر استعمالاً عند قصد التوليد المعجمي بتكبير المفردات أو تضييقها. ويشرك (النون) بهذه الخصيصة سائر حروف (الذَلَق والشَّفَويّة) وهي (الياء والراء، والفاء، واللام، والميم)، فليس شيء من بناء الخماسي التام يَعْرى منها، أو من بعضها "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية، مُعَرّاة من حروف الذَلَقَ أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد، أو اثنان، أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، وليست من كلام العرب"[1].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن القولات المعاكسة بأصالة (النون) لا بزيادتها تَعْزوها المكتوبات الصرفية القديمة إلى أبي زيد الأنصاري، الذي زعم أنه يُقال: ضَفِنَ الرجل يَضْفَن، إذا جاء ضيفاً مع الضَيف، وضَيْفَن في هذا المذهب "فَيْعَل"، وكذلك قال بأصالة النون ابن عصفور، فأما سيبويه، وابن جني والجمهور فعلى القول بزيادة النون[2].

وحدة (التاء) المربوطة: تَشْغَلُ الوظائف الصرفية لمقطع "التاء المربوطة" مساحة واسعة في الفضاء الصرفي العربي، قديمه وحديثه[3]، ويُناسب موضوع

---

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، ٤٤/١.

(٢) انظر: ابن جني: المنصف،١٦٨/١. ت. إبراهيم مصطفى. وزميله، مصر، ١٣٧٣هـ. وابن عصفور، الممتع، ٢٧١/١.

(٣) انظر: الأقطش، عبدالحميد الأقطش، "علاّمة وأمثالها من نعوت المذكر"، ص٣٣٨.

البحث المائل هنا، ما يتعلق بالدلالة المُفادة من زيادة (التاء المربوطة)، وهو ما عليه التكلم بالفقرة أدناه.

وعلى العموم فإن التكوين الصرفي لوزن (فَعْلَنَة) يَهْتَضِم مفردات عربية محضة، وأخرى دخيلة مُجَنَّسة، ومن هذا النمط الأخير قولهم (وَرْشَنَة) لمن يتصف بالوراثة من اللفظ الدخيل هو (الوَرْشَة)، وقولهم (سَطْلَنَة) لمن اتصف بالعياء والغباوة مُشَبَّهاً بالآنية المعروفة بـ (السَّطل) وهو دخيل شبيه بالدَّلْو، ومثله (فَكْهَنَة) من لفظ مُعَرَّب هو (الفاكهة).

ويكاد وزن (فَعْلَنَة) يأخذ نسق (المصادر الصناعية) في تَولّده مثلها: من أسماء ذوات، ومن صفات، ومن مصادر، بما يفضي في كُلّيته إلى توليد (اسم معنى مجرد)[1]، مع ملاحظة أن المعنى المجرد في المصدر الصناعي متولد أساساً، من طريق إلحاق وحدة صرفية زائدة هي: (الياء المشددة والتاء المربوطة)، وذلك بآخر أيّما بنية صرفية، متصرفة أم غير متصرفة مثل: (كَمِّيَّة، ماهِيَّة، حُرِّيَّة، رجُولِيَة، استراتيجيَّة). وكذلك هو الشأن في المعنى المجرد من المصدر على وزن (فَعْلَنَة)، حيث تُلحق وحدة صرفية زائدة أيضاً هي (النون والتاء المربوطة)، ولكنها تبقى وحدة مقيدة ببناء شكلي ثابت النسق، وملحق بالرباعي المجرد من وزن (فَعْلَلَة). ولقد يصح جداً أن ينعت المصدر على وزن (فَعْلَنَة) بـ (المصدر النوني)، قياسا على مصطلح (المصدر الميمي).

---

(١) انظر: شحاتة، محمد شحاته، المصدر الصناعي في العربية، دراسة صرفية دلالية، دار غريب، القاهرة، ص٨٥.

الخطاب الوظيفي لوزن (فَعْلَنة):

يَنْتهي ما جرى عرضه من أمثلة (فَعْلَنَة) إلى أنها ظاهرة تجتذبُ التفكير إليها، وليست حالة فردية فَتُهْمل، وأنها من تفاوُضات الناس الشَّعبيين ببلاد الشام عامة، والأردن خاصة، وأكثر مقاماتها تداولاً أن ترد في خطابات سلبية عند مزاولة: الظرافات، والفكاهات، والمعايب، وبنحو محدود في خطابات إيجابية جادة عند مزاولة: المحاسن والفضائل.

وبعض من أمثلة (فعلنة) قد تَسَرّب إلى اللغة الكتابية هنا أو هناك عند فئة من اللغويين العرب المحدثين، مما يعني أنها قد صارت صيغة قياسية، وولوداً في اللاَّوَعْي الجَمْعي العربي الحالي.

وإذْ ليس ضرورة أن يكون للصيغة معنى مُطَّرد يُنْسَب إليها، وتَتَصاقب مُفرداتها عليه، فإنه قد يشار إلى ثلاث النواحي الدلالية بأسفله، بوصفها الأبرز تداولاً في وظائفها الخطابية السِّياقية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الإفصاح عن معنى لم يكن سجيّة، ولا طبعاً في صاحبه، ثم تَحَوّل إليه، ولابسه، واتّصف به، فصار أمارة عليه، وصفة شبه ثابتة في سلوكه.
- الإفصاح عن معنى النسْبة الاعتباطية بين مُنَفذ الحَدَث، والحدَث نفسه.
- الإفصاح عن معنى المبالغة في المِهَن الاجتماعية، والمعنوية خصيصاً.
- الإفصاح عن معنى عام هو: الجعل والاتخاذ.

المقترح: الكثرة في الاستعمال، والاطراد في النظام، الملحوظين في وزن (فَعْلَنة)، كلاهما يَدْفع باقتراح إلى المجامع اللغوية العربية، فَتُدْرِج هذا الوزن، ضمن الأوزان القياسية من أوزان المصدر الرباعي، خاصة في معنى (التحوُّل نحو الاتصاف بصفة)، وكذلك يَجْدُر بها أن تَنْضاف إلى الثروة المعجمية، التي يحوزها مَتْنُ العربية المعاصرة.

وهذا آخر ما تيسر في الموضوع، وبالله التوفيق.

المراجع

- ابن منظور: **لسان العرب** (طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ط، ١٩٠٠م.

- الأزهري: **تهذيب اللغة**، تح: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ط، ١٩٦٤م.

- سيبويه: **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

(ضمن دراسات في العربية)، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- ابن القطاع: **أبنية الأسماء والأفعال والمصادر**، تحقيق: أحمد محمد عبدالكريم، د. ن، القاهرة، ١٩٩٩م.

- ابن جني: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدي، بيروت، د. ت.
المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وآخرين، د. ن، القاهرة، ١٩٦٠م.

- ابن السكيت: **الإبدال والمعاقبة**، بلا تفاصيل نشر..

- ابن عصفور: **الممتع في التصريف**، تحقيق: فخرالدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- ابن فارس: **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق: الشويمي، بيروت، د. ن، ١٩٦٣م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ابن يعيش: **شرح التصريف الملوكي**، تحقيق: فخرالدين قباوة، د. ن، حلب، ١٣٩٣هـ.

- الأقطش، عبد الحميد: **طليعة التفكير اللغوي العربي إلى نهاية صدر الإسلام**، مجلة الآداب، جامعة منتوري، الجزائر، عدد٧، ٢٠٠٤م، **القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في العربية**، مجلة أبحاث اليرموك، عدد٢، مجلد١٥. **علاّمة وأمثالها من نعوت المذكر**، مجلة أبحاث اليرموك، عدد٢، ١٩٩٨م.

- ترزي ؛ فؤاد ترزي: **الاشتقاق**، د. ن، بيروت، ١٩٦٨م.

- الحديثي؛ خديجة الحديثي: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- الحلواني؛ محمد خير: **المغني الجديد في علم الصرف**، دار الشرق، بيروت، د. ت.

- زكريا؛ ميشال زكريا: **الألسنية علم اللغة الحديث: المبادئ والأعلام**، د. ن، بيروت، ١٩٨٣م.

- السامرائي؛ إبراهيم السامرائي: **التطور اللغوي التاريخي**، د. ن، بيروت، ١٩٨١.

- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن: **المزهر في علوم اللغة**، شرح: محمد جاد وزميله، د. ن، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- شاهين؛ عبدالصبور شاهين: **في علم اللغة العام**، د. ن، بيروت، ١٩٨٠.

- الشايب؛ فوزي الشايب: **الإلحاق في اللغة العربية** (مخطوطة)، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٧٨م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-شحاته؛ محمد شحاته: **المصدر الصناعي في العربية: دراسة صرفية دلالية**، دار غريب، القاهرة، د. ت.

-عبد العزيز؛ محمد حسن: **زيادة النون في فَعْلَن**، مجلة مجمع اللغة، القاهرة، ج١ (مجموعة القرارات العلمية)، د. ت.

-عبده؛ داود عبده: **أبحاث في اللغة العربية**، د. ن، بيروت، ١٩٧٣م.

-فرحات؛ عياش فرحات: **الاشتقاق ودوره في نمو اللغة**، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥م.

-فيلد؛ شتيفان فيلد: **لغة الكتابة العربية في الحاضر**، ترجمة: سعيد البحيري.

-القاضي الجرجاني: الوساطة، تحقيق: محمد أبو الفضل وآخرين، د. ن، القاهرة، ١٩٦٦م.

-القنيبي؛ حامد القنيبي: **الاشتقاق وتنمية الألفاظ**، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد ٣٤، سنة ١٤١٠هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-نعيم؛ مزيد نعيم: **الصيغ الرباعية والخماسية: اشتقاقاً ودلالة**، د. ن، دمشق، ١٩٨٣م.

-نور الدين؛ عصام نور الدين: **أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب**، المؤسسة الجامعية، بيروت، د. ت.

-هريدي؛ أحمد هريدي: **المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي**، مكتبة الزهراء، القاهرة، د. ت.

-يوسف؛ ظافر يوسف: **أبنية الأسماء المستدركة على سيبويه** (مخطوط)، جامعة حلب، سوريا، ١٩٨٤.

قضايا الأصول التراثية في اللسانيات المعاصرة:

عرض وتحليل

د. عاصم شحادة علي

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

كلية معارف علوم الوحي والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملخص البحث

عند النظر في قضايا اللسانيات المعاصرة في العالم العربي نجد أنها واجهت إشكاليةً في التجديد، وقد نجد من يحاول أن يجعل التراث خالياً من الملاحظات والمنهجية، وجعل اللسانيات بوصفها لغة موصوفة، فتكون إما مفاهيم وصفية أو أصولاً وتأملات. وثمّة من يرى أن الآلة الواصفة للغة العربية في اللسانيات تحتاج بالضرورة إلى مفاهيم القدامى العرب، وهو شيء في رأي هذا الفريق يعد خاطئاً. لذلك نرى أن القدامى أولوا اللغة العربية اهتماماً واسعاً، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها وكانت رؤاهم تعد بالنسبة إلى زمانهم متطورة، وأنه يمكننا تتبع المفاهيم التي أتوا بها ومقارنتها ببعض المفاهيم في اللسانيات المعاصرة. لذلك سيقوم البحث بتتبع القضايا المعاصرة في اللسانيات خصوصاً، ومحاولة إسقاط هذه المفاهيم على جهود القدامى العرب للوصول إلى حقيقة مفادها أن التراث العربي القديم في مجال اللسانيات مليء بكثير من المفاهيم التي سبقوا فيها الغربيين بشكل واضح ومنهجي.

مقدمة: عند النظر في تاريخ اللسانيات في العالم العربي نجد أنها واجهت إشكالية التجديد، وقد تجد اليوم من يحاول أن يتهم اللغوي العربي بخلوه من الملاحظات والمنهجية، وقد رأى بعضهم أن التراث في مجال اللسانيات إما معطيات موصوفة أو مفاهيم وصفية أو أصول وتأملات، ورأوا أن الخطأ الأول في تصور التراث هو اعتقاد أن لا بدّ من توظيفه في بناء نحو يصف اللغة العربية، وأن اعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية المعاصرة أو القديمة تحتاج – ضرورةً– إلى مفاهيم القدامى العرب وأصولهم، اعتقاد خاطئ من وجهة نظرهم.(١)

وفي المقابل ثمة من رأى أن العرب القدامى قد أولوا اللغة العربية اهتماماً واسعاً، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها، وتعد رؤاهم هذه بالنسبة إلى زمانهم متطورة، وقد قاموا بجهد هائل في دراسة اللغة، واجتهدوا في جمع أصول اللغة ولمّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، **اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية**، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٨٦، ص٥١– ص٦١، وقد أشار إلى اللغة العربية الموصوفة وأزمة المنهج في استعمال معطيات القدامى لدى المعاصرين مما جعلهم سجناء مناهج القدامى، ورفض فكرة الحل في كتب النحو العربي القديمة للاهتداء إلى الحل المنشود لبعض القضايا اللغوية، واستدل ببعض المعطيات اللغوية لدى القدامى ورأى أنها ناقصة وغير تمثيلية وزائفة في بعض الأحيان، واستدل من كتاب همع الهوامع للسيوطي عدداً من التراكيب المبنية للمفعول عدّها بعض القدامى سليمة في التركيب، وهي: "كِينَ قائم"، وكِينَ قِيمَ"، و"إختيرَ الرجالُ زيداً". حيث إن غياب التأويلات الممكنة لهذه التراكيب يدل على أنها مصطنعة، ثم أشار إلى قضايا أخرى تقع في هذا الإطار. وتناول بعد ذلك التصور الخاطئ للغة العربية، فهي من وجهة نظره ليست متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، بل هي كسائر اللغات البشرية الأخرى لها خصائص صوتية وتركيبية ودلالية، ولها ضوابط وقواعد تضبطها، وتناول ادّعاء بعض العلماء للعلمية والمنهجية كتمام حسان وأنيس فريحة، وحاول بيان تصورهم الخاطئ للعلم والافتراضات العلمية وغيرها. وانظر في هذا التوجه في نقد معطيات القدامى: المتوكل، أحمد، نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم، **مجلة آفاق**، ١٩٨٣م، ص٧٦.

شتاتها واستنباط أحكامها العامة، بل رأوا أنه بالإمكان تتبع المفاهيم التي أتوا بها ومقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة.[١]

فقضية العودة إلى التراث القديم ليست شيئاً جديداً على المعاصرين العرب، فقد جاء في كتاب تشومسكي "اللسانيات الديكارتية"[٢] مدى اهتمام اللغويين المعاصرين بضرورة العودة إلى التراث القديم من أجل التقارب بين بعض جوانبه المهملة وبين المفاهيم اللغوية الحديثة؛ وأبرز تشومسكي أوجه الاتفاق والالتقاء بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها (ديكارت) التي أطلق عليها قواعد (بورت رويال). ومن العلماء الذين ربطوا الفكر اللغوي القديم والبحث اللساني الحديث ليوردي ولِبتشي ومونان وكريستيفا وروبنز وغيرهم.[٣]

لذلك فإن اتهام التراث العربي اللغوي بالنقصان والزيف أحيانا يجب أن يكون في حدود التخصيص لا التعميم، لأن الملاحظات والتحليلات التي أثارها القدامى يمكن أن تعبر عن مناهج المعاصرين في اللسانيات المعاصرة، وهذا جعل كثيراً من علماء الغرب في مجال اللسانيات يتجاهلون

---

(١) انظر: زكريا، ميشال، **الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون**، بيروت، ١٩٩٢م، ص٧؛ والموسى، **نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، ط٢، دار البشير، الأردن، ١٩٨٧م، ص١١-ص٢٥، وقد أشار إلى جهود القدامى وكيفية اشتراكها مع اللغات الأخرى في مجال النحو المعياري وبعض القضايا اللغوية.

(٢) انظر: Chomsky. Noam. 1960. Cartesian Linguistics, New York.

(٣) انظر: مؤلفات العلماء الذين ربطوا بين معطيات المعاصرين والفكر اللغوي اليوناني القديم في: البهنساوي، أحمد، **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢.

جهود القدامى العرب في مجال الدراسات اللغوية لأسباب سياسية أو فكرية أو للجهل المطبق أو لظروف أخرى لا نعلمها.[١]

ومن ناحية أخرى هناك اعترافات للغربيين المعاصرين بالجهود اللغوية العربية القديمة وإسهامها في مجالات عدة، ومنها: الدراسات الصوتية والدراسات المعجمية، حتى إن بعض الغربيين المنصفين قد ألفوا كتباً تتحدث عن جهود القدامى العرب.[٢] وثمة قضايا تناولها المعاصرون العرب توصلوا عبرها إلى نتائج مهمة أثبتت أن الفكر اللغوي العربي له بدايات في ذكر كثير من القضايا المتعلقة بالمباحث اللغوية المعاصرة، سواء من ناحية المناهج الوصفية البنيوية أم التوليدية التحويلية أم تعاريف اللغة أم في موضوع الجهود النحوية التي قام بها العلماء قديماً. أما القضايا التي أسهم فيها القدامى العرب في مجال اللسانيات فهي كما يأتي:

تعريف اللغة: اهتم العرب القدامى بتعريف اللغة، وذكروا تعريفات عدة للغة تتفق أحياناً مع ما طرحه المعاصرون الغربيون، فمثلاً أشار الكياهرّاسي إلى أن الكلام حرف وصوت.. إلى قوله: "وكان الأصل أن بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه، غير أنه لا يمكن ذلك؛ لأن هذه الكلمات متناهية، وكيف لا تكون متناهية

---

(١) انظر مثلا: Robins, R. H. 1969. **Short History of Linguistics**. Longman, London. وقد خصص صفحتين فقط تحدث فيهما عن الفكر اللغوي العربي القديم، وخصصت كريستيفا خمس صفحات فقط حصرتها في بيان أهمية الفكر اللغوي العربي في العصور الوسطى.

(٢) انظر: برجستراشر، **التطور النحوي للغة العربية**، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٢؛ وعمر، أحمد مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، القاهرة، ١٩٨٢م؛ وفك، يوهان، **العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٠م؛ وجاد الرب، محمود، **علم اللغة: نشأته وتطوره**، القاهرة، ١٩٨٥م.

ومواردها ومصادرها متناهية".[1] ونجد عبارة (موارد اللغة ومصادرها متناهية)، تشابه ما ذكره همبولت الذي ركز على الجانب الخلاق في اللغة وتختلف اللغة في الجزء الثاني المتناهي في الكلمات المتناهية، وربطها بالعقل عبر منهج توليدي، وأن اللغة عمل العقل؛ ولذا ثمة عوامل تكمن تحتها وهو شكل اللغة الخارجي(الآلي) وشكل اللغة الداخلي (العضوي)، والشكل الداخلي العضوي هو الأهم عنده لأنه يتطور من الداخل فهو البنية العميقة لما يحدث على السطح. وأما تشومسكي فقد تحدث عن القدرة اللغوية لدى الإنسان والأداء الكلامي، وقد عرّف الكفاية اللغوية بأنها القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود من الفونيمات الصوتية والقدرة على ربط الأصوات المنتجة وتجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل.[2]

ويمكننا تلمس ما ذكره الكياهرّاسي عن الأصوات التي تخرج من أقصى الرئة إلى منتهى الفم، وأنه لا يحدث في إفرادها المقصود، فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً، وقوله: هذا هو الأصل في التركيب. أما دراسة القدامى للغة فتماثل ما ذكره المعاصرون في الغرب في مسائل عدة، ومنها:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ط٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت، ج١، ص٣٦- ص٣٧.

(٢) انظر التعريفات في: Chomsky, Noam. 1965. **Aspect of the theory of Syntax**. Longman Group. First Publisher. London. P. 1. ؛ Kempson, Ruth. M.1997. **Semantic Theory**. Cambridge University Press. P. 93. وثمة علماء عرب معاصرون عرفوا هذين المصطلحين بأساليب مختلفة لكنها لا تخرج عما ذكره تشومسكي ومن هذه المراجع: عمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**؛ وحسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**؛ والراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**؛ وغيرها من الكتب الكثيرة التي سنذكرها مع طبعاتها وتاريخ النشر ومكان الطبع لاحقاً.

نظرية النظم وتشومسكي

رفض تشومسكي المنهج الوصفي في النحو، ورأى أنه لا يدرك الجوانب الإنسانية في اللغة وذكر الواقع اللغوي عبر التعامل مع الآخرين، وربط اللغة بالجانب العقلي، وهذا التصور لتشومسكي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حينما تحدث عن نظرية النظم، وتشابه فيها مع فكرة التحويل والتوليد. فالجرجاني يرى النظم يتوقف على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون منه، وهذه الفروق أو الوجوه ذكرها كثيراً وليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا نجد لها ازدياد بعدها، وقد نص الجرجاني على معنى التحويل والتوليد عندما بيّن أن المعاني (النحوية) مثل سبيل الأصباغ (الألوان) التي تعمل منها الصور والنقوش، واختلاف النظرة للقارئ لهذه الألوان.(١) ونص الجرجاني على أهمية المعنى في تشكيل التركيب، كون التحليل اللغوي يهمل المعنى الذي يكون مثل وصف تركيب السفن دون أن نشير إلى البحر، حيث يقول: "إن النظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو ترتيبها الألفاظ في نطقك".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا ذكره تشومسكي كما سنذكر، وقد واصل الجرجاني في مناقشة الطاقات التحويلية القائمة على الحذف أو الإضافة في هذه التراكيب، بقوله: عبدالله قائم، إن عبدالله قائم، إن عبدالله لقائم، ويعني التركيب الأول الإخبار عن القيام والثاني عن سؤال لسائل والثالث الجواب عن إنكار المنكر.(٢)

ثم يعرض التحويل في التركيب: زيدٌ ينطلقُ، زيدٌ منطلِقٌ. فالأول عنده يعني الحدوث المتجدد وإخبار من لا يعلم بأن هناك انطلاقاً، أما التركيب الثاني فيعني

---

(١) انظر: الجرجاني، عبد القادر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص٧٤.

(٢) انظر: السابق نفسه، ص٥٣.

ثبات الحدث ودوامه، والتأكد من أن الانطلاق كان من زيد، وهذا يتشابه مع عناصر التحويل لدى تشومسكي.[١]

أما فيما يتعلق بالبنية العميقة (DEEP STRUCTURE) والبنية السطحية (SURFACE STRUCTURE) في التركيب،[٢] فقد تناول الجرجاني مثالاً يعين

---

(١) عناصر التحويل لدى تشومسكي هي: الحذف deletion، الإحلال replacement؛ التمديد أو التوسع expansion؛ الاختصار reduction؛ الزيادة addition؛ إعادة الترتيب permutation. انظر عناصر التحويل في: Chomsky, Noam1957.**Syntactic Structure**, PP.26-48; Bach, Emman.1964. **An Introduction to Transformational Grammars**, New York. Holt Rinhert and Winston Inc. P.70.؛ والراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٤٠؛ وعمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، دار المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٣، ص٦٦.

(٢) عرّف تشومسكي البنية العميقة بأنها الأساس الذهني لمعنى معين يوجد في ذهن المتكلم ويرتبط بتركيب جملي أصولي، ويكون هذا التركيب رفداً وتجسيداً للمعنى، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، ومن مثال ذلك: (يشرح المحاضر الدرس بقلم يكتب به على السبورة)، فهذه الجملة تتكون في الأصل من ثلاث جمل أصولية تمثل كل واحدة منها معنى عقلياً في ذهن المتكلم، وهي: **(يشرح المحاضر الدرس، يكتب المحاضر بالقلم، يكتب المحاضر على السبورة)**، ويربط بين الجمل الثلاث محور رئيس أو علاقة بين عناصر رئيسة **(المحاضر، الدرس، السبورة، القلم)**. وهذه الكلمات تمثل البنية العميقة التي يعبّر عنها عَبرَ بناء جملي تحويلي يعبّر عن العلاقة بين الكلمات السابقة كالآتي: **(يشرح المحاضر الدرس بقلم يكتب به على السبورة)**، فقد يقدم جزء من الجمل النواة على الآخر، مثلاً:

(يكتب المدرس بالقلم على السبورة وهو يشرح الدرس). وقد يقدم الجزء الثالث على الثاني أو على الأول ...إلخ، حيث إن هذا كله من تقديم وتأخير لا يؤثر في المعنى الذي في ذهن المتكلم أو في الكشف عنه، فالبنية السطحية هي الكلام المنطوق أو الألفاظ التي ارتبطت ارتباطاً نحوياً وفق قواعد اللغة، وتعبر عن معنى ذهني مجرد لكلمات محسوسة منطوقة. انظر البنية العميقة والبنية السطحية في: Chomsky, Noam.1965. **Aspects of the theory of Syntax**. P.18.؛ والراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، ص١٤٠؛ وعمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، ص٦٥؛ والسيد، صبري إبراهيم، **تشومسكي: فكره اللغوي وآراء النقاد فيه**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص٦٦؛ وحسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**، ص٦٦؛ وخرما، نايف، **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م، ص٣٠٨، وغيرها من المراجع الحديثة التي تناولت نظرية تشومسكي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على إيضاح هذا المفهوم الذي ذهب إليه تشومسكي، فمثلاً يقول الجرجاني: "إذا قلت ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم لتفيد أنفس معانيها، وإنما جئت لتفيد وجوه التعليق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق". ويبرز في كلام الجرجاني مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة التي أشار إليها تشومسكي، ويقول الجرجاني: "فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معانٍ".[1] فالعلاقة بين تشومسكي والجرجاني تلتقي عند مراعاة النمط الخاص للعلاقات داخل النظام اللغوي، والمحافظة على نظم الكلام بتحويل القاعدة النحوية التي تحافظ على قانون النحو من أن المبتدأ هو ما يبتدأ به الكلام، وبهذا لامس الجرجاني ما قال به تشومسكي من أن الجمل هي الوحدة اللغوية الأساسية فيها بنية عميقة وبنية سطحية، وما يحدث للجملة من تقديم وتأخير أي تحويل.

التفريق بين اللغة واللسان واللغة والكلام بين دي سوسير والجرجاني

فرق دي سوسير بين اللغة واللسان واللغة والكلام، وعدَّ اللسان مختلفاً عن اللغة، ولكنه يقع ضمن اللغة، فمثلاً دي سوسير ميز بين (La Langue) أي اللغة، وبين (La Parole) أي الكلام أو الحديث. وهذا التعريف بين اللغة والكلام ذكره ابن جني في تعريفه لحد اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن

---

(١) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص٢٦٥؛ وانظر ما ذكره بعض العلماء حول الجانب التحويلي في النحو العربي وقضايا التأصيل لدى الجرجاني في: عبد المطلب، محمد، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٥م، ص٦٦؛ وحسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**، ص٢٥٧؛ وزكريا، ميشال، **بحوث ألسنية عربية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٣٥؛ والراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، ص١٤٣؛ وعباس، محمد، **الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، ص٢٧٠.

أغراضهم.[1] ومما ذكره الجرجاني في هذا المجال أنه فرّق بين اللغة والكلام بأن جعل اللغة في الجانب النظري، وجعل الكلام في الجانب التطبيقي، وأطلق على الأول (علم اللغة)، وعلى الثاني (الوضع اللغوي)، ومن ذلك قوله: "واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنستند إلى اللغة ولكننا أوجبناها للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ و(ثمَّ) به يشرط التراخي و(أن) لكذا و(إذا) لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألّفت رسالة تحسن التخير وأن يعرف لكل ذلك موضعه".[2] وفي هذا النص يركز الجرجاني على معرفة المتكلم للمعنى الذي اختاره، فهو يميز بين العلم باللغة وما يجب أن يقوم به المتكلم؛ حيث أشار سوسير إلى أن اللغة لها أهداف معينة عند الكلام، وهو يربط بين الصورة السمعية والتصور، ولا يستطيع الفرد أن يغير هذا التصور.

---

(١) انظر: ابن جني، الفتح بن عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢-١٩٥٦م، ج١، ص٣٣.

(٢) انظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٨٦، ص١٦٩؛ ودي سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللغة العام**، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٨٧م، ص١٦؛ وحسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**، ص٥٤؛ ودراج، أحمد عبد العزيز دراج، **الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية**، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ٢٠٠٣م، ص٧٨؛ والرديني، محمد عبد الكريم، **فصول في علم اللغة العام**، ط١، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٤؛ وفضل، عاطف، **مقدمة في اللسانيات**، ط١، دار الرائد، الأردن، ٢٠٠٥م، ص٦٤. وقد عرف سوسير اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية عامة لا يستغني عنها المجتمع الإنساني، وهي تخرج عن نطاق الفرد، فلا يستطيع بمفرده أن يُنشِئها ولا يمكنه تعديلها وهي أيضاً نظام من الرموز المتباينة التي تعبر عن أفكار مختلفة، وهي شيء ممكن أن يدرس منفصلة عن الكلام، وتختلف اللغة المعينة la langue ويقصد بها عادات مجتمع معين للتواصل وتبادل التفاهم والأفكار. ولذلك ميز بين الكلام la parole بوصفه نشاطاً عضلياً صوتياً لدى الفرد بشقيه النفسي والاجتماعي، ولذلك كان تقسيمه للغة كالآتي: أولاً: اللغة بشكل عام la langage وهي القواعد العامة للغة، وهي نظام مشترك يحدد ملامح كلام أعضاء هذه المجموعة، وهي تتضمن الكلام الفردي والقواعد العامة للغة؛ ثانياً لغة الفرد أو كلامه la parole وهي اللغة التي يتكلمها الفرد وتصدر منه عن وعي وليست واقعة اجتماعية.

العلاقة بين الكلمات في التعبير

أشار سوسير إلى العلاقة بين الكلمات في قوله: "وفي الخطاب تقيم الكلمات ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى لها تراكيب".(١) ويؤكد الجرجاني في نظريته في النظم أنه لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، إذ عبّر عن فكرة نظام اللغة حيث ترتيب الكلام في النفس، ثم انتقاء كلمات عدة، وهذا الترتيب يخضع لقواعد اللغة وفق الدلالة العقلية للكلمات.(٢) ففكرة النظم عند الجرجاني هو تصور العلاقات النحوية كالعلاقة بين المسند والمسند إليه، ونظر الجرجاني للكلمة قبل دخولها التأليف وقبل أن تصير كلمة لها معنى الإخبار أو الإفراد أو التعجب، ورأى أنها في حالة الإفراد تفقد خصوصيتها، ورأى أن الألفاظ سمات لمعانيها، ولذا لا يتصور أن تسبق الألفاظ معانيها، وذلك ضرب من المحال.(٣) ونظر الجرجاني إلى أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ نفسها، وإنما بما بين المعاني من علاقات؛ وبذلك كانت نظرية النظم عملية توفيق بين الشكل المادي للصياغة والجانب العقلي للمعنى عبر الاستعانة بالنحو وتحويله إلى أحداث.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلامة اللغوية

تناول سوسير العلامة بين اللفظ والمعنى ورأى أنها علامة اعتباطية وأن الرمز اللغوي اتحاد تصور مع صورة (سمعية أو ذهنية أو نفسية)، ويميز بين الكلمة والشيء، ويقصد بالكلمة ما نسمعه أو ننطقه أو نكتبه أو نقرؤه، وهي المظهر التعبيري الحسي لما يتمثل بالرمز اللغوي، وأشار سوسير إلى أن التصور concept

---

(١) انظر: دي سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللغة العام**، ترجمة عبد القادر قنيني، ص١٥٦.

(٢) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص٥٤.

(٣) انظر: السابق نفسه، ص٢٨٩- ص٢٩٠.

وهو المدلول يتم التعبير عنه بصورة سمعية (الدال) ورمز لكل منهما بالمعادلة الآتية: مدلول signifié ودال signifiant حيث الدور للأصوات بوضع الرمز اللغوي في مكان محدد في متوالية من الأصوات، وهذا الرمز ما هو إلا جمع نفساني بين دال أو مدلول، ويقصد بذلك أن الدال لا يوجد متحداً مع مدلول، وعند انعدام المزج بينهما لا تبقى إلا الصورة السمعية أو الذهنية أو النفسانية لمتوالية من الأصوات، فمثلاً نجد في اللغة العربية الأفعال: (كتب، جلس) تشير إلى دال أو تصور يمتزج بالمدلول، ويمكن تشبيه العلاقة بين التصور (الدال) والكلمة (المدلول) بالورقة التي لها وجهان، الوجه الأول هو الدال والوجه الثاني هو المدلول (الوجه والظهر للورقة). لذلك لا يمكن وجود وجه للورقة دون وجود ظهرها، ولذلك يستحيل وجود مدلول دون وجود دال.[1]

بمعنى آخر يرمز للرمز اللغوي تارةً بالعلامة اللغوية، حيث جعل سوسير اللغة نظاما من العلامات، والبحث العلمي يؤمن بوجود أشياء محدودة ومعينة، وما يعبر به

---

(١) انظر ما ذكره سوسير بتفاصيل حول هذين المنهجين مع الأمثلة التي تؤكد على ما يرنو إليه في كتابه "**محاضرات في علم** اللسان العام"، ترجمة عبد القادر قنيني، ص٨٥، ص١٠٥- ص١٢٧، وقد ذكر أمثلة تؤكد منهجية الدراسة التاريخية عبر تطور الكلمة اللاتينية crispus بمعنى جَعدٌ، واشتقاق اللغة الفرنسية منها الأفعال: وهو الجذر crepir بمعنى الطلي بالطين، ومثال آخر له صفة العموم مثل: gast في الألمانية القديمة التي تعني (ضيف) وجمعها gasti، وكذلك الحال بالنسبة إلى لفظ hant بمعنى (يدٌ) وأيدٍ بمعنى hanti حيث كان للحرف الصائت أثر في تغيير المعنى وهكذا. انظر ما ذكره العلماء الآتية أسماؤهم حول المنهجين اللذين تناولهما سوسير كما يأتي: الحناش، محمد، **البنيوية في اللسانيات**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م، ص١٨٥؛ ودراج، أحمد عبد العزيز، **الاتجاهات المعاصرة في تطور العلوم اللغوية**، ص٧٩؛ وحسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**، ص٥٤؛ وسامبسون، جيفري، **المدارس اللغوية: التطور والصراع**، ترجمة أحمد الكراعين، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د. ت، ص٣٩؛ وعمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبه**، ص٤٠- ص٤٢؛ والراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، ص٢٤؛ وشاهين، عبد الصبور، **في علم اللغة العام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣١؛ وبعلبكي، رمزي منير، **فقه اللغة المقارن**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، د. ت، ص٢١؛ وحسنين، صلاح الدين، **دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن**، دار العلوم، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٦٤. وغيرها من المراجع الحديثة الكثيرة التي اعتمدت على ما ذكره محمد الحناش في كتابه "**البنيوية في اللسانيات**" وما ذكره المترجمون لكتاب سوسير بطريقة تكاد تكون متشابهة مع اختلاف في أسلوب الطرح وفنيته.

الناس عن اللغة يعد مستودعاً من العلامات اللغوية فهمها الناس على أنها مفردات اللغة أو الصلة بين اللفظ والشيء الطبيعي onomatopoeia، وهذه العلامة اللغوية لا تصل الشيء باللفظ ولكنها تصل التصور بالصورة السمعية.(١) من جانب آخر أشار الجرجاني إلى موضوع العلامات والسمات، وأنه لا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه، وهو بذلك يشير إلى الدال والمدلول الذي ذكره سوسير.(٢) ولتوضيح ذلك أكثر، ذكر سوسير معنى لفظ الأخت soeur بأنه ليس مرتبطاً بأي علامة قد نتخيلها داخل سلسلة أصوات لفظة الأخت: s–Ö–r وهي أصوات اتخذت وسيلة كصوت دال، لأنه يمكن لهذه العلامة أن تصور بأية سلسلة أخرى من الأصوات تكون دالة.(٣) ولذلك رأى كل من الجرجاني وسوسير أن الصوت لا معنى له إلا إذا حمل بعداً دلالياً، وأن الدلالة اللغوية ما هي إلا اصطلاح وتواضع اجتماعي يقتضيه الفكر، وأن الاختلاف بين اللغات يكون بسبب الاختلاف بين الدال والمدلول والعلاقة بينهما عند كل قوم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن ناحية أخرى أشار ستيف أولمان إلى أن دراسة علم الدلالة تكون في العلاقة بين العلامة (signe) أي اللفظ أو الكلمة، والمدلول عليه، وهو ما دل على معنى الشيء المعني.(٤) وهذا المعنى يفسر لنا الوظيفة الدلالية والوظيفة الصوتية داخل التركيب، وهي تعبر عن العلاقة الجدلية بين اللغة والفكر. أشرنا إلى فكرة نظرية

---

(١) انظر ما ذكر حول هذا الموضوع في: سوسير، **محاضرات في علم اللسان العام**، ص١٤٥؛ ودراج، أحمد عبد العزيز، **الاتجاهات المعاصرة**، ٨١؛ والحناش، محمد، **البنيوية**، ص٢٠٠– ص٢٠٤.

(٢) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، ص٣٥٦.

(٣) انظر: دي سوسير، **محاضرات في علم اللغة العام**، ترجمة عبد القادر قنيني، ص٨٨.

(٤) انظر: أولمان، ستيف، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، ط١٢، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٧٦.

النظم لدى الجرجاني، وهي فكرة تقوم على أساس الترابط والنظام في النظام اللغوي وتحدث بإرادة المتكلم، حيث يقول الجرجاني: "فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة، هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة".[1] من ناحية أخرى ذهب سوسير إلى أن التركيب لا ينطبق على الكلمات فحسب، ولكنه ينطبق أيضاً على مجموع الكلمات والوحدات المعقدة من المقاييس والأصناف كافّة كأقسام الجملة والكلمات المركبة والمشتقة، ولا يكفي العلامة الرابطة بين أجزاء التركيب ولكن يؤخذ بعين الاعتبار العلاقة التي تربط الكل بأجزائه، أي أن الجمل لها دور تؤديه في نظام الكلام، وقد أكد ذلك سوسير عندما أشار إلى المركبات الترتيبية والعبارات النحوية.[2]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ضوء ما ذكرناه يلاحظ أن مصطلح التأليف لدى الجرجاني يتفق مع مفهوم التركيب لدى سوسير من حيث اختيار الكلمة في العقل ثم اختيار الكلام المرتبط في هذه الدلالة، وأن الكلمة بحد ذاتها لا تحمل دلالة إلا إذا ضمت إلى كلمة أخرى تكون معها البناء أو التركيب، وكذلك أشار سوسير إلى أن الكلمات المتفرقة لا معنى لها داخل التركيب إلا إذا اجتمعت في وحدات متداخلة، وأن الكلمة لا تفضل

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص٤٧.

(٢) انظر: دي سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللغة العام**، ترجمة عبد القادر قنيني، ص١٠٩. وفي ص١٦٦ من هذا الكتاب ذكر سوسير مثلاً يؤكد ما ذهبنا إليه من ذكره للعبارة: que vous dit-il التي تعني في العربية: ماذا قال لكم، حيث يستبدل عنصر من نماذج محور المركب الترتيبي، وهو قولك مثلاً في الفرنسية: que te dit-il وتعني في العربية: ماذا قال لك؛ أو que nous dit-il أي: ماذا قال لنا. ثم ذكر سوسير استقرار المتكلم على الضمير المتصل (كم) vous.

الكلمة الأخرى عند الجرجاني إلا في حالة وجود دلالة تربط المعنى بمدلوله، بينما سوسير يؤكد أنه لا معنى للعلامة إلا بعلاقتها بما ترتبط به من معنى كلّي، والصورة الكلامية عبر النص لا تتحدد إلا من الوظيفة التعبيرية للجملة كالإخبار والاستفهام، وأما دي سوسير فيرى أن الجمل لها دور في تحديد نظام الكلام أي نوع الجملة التي يقوم فيها المتكلم باختيار الضمير في الفرنسية (كم) للتمييز المراد في الموضع المعين.[١]

إشارات لغوية لدى القدامى والمعاصرين الغربيين

تناول المعاصرون مفهوم الكفاية اللغوية competence لدى تشومسكي، وقد ذكر أن ثمة فونيمات صوتية ينبغي أن يربطها السامع – المتكلم ويجمعها في مورفيمات منتظمة تدخل كيان الجملة وفق معنى لغوي، وهي ملكة ذاتية تخص متكلم اللغة الذي نشأ بصورة طبيعية في البنية التي يتكلمها.[٢] وهذا المفهوم للكفاية اللغوية أشار إليه ابن خلدون بقوله: "إن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية"، ويقول في موضع آخر: "هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت منهم ولم يأخذوها عن غيرهم".[٣]

---

(١) انظر ما ذكره عباس، محمد، **الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني**، ص٢٦– ص٢٧، وقد أشار المؤلف إلى ما أشرنا إليه واستفدنا منه مباشرة ولكن بصيغة تختلف نوعاً ما عما كتبه.

(٢) عرف تشومسكي الكفاية اللغوية بأنها امتلاك المتكلم السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية ثم القدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية يتم التنسيق بينها فيما يسمى (قواعد إنتاج اللغة). انظر: Noam.1965. **Aspects of the theory of Syntax**. P. 4.؛ والسيد، صبري إبراهيم، **تشومسكي: فكره اللغوي وآراء النقاد فيه**، ص٣٦٧ (معجم المصطلحات الأجنبية)؛ وحسام الدين، كريم زكي، **أصول تراثية في علم اللغة**، ص٦٨؛ وياقوت، أحمد سليمان، **علم اللغة التقابلي: دراسة تطبيقية**، دار المعرفة، مصر، ١٩٨٩م، ص٣٧؛ وعمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، ص٥٤.

(٣) انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١، ص١٠٧١.

نظرية العامل وتشومسكي

تناول تشومسكي نظرية العامل في نظريته اللغوية، وقد ذكر ما يسمى العامل agent والربط government، وتنحصر هذه النظرية في عنصرين، وهما: عنصر الأثر trace وضم (pro). والأثر مركب اسمي أو حرفي له قرينة index بالمواضعة، وهذه النظرية أمدت البنية السطحية بنظرة جديدة، ونقلت إليها خصائص كانت في البنية العميقة، بخاصة إمكانية تطبيق قواعد التركيب الدلالي في البنية السطحية، فسهل بذلك دراسة عناصر الدلالة. وسميت هذه المرحلة التي قام بها تشومسكي في تعديل نظرية التحويل بالنظرية المعيارية الموسعة، وهذا أدى إلى تولد أنظمة فرعية متعددة لكل المكونات، حيث أصبحت البنية السطحية تتفرع إلى التمثيل الدلالي والتمثيل الصوتي، ويهدف تضييق التحويليين لعمليات التحويل بأن جمعوا هذه النظريات الفرعية تحت نظرية واحدة سميت بنظرية (انقل ألفا) لتحل محل القواعد التحويلية، وهي ما يطلق عليها بنظرية الربط والعامل.[1] وهذه النظرية تؤكد على مبدأ العامل وأثره في الأسماء والتراكيب، وتشير نظرية الربط والعامل وأنظمتها الفرعية إلى دراسة التراكيب، فمثلا نظرية (انقل ألفا) مصطلح ذكره تشومسكي ليدل على دراسة البناء المبني للمجهول، وأما نظرية الثيتا (θ) فهي التي توضح العلاقة بين الأفعال بمعمولاتها، ونظرية الحالة التي تحدد الحالات النحوية للأسماء في التراكيب، ونظرية المراقبة التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر: شئت ثاني، عبد الرحيم، **التحويل في الجملة الفعلية العربية: دراسة تحليلية في ضوء نظرية الربط والعمل**، بحث ماجستير غير منشور، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ١٩٩٨م، ص٦٥؛ والفهري، عبد القادر، **اللسانيات واللغة العربية**، ص٣٤١؛ وتشومسكي، ناعوم، **المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها**، ط١، دار الفكر **العربي**، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٠٤. تحتوي نظرية الربط والعامل على عدد من الأنظمة الفرعية المتفاعلة لكل نظام فرعي خصائص معينة من قواعد ومبادئ وأسس، ومن الأسس والقوانين التي تستخدم في تحليل الجوانب التحويلية ما يأتي: نظرية السين البارية x theory وهي عنصر مجهول أو كلمة تصلح أن يستبدل بها أي كلمة أخرى في التركيب، وهي تتمثل في العناصر الآتية: الصدر والإسقاط الأقصى، مبدأ نظرية السين البارية، البارات وهي الخطوط التي توضع على الرموز، والتعيين في السين البارية، ونظرية انقل ألفا، ونظرية الثيتا، ونظرية الحالة، ونظرية المراقبة، ونظرية المقولة الفارغة. انظر: شئت ثاني، عبد الرحيم، **التحويل في الجملة الفعلية العربية**، ص٦٦؛ وتشومسكي، ناعوم، **المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها**، ص٣٣٨، ص٣٤٠.

تعين على توضيح دور المصادر وكيفية تعاملها مع بقية مكونات الجمل، ومبدأ المقولة الفارغة الذي يحدد الكلمات التي يمكن حذفها في الجملة، ونظرية الربط التي تبين الإشكالات التي تعرض في المركبات الاسمية عند ارتباطها بغيرها، ونظرية العامل التي توضح أوجه العلاقات والارتباطات بين عناصر التركيب. والتراث العربي القديم حافل بالعمليات التحويلية في نظرية الربط والعامل، وكان تصور القدامى العرب للتراكيب اللغوية وتحليلها أو إعرابها مرتبطاً بنظرية العامل التي وضعها الخليل بن أحمد ثم سيبويه، وكان لها أثر مباشر في تشكيل التفكير النحوي العربي. فالعامل قد يكون لفظياً أو معنوياً كالمبتدأ المعمول للابتداء، وهناك من العوامل من الحروف والأدوات.[1] فمثلاً نجد الجوانب التحويلية في النحو العربي عندما تناول التحويليون قضية الأصلية والفرعية، وتناولوا قضية العامل في النحو، ورأى القدامى فكرة العمل أو العامل ركناً أساسياً في النحو، ونظروا للعامل بوصفه سبباً يقود إلى التقدير، وأن ثمة قواعد كلية يمكن أن تفهم في ضوئها الظواهر المشتركة في اللغات، وهي: الحذف والزيادة والترتيب، فالحذف تناوله سيبويه مثلاً في المبتدأ والخبر والمضاف وحروف الجر، ومن ذلك ما ذكره سيبويه: عبدالله وربي. حيث رأى أن أصل الكلام: ذاك عبدالله، أو هذا عبدالله، وذلك لأن السياق كان السبب في التقدير.[2] وأما الزيادة فقد أثار التحويليون قضيتها في التحويل، كما ذكرنا، وذكرها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر: ضيف، شوقي، **المدارس النحوية**، ط٨، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص٣٨، ص٤٦، وقد تناول العوامل والمعمولات لدى سيبويه والخليل؛ وانظر الفهري، عبد القادر الفاسي، **اللسانيات واللغة العربية**، ص٣٤٦، وذكر بأن المشكل في نظرية تشومسكي بالنسبة إلى العامل لا تنطبق على اللغة العربية التي يعمل فيها الفعل في الفاعل والمفعول به معاً؛ واذكر ما ذكره في موضوع العامل، الراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، ص١٤٣، ص١٥٨؛ والخولي، محمد علي، **القواعد التحويلية للعربية**، الرياض، ١٩٨١م.

(٢) انظر: سيبويه، عمرو بن قنبر، **الكتاب**، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٧هـ، ١٨٨٩م، ج١، ص١٣٤، ص٢٧٩.

العرب القدامى في الجملة لإضافة الفائدة في التركيب، وتناولوا الزيادة في: ضمير الفصل والواو المقحمة وحروف الجر الزائدة وزيادة (كان) و(إن) و(أن) و(ما).[١] وأما قواعد الترتيب فقد ذكرها تشومسكي بوصفها عاملاً من عوامل التحويل في البنية السطحية، وأشار إلى هذا الترتيب القدامى العرب كالجرجاني في دلائل الإعجاز في موضوع التقديم والتأخير.[٢] ومن مثال التقديم والتأخير لدى سيبويه: وجوب تقديم الخبر ووجوب تقديم المبتدأ وجواز الأمرين، ومنها قول سيبويه: "(ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك) و(ما كان أحدٌ مثلك فيها) و(ليس أحدٌ فيها خيرٌ منك). إذ جعلت (فيها) مستقراً ولم تجعله قولك فيها زيدٌ قائمٌ، أجريت الصفة على الاسم، فإن جعلته على قولك فيها زيد قائم، نصبتَ، تقول: ما كان فيها أحد خيراً منك، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها، إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخرت الذي تلغي كان أحسن، وإذا اردت أن يكون مستقراً تكتفي به، فكلما قدّمته كان أحسن..".[٣]

وبالنسبة إلى القبول النحوي فقد أشار تشومسكي إلى قضية القبول النحوي للجملة حسب السياق،[٤] كما ذكر، وتناول سيبويه هذا المعنى عندما قسم الكلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر: سيبويه، عمرو بن قنبر، **الكتاب**، ج١، ص٣٢، ص٣٤، وقد أشار في باب الحروف الزائدة وضمير الفصل؛ والجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص١٠٧ موضوع الحذف، وص١٦٤ موضوع الفصل والوصل.

(٢) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص٨٧، ص١٠٣.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٢٧.

(٤) انظر ما ذكره تشومسكي حول موضوع القواعد النحوية، وقد تناول موضوع الحدس، إذ تصدر الأصوات من وجهة نظره نتيجة عامل الحدس لدراسة النحو التوليدي والظواهر الكلية، ويكون ذلك عبر الملامح المميزة للظاهرة والتي أصبحت ضرورية في فهم الظواهر الفنولوجية في كل اللغات، والمغزى من القواعد عنده بوصفها أحد الأسس في تركيب النظرية التوليدية التحويلية أننا ندرس الإنسان المتكلم – المستمع – السّوي ذي البنية اللغوية المتجانسة، وندرس معرفة المتكلم – المستمع الضمنية لقواعد اللغة، ولكونه موضوع الدراسة مصدر اللغة عند استعماله يستطيع الإنسان المتكلم بلغة معينة أن ينتج جمل لغته ويفهمها ويدلي رأيه فيها من حيث الخطأ والصواب في التركيب. انظر: Chomsky, Noam.1965. **Aspects of the theory of Syntax**. P. 15.؛ والراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، ص١١٧؛ وعلي، عاصم شحادة، **تعميق دراسة العربية في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي لناعوم تشومسكي**، بحث ماجستير غير منشور، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، السودان، ١٩٨٩م، ص٤٩.

إلى مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال.[1] ومن الموضوعات المتعلقة بالقبول النحوي الجمل غير المقبولة نحوياً في باب التنازع الذي تناولته كتب النحاة.[2]

المبادئ الإسلامية في اللسانيات

ذكر بعض الباحثين مفهوم اللغة الإسلامية التي يستخدمها المسلمون مهما اختلفت لغاتهم، حيث تكون الذاكرة التي يحملونها أو الخلفية الفكرية التي تسيطر عليهم نوعاً ما هي المبادئ الإسلامية. وتتضمن هذه اللغة ألفاظاً إسلامية عربية على سبيل الخصوص يتم فيها استخدام الألفاظ العربية، ولا سيما المتعلقة بالعبادات استخداماً لا شعورياً.[3] وهذا التوجه في تعريف اللغة بأنها إسلامية توجه غير دقيق لأنه ينفي سمة العربية عن اللغة التي أنزل فيها القرآن الكريم، وفي الوقت نفسه فإن النظام اللغوي سواء على مستوى الأصوات أم الصرف أم النحو أم الدلالة يختلف في اللغات التي تنتمي إلى المسلمين، ومن ثَمَّ يكون التعبير ومحتواه الثقافي أيضاً مختلفاً عن اللغة العربية التي تحتوي مضامين القرآن الكريم وتعابيره وأساليبه، ولا سيما في العبادات، لذا فإن القول الدقيق في هذا الأمر أن يقال: المبادئ

---

(١) انظر سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٨١.

(٢) انظر: ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، **شرح ابن عقيل**، شرح محمد محي الدين عبد الحميد، د. ت، ج١، ص٥٤٥؛ وابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبدالله، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، مراجعة إميل يعقوب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠م، ص١٨٤.

(٣) انظر محاولات إسماعيل الفاروقي: Al-Faruqi, Raja Ismail.1986. **Towards Islamic English**, International Institute of Islamic Thought, Verginia; Sa'addin, Mohammad Akram. A.M. **The Quranic Language in Linguistics Prespective: The Language Engineering Viewpoint**, Intellectual Discourse, Vol. 2, No. 1.International Islamic University Malaysia. PP.57-90؛ وقد حاول سعد الدين تصنيف اللغات التي تستخدم لدى المسلمين إلى إسلامية ولغات يسعى الباحثون والعلماء إلى تزويدها بعناصر الخطاب الإسلامي كالمفردات والمصطلحات والمقولات الثقافية والاجتماعية والمواد التعليمية وغيرها.

الإسلامية في لغات المسلمين[1]. كذلك فإن تصنيف اللغات حسب العقيدة قضية لم تأخذ مساحة واسعة من اتفاق الباحثين، لأن مفهوم (اللغة الإسلامية) يرتبط بمفهوم (اللغة) الذي يتضمن كما ذكر سابقاً مستويات عدة لا بد لكل باحث أو دارس أن يبحث بها لمعرفة نظام هذه اللغة.

وأما فيما يتعلق بموضوع المبادئ الإسلامية في اللسانيات بوصفه علماً يتضمن دراسة اللغة بذاتها وما فيها من موضوعات شتى فهو يتعلق بموضوع تعريف اللغة ووظائفها ومستوياتها، وتطور الدراسات اللغوية في دراستها قديماً وحديثاً، ولهذا سنتناول بعض القضايا المتعلقة باللسانيات وبيان المبادئ الإسلامية فيها من حيث التأصيل، أي البحث بما لدى القدامى العرب المسلمين من الأفكار التي طرحوها حول الموضوع، وكيف تناولوها في زمانهم وربط هذا التناول بالمفهوم المتداول لدى المعاصرين، وأما القضايا التي سنتناولها فهي:

- الدراسة الدلالية

ثمة جهود للغربيين في الدراسة الدلالية، ولا سيما لدى دي سوسير وبلومفيلد وفيرث وغيرهم من العلماء، وثمة جهود للعلماء في بناء نظرية دلالية حتى حَدا بأحد المعاصرين أن يؤلف كتاباً أطلق عليه (SEMANTIC THEORY) أي النظرية الدلالية، وضع فيه تصوره لنظرية علم الدلالة.[2] وثمة نظرية لتشومسكي وهي التوليدية التحويلية والبنية العميقة والبنية السطحية التي يظهر فيها البعد الدلالي من

---

(١) انظر محاولات: Abdussalam, Ahmad Shehu, Talks in Islamic of Language, Research No. 7 August, 1995, **Reaearch Centre**, International Islamic University Malaysia, PP.2-4.

(٢) انظر ما ذكره: Katz, Jerrold. **Semantic Theory**, Time Printers Shd Bhd. Singapore.P.5، ورأى كاتز أن كل نظرية تعطي جواباً للسؤال: ما المعنى؟ يجب أن تجيب عن الأسئلة الآتية: ما الترادف؟ ما التشابه والاختلاف الدلالي؟ ما المطابقة؟ ما معنى غير عادي؟ ما معنى شاذ الدلالة؟ ما الغموض الدلالي؟ ما الإطناب والحشو؟ ما الحقيقة الدلالية؟ ما الكذب الدلالي؟ ما المعنى الزائف؟ ما التناقض الذاتي؟ ما التلازم؟ ما المفهوم ضمناً؟ ما الإجابة الممكنة؟ ما معنى إجابة الشخص عن تساؤلاته؟

منطلق تحليل الجملة إلى عناصرها أو مكوناتها، وقواعد التحويل التي تتناول الدلالة داخل التركيب. وعند تناول المبادئ الإسلامية لدى القدامى نجد أنهم قد ذكروا الظواهر الدلالية الأساسية من حيث: النظرية الصوتية الطبيعية التي أطلق عليها ابن جني الدلالة اللفظية في كتابه الخصائص بأنها عملية تقليد للأصوات، وهي الدلالة الصوتية التحليلية ودرسوا الوحدات الصوتية وأثرها في تغير المعنى، ومن ذلك بحثهم في الاشتقاق الأكبر كما هو عند ابن جني، وتغير حركات الإعراب التي تعد وحدات صوتية في العربية، يتغير معنى الكلمة فيها تبعا لتغير حركتها، كالفرق مثلاً بين (عَمَلٌ وعَمِلَ)، والفرق بين مُوَحِّد ومُوَحَّد (اسم الفاعل، اسم المفعول). ومن صور المعاني الوظيفية للصيغة الواحدة التعدية،[1] وهي إحدى المعاني الصرفية التي يدل عليها بالحروف الزوائد كالهمزة، والتضعيف، ويظهر أثر ذلك داخل التركيب النحوي، ومن أمثلة ذلك صيغة (أفعل)، فقد ذكرت لها دلالات عدّة، وهي: التعدية، والصيرورة، والتعريض، والدعاء، والإغاثة، والمطاوعة. وهذه المعاني الكثيرة للصيغ وردت في كتب النحو بمعان كثيرة، لكن الهدف من تناولها هو بيان المعاني الوظيفية للصيغة الواحدة. [2]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما النبر والتنغيم فقد تناوله المعاصرون بوجوه متعددة، وهو مصطلح صوتي له صلة مباشرة بالجانب النطقي للغة، ونقلوه من الدراسات الصوتية عند الغرب، وحاولوا تعريب ذلك المصطلح إلى اللغة العربية؛ إذ يعرف عندهم بـ "stress" أو "accent"

---

(١) انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٢٣٣- ص٢٣٥؛ والأستراباذي رضى الدين محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، دار الكتب العلمية، د . ت، ج١، ص٨٨. مع ملاحظة أن ظاهرة التعدية ليست مطردة في كلّ الأفعال، فبعض الأفعال تضاف إليها هذه الزوائد، فتلزم بعد أن كانت متعدية ثلاثية، ومثال ذلك الفعل (كبّ)، فنقول: كببتُ الإناء كبّاً، من باب قلب أي قلبته على رأسه، وتقول: كببتُ فلاناً؛ أي ألقيته على وجهه، ومنه قوله تعالى: "**فَكُبَّت وجوهُهُم في النّار**" النمل/ ٩٠، وتقول: "كبّه وأكب على كذا أي لازمه. انظر: عباس أبو السعود، **أزاهير الفصحى في المعجم**، دار المعارف، مصر، د.ت، ص١٧١؛ وعبدالله العلايلي، **المعجم**، دار المعجم العربي، بيروت، ١٩٥٤، ج١، ص٨.

(٢) انظر: تمام حسان، **اللغة العربية: معناها ومبناها**، ص١٦٣؛ وشكري عياد، **اتجاهات البحث الأسلوبي**، دار العلوم للطباعة، ١٩٨٥، ص٣٧.

بالنبر أو الارتكاز وقد اختلفت الآراء في التعريب. وكان أول من قام بهذا التعريب إبراهيم أنيس، وتمام حسان، ومحمود السعران.[١] والسؤال الذي يثار هنا، هل كانت اللغة العربية قبل التعريب غير متميزة بظاهرة النبر؟ أم هل تطورت ظواهرها اللغوية بحيث يختلف معناها قبل التعريب وبعده؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن هناك بعض المحاولات التي سبقت حركة التعريب، واختلف اللغويون المعاصرون في تعريفات النبر اختلافاً كثيراً، مما جعل أحد الغربيين وهو لادفوجد (Ladefoged) يقول: "ليس من السهل تعريف النبر"،[٢] واتفقوا على ماهيته ورأوا أنه طاقة زائدة في النطق للمقطع المنبور ينتج عنها نطق المقطع أعلى وأطول من المقاطع الأخرى في الكلمة نفسها، أو هو البروز المعطى لمقطع واحد داخل الكلمة. ومن تلك التعريفات التي اختلفوا فيها ما يأتي: فالنبر وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام؛[٣] أو هو قوة التلفظ النسبية التي تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة؛[٤] وعُرّف المقطع المنبور بقوة بأنه الذي ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة، فهو إذن نشاط ذاتي للمتكلم ينتج عنه نوع من البروز prominence لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة إلى ما يحيط به؛[٥] ورأي آخر يرى أن النبر وضوح نسبي لصوت أو لمقطع إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة،[٦] وهو التعريف الذي أكّده قول أحد المعاصرين بأنه الوضوح

---

(١) انظر: أنيس، إبراهيم، **الأصوات العربية** مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٦٩؛ وحسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة** مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٦٠؛ والسعران، محمود، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص ٢٠٦.

(٢) انظر: عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٢٠.

(٣) انظر: حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة**، ص ١٦٠.

(٤) انظر: الخولي، محمد علي، **الأصوات اللغوية**، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د . ت، ص ١٥٨.

(٥) انظر: عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ص ٢٢١.

(٦) انظر: بشر، كمال محمد، **علم اللغة العام – الأصوات**، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٦٢.

السمعي لمقطع من مقاطع الكلمة أكثر من غيره؛[١] وقد يعني النبر أن مقطعاً من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلو (نبر علو stress accent) أو يعطي زيادة أو نقصاً في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة للصوت pitch accent)،[٢] ولهذا فهو انطباع من طاقة زائدة في النطق للمقطع المنبور ينتج عنها نطق المقطع أعلى وأطول من المقاطع الأخرى في الكلمة نفسها[٣]. أما النبر لدى القدامى العرب فقد تناوله علماء مشهورون منهم ابن جني والفارابي وابن سينا، وتناول ابن جني النبر وعدّه ظاهرة لها دورها في الكلام، وأطلق عليه اسم "النبرة"، وفي حديثه عن البيان للمعنى الاصطلاحي للكلام وإيضاح الفرق بين الكلام وبين القول، قال: "... وقد أكثر الشعراء في هذا الموضع حتى صار الدال على المشاهد غير المشكوك فيه، ألا ترى إلى قوله:

وَحَدِيثُهَا كَالغَيْثِ يَسْمَعُهُ ... رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدَبَا

فَأَصَاخَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا ... وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ هَيًّا رَبَّا

يعني حنين السحاب وسجره، وهذا لا يكون عن نبرة واحدة ولا رزمة مختلسة، إنما يكون مع البدء فيه والرجع، تثني الحنين على صفحات السمع"[٤]. فقد بيّن ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) أن استعمال الكلام كان للدلالة على الجمل التامة لا على الكلمة الواحدة[٥] ثم جاء ببيتين من الشعر، ويبين أن حديثها يشجي ويطرب، وهذا لا يكون إلا في كلمات كثيرة، ويعقّب على هذا بقوله: "وهذا لا يكون عن نبرة واحدة ولا

---

(١) انظر: شاهين، توفيق محمد، **علم اللغة العام**، ط١، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١١٣.

(٢) انظر: ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٩٣ .

(٣) انظر: عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ص ٢٢١.

(٤) ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط٢، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ج١، ص ٢٩.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ٢٧، ج ١.

رزمة مختلسة، إنما يكون مع البدء فيه والرجع، تثني الحنين على صفحات السمع". و"هذا" أي الشجو والطرب والاستحسان والاستغراب لحديثها،[١] وقوله: "يكون عن نبرة واحدة ولا رزمة مختلسة" أي لا تكون الكلمات في البيت على مستوى النبرة الواحدة، أو لا يكون عن كلمة واحدة منبورة، ولا يكون عن كلمات مختلسة".[٢] فالنبر سمة صوتية لكل كلمة، والكلمات – حسب رأيه – لا تكون على مستوى النبر الواحد بل يختلف النبر في كلمة عن أخرى. وأشار ابن جني إلى ظاهرة صوتية أخرى وهي: "الاختلاس"، وهي عبارة عن الإسراع في النطق بالحركة إسراعاً يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن.[٣] ورأى أن النبرة تقابل الاختلاس وهي من الأصوات البيّنة المحققة غير مختلسة. وقد تناول الفارابي (ت ٣٣٩هـ) جانباً مما له علاقة مباشرة بظاهرة النبر. وكان يوافق النحاة واللغويين في عدّ الهمز المصطلح المرادف للنبر؛ إذ يقول: "أما الهمز والنبر فيجعل افتتاح كل واحد من المصوتات الاثني عشر، وأما "الهاء" فالأجود أن تجعل افتتاحات الألف والممزوجات التي تميل إلى الألف، وإن جعلت افتتاحاً لحرف الياء، وما مال إليه من الممزوجات، أو المتوسطات بين الياء والألف لم يشع به مسموع النغمة، ومتى جعلت افتتاحاً للواو والممزوجات المائلة إليها أكسبت النغم بشاعة المسموع"،[٤] وأشار إلى الفرق البسيط بينهما ولم يفصل الحديث عن النبرة. وكان الفارابي يعرض للنبرة في الكلام أكثر من موضع من كتابه مقيداً إياها بالزمن، وأن مدى نغمتها لا يتجاوز زمن إحداث وتد.[٥] وقد بين أيضاً أن النبرة بمعنى الضغط أو إطالة زمن النطق بمقطع ما، قصد به المتكلم إلى إبرازه أكثر وضوحاً مما يجاوره من مقاطع أخرى، يقول: "الحروف

---

(١) انظر: الفيومي، أحمد عبد التواب، **أبحاث في علم أصوات اللغة العربية**، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٨٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٣) انظر: الصيغ، عبد العزيز، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٣.

(٤) انظر: الفارابي، محمد بن محمد أبو نصر، **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق وشرح غطاش عبد الملك خشبة، ومراجعة وتصدير محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م، ص ١١١٧، ١١١٨.

(٥) انظر: السابق نفسه، ص ١١٧٣.

المتحركة إذا مدت حركاتها أدنى مد أو قرنت حركاتها بنبرات أو هاء خفيفة كانت قريبة من سبب خفيف".[١] ومن أحاديثه التي أشار فيها إلى دور النبرة في الوقف: "متى توالت متحركات كثيرة، وتناهت إلى متحرك ووقف عليه، فإنه ربما جعل المتحرك الأخير ممدوداً أدنى مد أو مقرونا بنبرة".[٢]

أما ابن سينا فبلور المفهوم الاصطلاحي للنبر،[٣] وتحدث عن قضية "الزينة" في الكلام، وكان الكلام عنده يشكل من الحروف، ومما يقترن به من هيئة ونغمة ونبرة.[٤] وقد وضّح الخصائص الفيزيائية للصوت اللغوي، وتطرق إلى عناصر تركيب الحدث الكلامي، وهما: نفس التموج وحال التموج، ويؤدي حال التموج إلى تنبير الأجزاء وتلوين أجراسها بأنغام خاصة.[٥] وأشار إلى خصائص النبر ووظائفه في تحديد الدلالة بقوله: من أحوال النغم: النبرات، وهي هيئات في النغم مدية، غير حرفية يبتدئ بها تارة، ...، وبما أعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل، أو أنه متحير أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاماً، والاستفهام تعجباً وغير ذلك، وقد تورد للدلالة على الأوزان والمعادلة وعلى أن هذا شرط وهذا جزاء، وهذا محمول.[٦]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر: الفارابي، المصدر السابق، ص ١٠٨٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٠٨٥.

(٣) انظر: المسدي، عبد السلام، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، ط٢، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٦م، ص ٢٦٥.

(٤) انظر: ابن سينا، الحسين أبو علي، **الشفاء/ الشعر**، تحقيق عبد الرحمن بدوي (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ط، ١٩٦٦م) ص٦٧.

(٥) انظر: ابن سينا، الحسين أبو علي، **أسباب حدوث الحروف**، نسخ وتصحيح محب الدين الخطيب، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ، ص ٦.

(٦) المحمول هو المسند والموضوع هو المسند إليه، انظر: حاشية **التفكير اللساني في الحضارة العربية** لعبد السلام المسدي، ص ٢٦٦.

الدلالة الصرفية: أشار ابن جني إلى التصريف وعلاقته بالنحو، وتناول القدامى موضوع المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة داخل التركيب ودلالتها، وربطوا بين الصيغة والدلالة أو بين الصيغة والحكم الشرعي، حيث كان لآراء الأصوليين دلالات لصيغ الأمر وغيرها من القضايا، وعند تدقيق النظر في المعاجم القديمة لكلمة (صيغة)، نجد أنها مصدر للفعل (صاغ) الذي يحمل دلالات معجمية تدور حول الأمور الآتية: الصيغة لها هيئة حاصلة بسبب ترتيب ما، وهي مثال يُنسَج على منواله، وهي صناعة أو سبك.(١) أما الصيغة لدى الغربيين فيدور معناها في إطار مفهوم الصيغة البسيطة، والأشكال التصريفية للصيغة البسيطة، ويعبر الغربيون عن صيغة الحاضر البسيط the present simple tense للتعبير عن الزمن الحاضر، وللدلالة على التعبير عن الحقائق الأبدية، وصيغة الماضي البسيط past tense الذي يعبر في الإنجليزية عن الأوقات الماضية أو الحاضرة أو المستقبلة، وأما صيغة المستقبل البسيط Future simple tense فقد يتكون من (shall +) المصدر من الفعل الرئيس – مع الشخص الأول المتكلم المفرد (I) ومع الجمع المتحدث بالضمير (We) – أو (Will) + المصدر من الفعل فيما عدا ذلك)، وقد تستخدم (Will) مع كل الضمائر.(٢) وهذه الدلالات المعجمية للصيغة تتضمن اللفظية والصناعية والمعنوية؛ إذ إن لفظ (قام) يدلّ على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله. وهذه ثلاث دلائل جاءت من لفظه وصيغته ومعناه، وكانت الدلالة الصناعية فيه أقوى من المعنوية لأنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها. ولمّا كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم

---

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن جلال الدين، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة (صوغ)؛ والجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، د. ت، ج٤، ص١٣٢٤؛ والزبيدي، السيد محمد مرتضى، **تاج العروس**، دار بيروت، د. ت، ج٦، ص٢٣.

(٢) انظر :Allen, W,Stnnard.1959.Living English Structure, Longman, p.132,133; Baker, .C. L. 19778.Introduction to Generative Transformational Syntax. Prentice– Hall. Inc Englewood Clifits,p,. 75 . وما ذكره الريحاني، محمد عبد الرحمن، **اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٣٠ وما بعدها.

بالمشاهدة كما قال أحد القدامى.[1] أما ماهية هذه الصيغة فتحدد عبر الأمور الآتية: هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها، ولكون هذه الهيئة مثالاً يحتذى ويصاغ على هيئته، ولكونها متصرفة ودالة على أصل اشتقاقي صيغت منه، وأخيراً لكونها دالة على معنى وظيفي تفيده الصيغة أو القالب الصرفي الذي يدور حول الهيئة التي توضع عليها المادة اللغوية عبر عدد حروف الكلمة وترتيبها، وضبطها وزيادتها وإثباتها أو حذف بعضها، ويكون بذلك القالب الصرفي[2] متضمناً الهيئة والتصرف والمعنى الوظيفي؛ أي أنها قوالب لمجموعة من الألفاظ غير محدودة، وفي ضوء ذلك نجد أن معنى الصيغة في أقسام الكلم يلمح في الاستخدامات اللغوية الاسمية أو الفعلية. أما ما عدا ذلك فإنه غير واضح منه الأشكال المتصورة للفظ الواحد مثل الضمائر؛ أي أن الصيغة لا تكون إلا على ما تجوز فيه الصياغة، أو تتصور فيه موافقة تمام الموافقة لأصل الكلمة، فمثلا: ضارب ومضروب وغيرها من الكلمات مصوغة من ضرب، والصيغة واضحة فيها، أما في الضمائر مثلا (تاء الفاعل، وأنت، وهو) ونحوها فلا تتصور الصياغة فيها، ويصعب معرفة أصلها الذي صيغت منه، وهذا من ثَمّ يجعل الصيغة مقصورة على الأسماء والصفات والأفعال، وتخرج الضمائر والظروف والخوالف والأدوات بنوعيها الاسمية والحرفية، من مفهوم الصيغة.[3] ثمّة فرق بين الصيغة والميزان الصرفي للكلمة الواحدة يدور حول معيار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر: ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، **الخصائص**، ج٣، ص٩٨.

(٢) انظر: حسان، تمام، **اللغة العربية: معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٨م، ص١١١، ص١٣٣ وما بعدها؛ ومحمد خليفة الدّناع، **دور الصرف في منهجي النحو والمعجم**، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ١٩٩١م، ص١٩٣ وما بعدها.

(٣) ثمة خلط حدث لدى القدامى بين مفهوم الصيغة وغيرها من المصطلحات المتشابهة بها، ومنها ما ذكره الأستراباذي حين خلط بين البناء والوزن والصيغة والهيئة، عند تعريفه لبناء الكلمة؛ أو ما ذكره ابن الأثير حول الالتفات أنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة؛ وكذلك ما ذكره العلوي والطيبي، حيث خلطا فيه بين مصطلح صيغة وغيرها من المصطلحات. أما في الوقت الحاضر فقد جعل أحد المعاصرين، كاستيف أولمان، الصيغة دالة على المعنى المعجمي حين عبر عن العلاقة بين اللفظ والمعنى. انظر تفاصيل ذلك في: الأستراباذي، رضى الدين محمد بن حسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، دار الكتب العلمية، د . ت، ج١، ص٢؛ وابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم، **المثل السائر**، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع، د . ت، ج٢، ص١٦٨؛ والعلوي، يحيى بن حمزة، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز**، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤، ج٢، ص١٣١؛ واستيف أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧، ص٧٥ وما بعدها.

من الحروف يعرف به عدد حروف الكلمة وترتيبها، وما فيها من أصول وزوائد وحركات وسكنات؛ أي أن هذه الصيغة للكلمة جاءت لتدل على معانٍ معينة ومحدودة، أما الميزان الصرفي فهو مبنى من المباني الصرفية يمثل الصورة النهائية للمادة اللغوية، فمثلاً صيغة الأمر للفعل (ضَرَبَ) هي (إضرِب)، لكن عندما نتناول الفعل (وقى) وهو من أفعال باب ضرب، تصبح صياغته (قِ)، وعند مقارنة الحرف (قِ) في نظيره في الصيغة، نجد أن ما يوازيه من حروف الصيغة هو العين المكسورة (ع)، وعند السؤال عن صيغة الفعل (قِ)، يكون الجواب: هو من صيغة (أفعِل)، وإذا سألنا أيضاً: لماذا تقف العين المكسورة إزاء الفعل في صورته؟ فإن الجواب يكون في أن العين المكسورة تعبر عن الميزان، ولا تمثل الصيغة، لذا نجد الفرق بين الصيغة من حيث إنها مبنى صرفي، والميزان من حيث هي مبنى صوتي، وما لذلك من أهمية قصوى للتفريق بين علم الصرف وعلم الأصوات.[1] وثمة حالة تتفق فيها الصيغة مع الميزان، كما في المثال (ضَرَبَ) و(إضرِب)، فالصيغة تحمل القيمة الدلالية، أما الميزان الصرفي فيعبر عمّا طرأ على الكلمة من تغيير أو حذف، ويدخل في نطاق الدرس الصرفي الخالص.[2]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدلالة النحوية: ويقصد بها العلاقات القائمة بين مواقع الكلمات في الجملة، وقد أشار العرب القدامى إلى أن الدلالة الصوتية والصرفية أجزاء للدلالة النحوية، حيث ربط ابن جني البعد البنيوي للدلالة النحوية التي تشكل عنده بالصوت

---

(١) انظر: حسان، **تمام، اللغة العربية: معناها ومبناها**، ص١٤٤، ص١٤٥.

(٢) لعل محاولة التفريق بين مصطلح الصيغة وغيره من المصطلحات المشابهة له، توضح ما يرتبط بدراسة المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة ودلالتها؛ وهذا من ثَمّ يشير إلى الدراسات الحديثة في مفهوم (المورفيم) الذي يعرّف أنه الوحدة الصغرى الدالة على معنى، أو أنه أصغر وحدة دلالية، أو أنه سلسلة فونيمية ذات معنى غير قابلة للانقسام، أو أنه صيغة سواء كانت حرّة أم مقيدة لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر ذات معنى، وهو لذلك يشمل الوحدات الصرفية كالسوابق واللواحق، وهذه الوحدة الصرفية كحرف السين في (سيكتب) لا تعدّ صيغة لأنها حرف، وليست متصرفة، وليس لها أصول اشتقاقية، وليس لها قوالب يحتذى بها، لذلك تعدّ الوحدات الصرفية أعمّ من الصيغة، وتشمل كلّ أنواع الكلم. انظر: محمود السعران، **علم اللغة**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ص٢٢٦؛ وعبد الحميد هنداوي، **الإعجاز الصرفي في القرآن: دراسة نظرية تطبيقية**، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١، ص٢٨.

والصيغة والمعنى.[1] وقد أشار الجرجاني مثلاً إلى أن النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم وإن توخيها في متون الألفاظ، ورأى ابن قيّم الجوزية الدلالة التركيبية عندما عدّ اللفظ قبل أن يعقد والتركيب بمنزلة الأصوات التي لا تفيد شيئاً، وإنما تفيد معنى جديداً بعد تركيبها.[2]

وهذه الآراء في الربط بين الصورة الصوتية والصورة الذهنية هي ما قال به تشومسكي حول البنية العميقة والبنية السطحية بحيث إن الجرجاني في الدلائل قد أشار إلى أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وهذه الأغراض كامنة فيها ليكون هو المستخرج لها، وأن المعيار الذي لا يبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه المقياس الذي لا يعرف صحيحاً من سقيم حتى يرجع إليه.

الدلالة السياقية: أشار اللغويون والأصوليون إلى الدلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع عبر الحدث الكلامي تبعاً للظروف المحيطة بها، فمثلاً أصحاب التفسير ربطوا بين معاني الآيات وأسباب التنزيل، وأشاروا إلى الحقيقة والمجاز والخصوص والعموم، وربطوا ذلك بسياق الكلام،[3] حيث إن الألفاظ لدى إلى هنا الأصوليين هي دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه، وأما المجاز فيحدده سياق الحال أو استعمال مجتمع ما حسب الزمان والمكان. ونظرية المقام لدى القدامى تعبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) انظر ما ذكره ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص١٨٤؛ والسيوطي، **المزهر في اللغة**، ج١، ص٤١؛ والجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٣٥، ص٢٥٩.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي، **أعلام الموقعين عن ربّ العالمين**، مراجعة وتعليق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون، القاهرة، د. ت، ج٣، ص٢٣٨.

(٣) انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص٢٤٧؛ وما ذكره الأصوليون حول الدلالة في: الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي، **الإحكام في أصول الأحكام**، مطبعة المعارف، مصر، ١٩١٤م، ج١، ص٣٦؛ وما ذكره في هذا المجال حامدي، عبد الكريم، **ضوابط في فهم النص**، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، السنة الخامسة والعشرون، العدد (١٠٨)، ص١١٨؛ وخرابشة، عبد الرؤوف مفضي، **منهج المتكلمين في استنباط الأحكام الشرعية: دراسة أصولية مقارنة في مباحث الألفاظ ودلالاتها على الأحكام**، دار ابن حزم، إربد، الأردن، ص٤٢٧؛ والجطلاوي، الهادي، **قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج – التأويل – الإعجاز**، ط١، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٩٨م، ص٢٧٩.

عن القرينة التي تتناول المجاز والاستعارة، وهذا الذي ذكرناه أشار إليه مالينوفسكي ودي سوسير كما أشرنا إليه في جهودهما في نظرية السياق.[1]

في ضوء ما ذكرناه نقترح أن يكون هناك مراجعة فعلية للتراث العربي الإسلامي في مجال اللسانيات، ولا سيّما أن ثمة علماء كثيرين لهم باع طويل في التخصصات اللغوية في اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية، ولهم وعي تام بحقيقة اللغة العربية في مستوياتها المتعددة، أما المقترح الثاني فينصب على تأصيل الدراسات الغربية في ضوء التراث القديم، بمعنى قراءة جديدة للتراث نستطيع عبرها معرفة مكنون هذا التراث من أفكار يمكن أن تكون أساساً في المعرفة اللغوية وبيان اجتهادات الغربيين في موضوع اللسانيات من حيث دراسة اللغة من المنشأ وحقيقة اللغة ووظائفها وأهدافها، والعلاقة بين اللغة والفكر واللغة والثقافة، وتأثير اللغة في الاتصال بين الناس وأهمية الكلمة في النص وتحليل النصوص بما يحقق قصد المتكلم، وغيرها من النظريات المتعلقة باللغة الإنسانية ولا سيما العربية وكونها لغة القرآن الكريم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) تناول فيرث السياق وتعرض إلى المعنى وقال: إن نقل الفكرة من المتكلم إلى السامع لا يكون إلا بمعزل عن مقتضى الحال، وتناول مثلاً السياق الاجتماعي بقوله: (تمر الطائرة الآن في منطقة مطبات هوائية، يرجى ربط أحزمة المقاعد)، فالسياق الذي قيل فيه النص يؤكد أن القول جاء في سياق رحلة جوية. انظر: الحمن، شاهر، **علم الدلالة: السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية**، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠١م، ص١١٠؛ وقدور، أحمد محمد، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م، ص٢٩٠؛ وجيفرسون، جيفري، **المدارس اللغوية**، ص٢٣٦؛ حيث ذكر سامبسون أن مالينوفسكي قد ذكر أن اللغة أداة تخدم حاجات المجتمع ولها وظيفة سياق الحال كما ذكر في كتاب The meaning of the meaning لأوجدن ريتشارد. أما مالينوفسكي فقد قال بأن الفكرة القائلة حول اللغة بوصفها وسيلة لنقل الأفكار للمتلقي خرافة مضللة، واللغة عنده واقع عملي وحلقة اتصال في النشاط بين البشر.

حركة آخر الفعل الماضي، بين اللاحقة الإسنادية والعلامة البنائية

الدكتور منير تيسير منصور شطناوي

الجامعة الهاشمية/ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

ملخص

تعرض هذه الدراسة فكرة جدلية بين وجهات نظر متباينة، يرى بعضها الحركة القصيرة آخر الفعل الماضي لاحقة إسنادية؛ انطلاقاً من التعالق الشكلي والموقعي والدلالي بين الحركتين القصيرة والطويلة. ويرى الآخر هذه الحركة القصيرة علامة بنائية صرفة. ويرى بعضها الآخر أنها مجهولة الأصل غامضة المعنى.

كما تعرض هذه الدراسة لاختلاف موقعية بعض اللواحق اللغوية مع اللاحقتين الحركيتين القصيرة والطويلة. وخلص الباحث إلى بطلان رأي من يقول باللاحقة الإسنادية، فالحركة القصيرة آخر الماضي وإن شابهت الطويلة في الجنس، إلا أنها ليست تقصيراً لها. إذ تمَّ إسناد اللاحقة الإسنادية الطويلة بزيادتها لا بمدّ القصيرة، مستنداً إلى جملة من الأدلة اللغوية والمنطقية، بالإضافة إلى ما يعتور القول باللاحقة الإسنادية من ضعف وتساؤلات عُرضت في ثنايا البحث.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Abstract,

This study examines a controversial idea from two different perspective, where one view considers the short vowel, with which the simple past ends, as a subjective suffix, on the basis of the form, position and semantic of the short and long vowel ling. The other view considers this short vowel as a purely structural mark.

The study also investigates the change of the position of some linguistics suffixes with the short and long vowels. The researchers has defatted the opinion supports the subjective suffix. The short vowel which marks the simple past, even if it is similar to the long one in terms of the type, it is not a short form of it. The long subjective suffix has been lengthened by lengthened it, and not by lengthened the short one, based on some linguistic and logical clues, in addition to what might affect the subjective suffix in terms of questions, conducted in the research.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة:

منطلق هذه الدراسة مستمد من تباين وجهتي نظر في تفسير حركة آخر الفعل الماضي، وهذا التباين وإن وقف عنده بعض الباحثين المحدثين[1]، إلا أنه تردد صداه وكثرت التساؤلات حوله بين مؤيد ومعارض. فآثر الباحث أن يعرض ما يمكن أن يستدلّ به كل فريق على رأيه، لنصل في النهاية إلى الحقيقة المقنعة ــ التي لا ندعي حيازتها واحتكارها ــ بطريقة علمية موضوعية.

معلوم أنَّ الجملة العربية تقوم على الإسناد، فالمسند والمسند إليه هما قوام التركيب في العربية، ففي الاسمية يسند الخبر إلى المبتدأ، وفي الفعلية يسند الفعل إلى الفاعل. وتتعدد أشكال المسند إليه في الجملة الفعلية، فقد يكون اسماً صريحاً، أو ضميراً، أو جملة على رأي بعض النحويين...

وإذا تأملنا الفعل الماضي وما يسند إليه من ضمائر، وجدنا المسند إليه إذا كان ضميراً لا يخلو أن يكون صامتاً متبوعاً بحركة قصيرة، نحو: التاء المتحركة أو نون النسوة، فيقال: ضربتُ، ضربتَ، ضربتِ، ضربنَ. أو أن يكون صامتاً متبوعاً بحركة طويلة نحو (نا الفاعلين)، فيقال: ضربْنا. أو أن يكون حركة طويلة نحو: واو الجماعة، أو ألف الاثنين. فيقال: ضربوا، ضربا.

ويكاد الإجماع ينعقد عند علماء اللغة في المسند إليه إذا كان صامتاً، أو حركة طويلة على أن الفعل قد أسند إلى هذه الضمائر، وهذه الضمائر هي الفاعل أو المسند إليه. فيسند الفعل الماضي إلى واو الجماعة (الضمة الطويلة): (uu) فيقال: ضربوا، (darabuu) وبإسناده إلى الحركة الطويلة (uu) عُلِمَ أن المسند إليه جماعة الغائب المذكر. وإذ قيل: ضربا (darabaa) عُلِمَ أن الفاعل

---

(١) انظر دراسة: فوزي الشايب، (**الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح**)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد ٣، عدد ١٩٩١، ص ١٢٢.

مثنى الغائب المذكر، لمّا كان مسنداً إلى اللاحقة: ألف الاثنين (الفتحة الطويلة): (aa).[1]

وانطلاقاً من إسناد الماضي إلى اللواحق الحركية، جاءت فكرة من يرى أن الحركة القصيرة آخر الفعل الماضي لاحقة إسنادية. وسيبين الباحث تفاصيل هذه الفكرة وأدلتها، والدوافع التي جعلت بعض الباحثين يعدونها لاحقة إسنادية كألف الاثنين. خلافاً لما جرى عليه العرف اللغوي في العربية الذي يرى أنَّ الحركة القصيرة آخر الفعل الماضي لا تعدو أن تكون حركة بناء ليس أكثر.

منهجية الدراسة:

عنت الدراسة بعرض وجهة من يرى حركة آخر الفعل الماضي "الفتحة القصيرة" لاحقة إسنادية، حقها أن تكون علامة الإسناد، تماماً كما أن الفتحة الطويلة فيه تعد لاحقة إسنادية، وهي كما هو معروف المسند إليه في الماضي المسند إلى ألف الاثنين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعرض الباحث وجهة نظر أصحاب هذا الرأي التي تمثّلت في ثلاثة أدلة هي: البنية الشكلية للحركتين الطويلة والقصيرة، وموقعهما آخر الفعل، والقيمة الدلالية للحركتين في معرفة المسند إليه من خلالهما.

وترى وجهة النظر الأخرى أنَّ الحركة القصيرة (الفتحة) علامة بناء، لا لاحقة إسناد. مستعرضاً ما يقدمه من يقول بهذه الوجهة من أدلة وحجج. وسيعرض الباحث كل وجهة مفصّلاً ما لها وما عليها.

---

(١) يرى برجشتراسر أنَّ ظاهرة التثنية (وضمائرها) حديثة في العربية بالنسبة إلى سائر الضمائر، ولا يوجد في إحدى اللغات السامية غير العربية، فاخترعته هي، يقول: "والعرب كانوا يستحبون التثنية أكثر من الساميين، ويستعملونها استعمالاً أوسع منهم" انظر: برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلّق عليه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤/ ٢٠٠٣، ص ٧٨.

ومن الجدير بالذكر أنَّ من الباحثين من وقف على أصل فتحة لام (فَعَـلَ) موقف المتسائل ولم ينسبها لرأي، على الرغم من نفيه لـدلالتها علـى المفـرد المذكر الغائب ومن هؤلاء برجشتراسر، يقول[1]:

"فإن قال قائل: فإذن ماذا تكون الفتحة في: فَعَلَ...والفتحة الممدودة ...في (فَعَلا)...؟ قلنا له: أما الفتحة الانتهائية في (فَعَلَ) فأصـلها مجهـول، ومعناهـا غامض. ومع ذلك يتّضح كل الاتّضاح أن لا علاقة بينها وبين (هو) أو (ـهُ)."

وسوف يحاول الباحث الإجابة عن حركة آخر الفعل الماضي بعد مناقـشة وجهات نظر العلماء فيها، وبيان آرائهم المختلفة.

أولاً: الفتحة القصيرة آخر الماضي من وجهة نظر مـن يراهـا لاحقـة إسنادية:

ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى "أنَّ الفتحة في الفعل الماضي ما هي إلا لاصقة ضميرية، وأنَّ الفعل الماضي في الأصل مبني على الـسكون لا الفـتح، فالفعل "درسَ" ليس فعلاً مجرداً، بل هو مركب من أصـل فعلـي هـو (درسْ) بالإضافة إلى اللاصقة (a) أي الفتحة القصيرة فـي آخـره التـي تـشير إلـى الشخص، والعدد، والجنس."[2]

وانطلاقاً من هذه الوجهة فإنَّنا إذا اتفقنا على أن (ضربا) مسند إلـى مثنـى مذكر غائب، فإنَّ الذي يخطر في الذهن إذا قلنا: (ضَرَبَ)، أن الفعل مسند إلـى مفرد مذكر غائب، وإذا بحثنا عن الفرق بين (ضربَ وضربا)، لـم نجـد فرقـاً

---

(١) انظر: برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلّق عليه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤/ ٢٠٠٣، ص ٧٨.

(٢) انظر: فوزي الشايب، **(الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح)**، مجلة كليـة الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد ٣، عدد ١٩٩١ ص ١٢٢. وتمسك د. الشايب برأي القدماء الـذين يرون أن الأصل في البناء هو السكون وأنَّ البناء على الفتح والضم عارضان.

بينهما إلا في طول الحركة (الفتحة) وقصرها، إذ نجدها طويلة مع المثنى المذكر الغائب في (ضربا) (darabaa) وقصيرة مع المفرد المذكر الغائب في (ضربَ) (daraba).

وبناء على ما سبق ساغ القول بأنَّ الحركة في أخر الفعل الماضي لاحقة إسنادية تدل على المثنى المذكر الغائب إن كانت طويلة، وعلى المفرد المذكر الغائب إن كانت قصيرة.

وهذا الطرح يبدو منطقياً إذا قسنا (ضربَ) بـ (ضربا) من حيث الدلالة أولاً. ومن حيث الشكل والتركيب "طول الحركة" ثانياً. فكما يحقّ للطويلة أن تكون لاحقة دالة بطولها على اثنين، يحق للقصيرة أن تكون لاحقة دالة بقصرها على الواحد. وبذلك ننتهي إلى أنَّ حركة آخر الماضي لاحقة إسنادية يمكن تمثيلها في الكتابة الصوتية على النحو الآتي:

daraba = (daraba + aa) ⟵ (مثنى مذكر غائب)

daraba = (daraba + a) ⟵ (مفرد مذكر غائب)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صحيح أنَّ اللغة نظام تستمد عناصره قيمها من موقعيتها ووظيفتها فيه، وإذا أجرينا المقابلة الوظيفية بين الحركات في آخر الأفعال (ضربَ) و(ضربا) و(ضربوا)، بدا لنا تقابل وظيفي بينها، ولكن هذا التقابل ليس تامّا بحيث تقاس فيه الفتحة على ألف الاثنين وواو الجماعة.

والقصد بأنه غير تام أنَّ المقابلة كانت بين حركات غير متساوية في كمّها (طولها)، وهذا الكمّ ذو أثر في السياق، فقد يشفع طول الحركة لجواز سياق محظور في قصرها[1]، هذا من جهة.

---

(١) انظر: إجازة الكوفيين تأكيد الفعل المسند إلى ألف الاثنين ونون النسوة بنون التأكيد الخفيفة، حيث ذهبوا إلى جواز ذلك على الرغم من اجتماع الساكنين على غير حدّهما (كما هو رأي القدماء) واستدلّوا بأنَّ الألف فيها فرط مدّ... انظر: **الإنصاف في مسائل الخلاف**، أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧م، ٩٤/ ج٢، ص ٦٥١.

ومن جهة أخرى فإنَّ السياق اللغوي (التركيبي) الذي يرد فيه (ضربا) و(ضربوا) لا يقابل السياق اللغوي الذي يرد فيه الفعل (ضرب)، وذلك من خلال ما جرى عليه سمت التركيب اللغوي بالتصريح بالاسم الظاهر بعد (ضرب)، بخلاف (ضربا) و(ضربوا).

وبالإضافة إلى ما سبق فإنَّه ليس بالضرورة اطّراد التقابل الوظيفي بين عناصر النظام الواحد ــ وهذا لا ينفي صفة الانتظام عن عناصر النظام ــ فالشاذ في اللغة مثلاً ظاهرة لغوية قد تخالف عناصرها التقابل الوظيفي بين عناصر النظام اللغوي ولا يخرجها ذلك أن تكون من رحم اللغة.

وللقائلين بوجهة اللاحقة الإسنادية أن يتساءلوا عمّا منع النحاة القدماء من عدم عدّ الفتحة القصيرة في آخر الماضي لاحقة إسنادية؟ مع علمهم بما بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة من تعالق.[1] وكذلك علمهم بالفرق التركيبي بين (ضربَ وضربا)؟ وما تنبئ به دلالة الفعل الماضي المتحرك بفتحة قصيرة في آخره نحو: "ضربَ"؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغلب الظن أن الذي دفع النحاة إلى عدم عدّ الفتحة في آخر الماضي لاحقة للمفرد الغائب المذكر، أمران:

---

(١) يقول ابن جني "اعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين... فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة." انظر: ابن جني (ت٣٩٢هـ)، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق محمد حسن إسماعيل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/٢٠٠٠م، ج١/٣٣.

أحدهما، أنَّ القدماء كانوا ينظرون إلى الحركات القصيرة على أنها عناصر ثانوية قاصرة عن القيام بأي وظيفة نحوية، ولذلك لم يعدّوا الحركات القصيرة من جملة فونيمات العربية. يقول ابن يعيش[1]: "وإنما رأى النحويون صوتاً أعظم من صوت، فسمّوا العظيم حرفا والضعيف حركة."

والآخر، أنَّ التركيب اللغوي في العربية يأتي بالمسند إليه صراحة (الفاعل) بعد هذه الحركة القصيرة، في حين لا يصرح بالمسند إليه بعد لاحقة المثنى المذكر الغائب (ألف الاثنين).

وإذا صُرِّح بالمسند إليه بعد هذه اللاحقة كان ذلك خلافاً لما جرى عليه سمت التركيب اللغوي في العربية، وصار على لغة غير مقيسة، ولذلك وقف النحاة موقفاً منفراً من مثل هذا التركيب، واختاروا له اسماً زادهم نفوراً، وهو لغة: (أكلوني البراغيث).

وعليه، لمّا كان المستقرئ كلام العرب يجد المسند إليه مصرحاً به بعد الحركة القصيرة آخر الفعل الماضي (لاحقة المفرد الغائب المذكر)، لم يعدها النحاة لاحقة إسنادية. فلو قال النحاة إنَّ فتحة ضربَ في جملة (ضربَ زيدٌ أخاه)، هي لاحقة إسنادية دالّة على المفرد الغائب المذكر، لوقعوا فيما حذّروا منه وهو تلك اللغة غير المقيسة، إذ لا يتوالى فاعلان على فعل واحد. وإن حاول بعض النحويين الاستشهاد لهذه اللغة وإيجاد تخريجات مختلفة لها[2].

---

(١) ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، شرح مفصل الزمخشري، وضع فهارسه عبد الحسين المبارك. المجلد ٢ عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ط١/ ١٩٨٨م، ج٦٤/٩، واستدرك ابن يعيش على هذا الرأي المنسوب للقدماء بقوله: "وإن كانا في الحقيقة شيئاً واحداً...".

(٢) لمعرفة هذه التخريجات انظر: ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، شرح مفصل الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تصنيف عبد الحسين المبارك، عالم الكتب، المجلد الأول ج٨٧/٣، مكتبة النهضة العربية، بيروت ط١٩٨٨/١، وانظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٨/١، ج٥١٣/١.

ولعل مما يقف في طريق القائلين بوجهة النظر القائلة إنَّ الفتحة القصيرة في آخر الفعل الماضي هي لاحقة المفرد الغائب المذكر، هو أنَّ ثمّة مشكلاً سيظهر في تأنيث الفعل الماضي عند إلحاق تاء التأنيث به. إذ يكاد الإجماع ينعقد عند علماء اللغة على أن التاء الدالة على المؤنث (تاء التأنيث) لا تعد من البنية الإسنادية. فلا يعاملها النحاة معاملة المسند إليه إلا على رأي منفرد لم يؤخذ به[١].

ومعلوم أنَّ هذه العلامة من أبرز علامات التأنيث في العربية، إذ تدخل بصفتها لاحقة على الأسماء والأفعال للدلالة على التأنيث. بيد أنها في الأسماء من بنية الاسم، فإذا قلنا: "جاءت الطالبة"، لا نفصل تاء التأنيث عن الاسم، بل إن هذه اللاحقة تعد من بنية الاسم وتحمل العلامة الإعرابية. وإن كانت في ضوء منهج التحليل إلى المكونات الأساسية (مورفيماً) دالاً على التأنيث[٢]. أما تاء التأنيث في الأفعال فليست من بنية الكلمة، بل يُشار عند إعراب الفعل إلى أنها حرف ساكن للتأنيث ولا محل لها من الإعراب.

ARCHIVE

والسؤال المطروح: إذا كنا نقول إن التاء في (ضربتْ)، تاء تأنيث، فما الذي أُنث؟ وعلامة تأنيث أي شيء في التركيب؟ وإلامَ هي علامة؟ وهل نريد تأنيث الفاعل أم الفعل أم كليهما؟ وهل يجوز تأنيث الفعل؟

تجدر الإجابة عن تلكم التساؤلات في ضوء ما قيل عن اللاحقتين الإسناديتين (علامتي المثنى المذكر الغائب، والمفرد المذكر الغائب) أو الحركتين الطويلة والقصيرة (aa,a).

---

(١) يقول السيوطي: "وقال الجلولي (في تاء التأنيث) اسماً، ما بعدها بدلاً منها، أو مبتدأ خبره الجملة قبله" انظر: السيوطي (ت٩١١هـ) **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، ج٣/٢٩٢.

(٢) انظر: كمال بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد**، مكتبة الشباب، ص١١٦، وانظر: روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر/ ١٩٩٧م، ص ٣٣٦.

فالمتأمل في موقع علامة التأنيث في الفعل المسند إلى لاحقة المثنى المذكر الغائب (ألف الاثنين) يلحظ أن تاء التأنيث تلي هذه اللاحقة الإسنادية، فيقال (ضربتا). ولكننا إذا قلنا إنَّ الفتحة القصيرة في آخر الفعل الماضي هي لاحقة المفرد المذكر الغائب، فإنَّ إلحاق علامة التأنيث بالفعل، نجده بعد هذه اللاحقة ــ وفق رأي من يرى هذه الحركة لاحقة إسنادية، حيث ينبغي أن تؤنث الفاعل (الفتحة القصيرة) ــ فيقال: ضربَتْ. على شكل المعادلة:

(a) + (t) ⟶ at

وبناء على ما سبق كيف جاءت علامة التأنيث بعد لاحقة المفرد المذكر الغائب في (ضربَتْ) وقبل لاحقة المثنى المذكر الغائب في (ضربَتا)؟! وهل هذا يبطل قول من يرى الحركة القصيرة لاحقة إسنادية في الفعل الماضي؟

وللقائلين باللاحقة الإسنادية في إجابة هذا التساؤل وتخريجه أن يخرجوه وفق منظور ظاهرة القلب المكاني، فيقال إنَّ الأصل أن تأتي تاء التأنيث في الفعل المسند إلى ألف الاثنين بعد لاحقة المثنى المذكر الغائب، فالأصل في تأنيث (ضربا) أن يقال: (ضرباتْ)، بيد أنه في قولنا (ضرباتْ) لم نأمن اللبس بين "ضَرباتْ" جمع "ضَرْبَة"، أو "ضَرباتْ" مؤنث "ضَرَبا"؛ لذا آثرت اللغة أن تتخلص من هذا اللبس من خلال القلب المكاني في سياق الفعل الماضي المسند إلى ألف الاثنين عند إلحاق تاء التأنيث به، وتمَّ هذا القلب بين لاحقة المثنى المذكر الغائب وتاء التأنيث، حيث تقدّمت التاء وتأخّرت اللاحقة.

ولأصحاب هذه الوجهة أن يدافعوا عن رأيهم بأن حقيقة التأنيث أن تكون للاحقة لا للفعل، فليس ثمّة فعل مؤنث ولا آخر مذكر، وإنما يؤنث الفاعل أو يذكر. ولذلك كان يفترض كما كانت علامة التأنيث بعد لاحقة المفرد، أن تكون بعد لاحقة المثنى. وهذا ما يؤكده القياس ويعضده.

ولما لم يكن من لبس في سياق الفعل الماضي المسند إلى لاحقة المفرد المذكر الغائب، لم يكن من داع لإجراء هذا القلب عند إلحاق تاء التأنيث.

ثانياً: الفتحة القصيرة في آخر الماضي من وجهة نظر من يراها علامة بنائية:

دأب الدرّس اللغوي في العربية على أنّ الحركة القصيرة في آخر الفعل الماضي لا تعدّ لاحقة إسنادية، ولا تعامل معاملة الضمير. فالنحاة يعربون ألف الاثنين (الفتحة الطويلة) فاعلاً، ولا يعيرون الفتحة القصيرة أدنى اهتمام كلاحقة إسنادية، بل هي عندهم من بنية الفعل وعلامة بنائه.

وقبل استعراض رأي من يقول بالعلامة البنائية، تجدر مناقشة حيثيات رأي من يقول باللاحقة الإسنادية بدءاً من سياق تأنيث الفعل المسند إلى ألف الاثنين (لاحقة المثنى المؤنث الغائب).

فقولنا: ضَرَبَتا، وكان الأصل: ضَرَباتْ. فيه تناقض. فهو ليس افتراضاً لا دليل عليه فحسب، بل ينقض وجهة نظر القائلين بأن الحركة القصيرة لاحقة إسنادية؛ وذلك من جهة أنّ الفعل الماضي إذا أسند إلى لاحقة المثنى المؤنث الغائب لم يتخلص من الحركة القصيرة في آخره، التي هي من وجهة نظرهم لاحقة إسنادية دالة على المفرد المذكر الغائب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكيف جاز في قولنا: (ضَرَبَتا) (darabataa) بقاء الفتحة القصيرة (التي هي برأيهم لاحقة إسنادية) في الوقت الذي أسند فيه الفعل إلى لاحقة المثنى المؤنث الغائب؟ وهل يجوز إسناد الفعل إلى لاحقتين إسناديتين معاً[1]؟!

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أنّ سيبويه قد أورد في كتابه ما معناه أن العرب ما أضمرت؛ لأنها اكتفت بما أظهرت. يقول : "وإنما قالت العرب: قال قومك، وقال أخواك؛ لأنهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا: قالا أبواك، وقالوا قومك، فحذفوا اكتفاء بما أظهروا." انظر: سيبويه (١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٩٨٨/٣م، ج٢/٣٦-٣٧. ورأي سيبويه هذا لا يعدّ حجة؛ بسبب إظهار الاسم بعد الماضي المسند إلى المفرد، فيقال: قالَ زيدٌ. فإذا كان الحذف سببه الإظهار، فكذلك يقال في ضربَ زيد، أدى الإظهار (إظهار زيد) إلى حذف الإسناد (الإسناد إلى اللاحقة). كما حذفت ألف الاثنين وواو الجماعة عند إظهار المثنى والجمع. وتخريجه على الإبدال فيه ضعيف؛ لأنه يخالف ما جرى عليه سمت التركيب اللغوي في العربية.

ولو أردنا أن نأخذ بوجهة نظر من يرى الحركة القصيرة في آخر الماضي لاحقة إسنادية، لوجب أن يقال عند إسناد الماضي إلى لاحقة المثنى المؤنث الغائب: ضربْتا، بتسكين آخر حرف في الفعل، إذ بقولنا: (ضربْتا) يكون الفعل مسنداً إلى لاحقة واحدة، ولكان في ذلك دليل على أن الفتحة في آخر الماضي هي لاحقة المفرد الغائب المذكر بدليل سقوطها عند إسناد الفعل إلى المثنى المؤنث الغائب. بيد أنَّ ذاك لم يكن.

إذن ثمّة إشكال كبير إذا قلنا إنَّ أصل "ضَرَبَتا" هو "ضرباتْ" ثم صار في الكلمة قلب مكاني، لأن الحاصل في قلب "ضَرَباتْ" هو: "ضَرَبْتا" بتسكين الباء وليس ضربَتا.

darabaat ⟵ بالقلب المكاني ⟵ darabtaa

وقولهم: (ضربْتا) ـ مما لا يقوله أحد، بل يقال: ضربَتا، بفتح الباء لا بتسكينها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يُستأنس به أيضاً أنه لو أخذنا برأي من يقول إن فتحة الماضي القصيرة لاحقة إسنادية ــ ما نلحظه في سياق الوقف؛ لأنَّه لا يوقف على متحرك بحركة قصيرة في العربية، فالوقف كما هو معلوم علامته السكون، إذ تسقط الحركة في الوقف، فإذا وقفنا على الفعل (ضربَ) في جملة (زيدٌ ضربَ) وقفنا عليه بالسكون، فنقول: (زيدٌ ضربْ.) وعُلِمَ أن الفعل مسند إلى مفرد غائب مذكر من غير داعٍ إلى الفتحة القصيرة.

ولقائل أن يقول: إنّ ذلك عُرِفَ من الاسم الذي تقدم على الفعل وهو (زيد)، فلم يكن من داعٍ لتلك اللاحقة؟

والجواب عن ذلك أن هذه الفتحة لو كانت لاحقة لوجب بقاؤها وإن تقدم ما يدل عليها، فهل ترانا نسقط ألف الاثنين إذا قلنا: (الزيدان ضربا)؟! فهل يقال:

(الزيدان ضربْ)؟! فإذا لم يجز إسقاط لاحقة المثنى المذكر الغائب، لم يجز (قياساً) إسقاط لاحقة المفرد المذكر الغائب أيضاً.

كما أنه لقائل أن يحتج على رأيكم ويقول: لا نعدم أن الحركة في "ضربَ" حركة بناء اختيرت للفعل كما اختير الضم لـ "حيثُ"، والكسر لـ "أمسِ" وليس لرأيه ما ينقصه أو ينقضه؟

ثمَّ ماذا يقال في المضارع إن كان مقطوعاً عن الحركة في حالة جزمه، نحو: (لم يضربْ)؟ حيث نستدل على الحاضر المذكر المفرد من غير حركة أصلاً؟!

ومما يجدر ذكره في هذا السياق ما طرحه حازم كمال في الرّد على من يقول باللاصقة الضميرية حيث طرح تساؤلين مهمين. يقول[1]:

"وهذا الرأي (رأي من يقول باللاصقة الضميرية) لم يبين أين ذهبت تلك اللاصقة في الأفعال: هدى، سعى، دعا، عفا، كما لم يبين لنا كذلك لماذا جاءت تلك اللاصقة في الفعل الماضي مع الفاعل الجمع نحو صامَ المسلمون...".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فإن قيل جاز الجمع بين لاحقتين إسناديتين معاً على لغة (أكلوني البراغيث)، فهذا مما لا يجوز إلا على قلّة، ثمَّ في لغة أكلوني البراغيث مطابقة بين الضمير والاسم بعده، والحال مختلف ههنا، فكيف يجوز الجمع بين ما دلّ على مفرد (الحركة القصيرة: الفتحة في ضربَ) وما دلّ على مثنى (الاسم الظاهر) معاً؟!

وليس للقائلين باللاصقة الضميرية أن يقولوا إنَّ اللغة كانت تجمع بين اللاحقة والاسم الظاهر (لغة أكلوني البراغيث) ثمَّ تطورت فتركت الإضمار، لأنه لو كانت

---

(١) حازم كمال، **دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث**، مكتبة الآداب، ص ٢٠٠-٢٠١.

الفتحة إضماراً لتركتها اللغة مع الاسم الظاهر كما تركت ألف الاثنين وواوا الجماعة معه.

وإن قيل نستدلّ على لاحقة المفرد الغائب المذكر في الأفعال الناقصة نحو: "دعا و رمى" بأن اللغة تعاملت في (دعا ورمى) مع بنيتهما العميقة "دعوَ، رميَ"، وهذا مجرد افتراض، بقي السؤال قائماً: إذا كانت الفتحة الطويلة لاحقة المثنى الغائب المذكر، كيف أُستدل على المفرد الغائب المذكر في "دعا، ورمى" وآخرهما فتحة طويلة لا قصيرة؟

وليس لرأي من يقول باللاحقة الإسنادية إلا أن ينحو نحو نتيجة مفترضة لا دليل عليها وهي: أنَّ الفعل الماضي المجرّد ينبغي أن يكون ساكن الآخر، بمعنى إذا أردناه غير مسند فيجب تسكين آخره، لأن تحريك آخره بالفتحة يجعله مسنداً، فالأصل في ضربَ أن يقال: ضَرَبْ. وهذا افتراض يعوزه الدليل وينقصه الاستشهاد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا تأملنا ما أصّله النحاة في درس البناء وجدناهم يجعلون الأصل فيه السكون[1]. وتحريكه لعلة موجبة نحو: الفرار من التقاء الساكنين، أو البدء بحرف ساكن لفظاً أو حكماً، أو أن يكون للمبني حالة تمكن[2] ــ لم نجد الفعل الماضي مما يسري عليه أي علّة من هذه العلل.

ويرى الباحث أن الإشكال عند من عدَّ الحركة في آخر الماضي لاحقة إسنادية بدأ من الربط بين الحركة القصيرة في ضربَ والحركة الطويلة في ضربا، فليست الأولى بزعم الباحث تقصيراً للثانية إطلاقاً، وهي وإن شابهتها في

---

(١) العكبري (ت٦١٦هـ)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق غازي طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط/٢٠٠١ ج١/٦٦.

(٢) انظر: خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، **شرح التصريح على التوضيح**، تحقيق محمد باسل عيون السود، مشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/٢٠٠٠ ج١/٥٤.

الجنس وبدت أقصر منها، إلا أنها ليست تقصيراً لها، وهذا التماثل في الجنس بينهما أدى إلى وهم قاد إلى الربط بينهما، فظُنَّ أننا إذا أردنا أن نحصل على ضربا من ضربَ مددنا الحركة القصيرة آخر الفعل. وهذا غير صحيح، بل الذي حدث أننا نزيد حركة طويلة ولا نمد القصيرة، فليست فتحة ضربَ تقصيراً لفتحة ضربا، ولا فتحة ضربا مداً لفتحة ضربَ.

ويبدو الأمر واضحاً إذا نظرنا إلى فعل الأمر[1]، ففي قولنا: اضربْ، إذا أردنا إسناده إلى لاحقة المثنى قلنا: اضربا، أي بزيادة ألف الاثنين مباشرة. وكذلك لم يضربا. وهذا نفسه تمَّ في المضارع المرفوع وتمَّ في الماضي أيضاً، إذ تسقط حركة الآخر ثم تلحق ألف الاثنين. نقول:

أصل الفعل المضارع Yadribu

↓

سقطت الضمة القصيرة Yadrib

↓

لحقت الفتحة الطويلة والنون Yadrib + aa = yadribaan

ARCHIVE

والحال ذاته نقوله في الماضي عند إسناده إلى ألف الاثنين، فالفعل (ضربَ)، تسقط حركة الآخر منه "الفتحة القصيرة" وتلحق ألف الاثنين. نقول:

daraba

↓

سقطت الفتحة القصيرة darab

↓

لحقت الفتحة الطويلة darabaa

---

(١) الاستشهاد بالأمر وكذلك المضارع من باب المقابلة الوظيفية للحركات وإثبات أنَّ الفتحة الطويلة ليست مدّاً للقصيرة؛ لأن الفتحة الطويلة (ألف الاثنين) تلحق المضارع والأمر والماضي. فكان الاستشهاد بهذه الأفعال من هذا القبيل فقط.

ويبقى التساؤل الذي دفع القائلين باللاحقة الإسنادية في الماضي قائماً، أليس في (ضربَ) دلالة على المفرد الغائب المذكر؟ فمن أين جاءت هذه الدلالة؟ ألا يفهم من ضربَ هذا الفهم؟

الجواب عن ذلك هو أنَّ دلالة (ضربَ) على المفرد الغائب المذكر لم تكن من الحركة القصيرة آخر الفعل (الفتحة)، بل من الفعل (ضَرَبَ) كلّه. تماماً كما هو الحال في قولنا: اضربْ. إذ يفهم منه الدلالة على المفرد المخاطب المذكر من غير حركة أصلاً. أي أنَّ الاستدلال على الفاعل تمَّ من خلال الفعل لا من خلال حركة آخر الفعل، ومعنى ذلك أنَّ في الفعل الماضي وفعل الأمر، مورفيماً مستكناً يدل على المسند إليه.

والاستدلال على هذا المورفيم يمكن أن يكون بمنطق من يرى عدم العلامة علامة، فقد نميز مجموعة متشابهة في مفرداتها بإكساب كل مفردة علامة أو لوناً خاصاً، وتُترك واحدة منها من غير علامة لتتماز بذلك عن غيرها.

وهذا ما كان في الفعلين الماضي والأمر، وإن كان آخر الماضي متحركاً، وآخر الأمر ساكناً، فالقصد أن هذا المورفيم (الصفري) مستكن في بنية الفعل كلّه لا في علامة معينة سواء أكان آخر الفعل محركاً أو ساكناً.

وإذا لم تكن الفتحة النهائية في (فَعَلَ) لاحقة إسنادية، فهل هي ذات أصل مجهول ومعناها غامض كما ذكر برجشتراسر سابقاً[1]؟

للإجابة عن هذا التساؤل، وانطلاقاً من أنَّ هذه الحركة (الفتحة القصيرة) التي تلحق الفعل الماضي علامة بنائية، يجدر بنا الوقوف على مفهوم البناء. فالمبني كما يعرّفه علماء اللغة[2]:

---

(١) انظر: رأيه فيما سبق من البحث، ص٦-٧.

(٢) انظر: ابن منظور(ت٧١١هـ)، **لسان العرب** مادة بني، وانظر ابن جني (ت٣٩٢هـ)، **اللمع في العربية** ط١، تحقيق حسين محمد شرف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٨ ص٩٢، وانظر كتابه: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية، دار الكتب العلمية ج١، ص ٣٧.

"لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل..."، وقيّد علماء العربية المبني بقيود لخّصها الأشموني بقوله:(١)

"(البناء) فما جيء به لا لبيان مقتضى العامل من شبه الإعراب، وليس حكاية، أو اتباعاً، أو نقلاً، أو تخلصاً من سكونين..."

وعليه فإن حركة الماضي ليست من هذا القبيل، لأنها حركة بناء. وقبل تعليل جنس هذه الحركة، تجدر الإشارة إلى أن "الأصل في المبني أن يسكّن...فالحركة زيادة مستثقلة بالنسبة إلى السكون، فلا يُؤتى بها إلا لضرورة تدعو إلى ذلك..."(٢). ولكن ذهب بعض المحدثين إلى مخالفة القدماء في رأيهم القائل بثقل الحركة وخفة السكون في تعليلهم أصل البناء. يقول كمال بشر(٣):

"إنّ هذا التعليل (تعليل القدماء) بالإضافة إلى ما يشتمل عليه من مغالطة منهجية، يصف الحركات بالثقل إذا ما قورنت بالسكون..."

وذهب إبراهيم مصطفى إلى إنكار قول من يقول بأصالة السكون في البناء، بل الأصل التحريك(٤).

وإذا كنّا نميل إلى رأي بعض المحدثين في أنّ أصل البناء بالتحريك لا التسكين، فإنّ رأي القدماء في تعليل بناء الفعل الماضي على الفتح يكشف علّة

---

(١) الأشموني (ت ٩٠٠هـ)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط١، قدّم له حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١/٤١.

(٢) ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، **شرح المفصّل للزمخشري**، ط١، قدّم له إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج٢/٢٨٨، وانظر: السيوطي (ت٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر**، ط٣، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣، ج٣/٤٩.

(٣) كمال بشر، **دراسات في علم اللغة**، د.ط. دار غريب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٧٥-١٨٠.

(٤) انظر: إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، د. ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٠٤

اختيار هذه الحركة. فما جاء محرّكا من المبنيات على غير السكون والكسر كالفعل الماضي، فبابه كما يرى الزجاجي[1]:

"أن يكون بالفتح؛ لخفّة الفتح، ولا يكسر لئلا يشبه ما حرّك بالضرورة، وبابه أن يكون مفتوحاً حتى تقع علّة تزيله عن الفتح...".

ويرى الباحث أنّ كثرة استخدام الفعل الماضي في اللغة إذا ما قيس بالمضارع والأمر، كفيلة باختيار أخف الحركات له وهي الفتحة. ويكفي للتدليل على خفة الفتحة أنها الحركة الأكثر تكراراً لتحريك عين الفعل الماضي في العربية.[2]

كما اختيرت الفتحة لخفتها لتحريك عين الأفعال المضارعة إن كانت صوتاً حلقياً وإن كانت في الماضي على فَعَلَ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، **مجالس العلماء**، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٣، ص١٦٨. وتجدر الإشارة إلى أنّ من القدماء من وقف مطوّلاً في تعليل اختيار الفتحة بوصفها حركة بناء للفعل الماضي، ومن هؤلاء نور الدين الباقولي (ت٥٤٣هـ)، **شرح اللمع لجامع العلوم**، ط١، تحقيق محمد خليل الحربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١١٥-١١٦.

(٢) أجرى الطيب البكوش دراسة إحصائية رصد فيها تواتر الحركات الثلاث على عين الأفعال الماضية في العربية، فوجد أن فعُلَ مضموم العين يرد ٢٨٩ مرة، وفعِلَ مكسور العين يرد ١١٠٠ مرّة، وأما فعَلَ مفتوح العين فيرد ٢٣٩١ مرّة. أي أنّ مفتوح العين يشكل ما نسبته ٦٣% من مجموع الأفعال الماضية في العربية. انظر: الطيب البكوش، **التصريف العربي**، تقديم صالح القرمادي، تونس، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٨٦.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، د.ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢. ابن جني (ت٣٩٢هـ)، **اللمع في العربية** ط١، تحقيق حسين محمد شرف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٨.

٣. ابن جني (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية ، دار الكتب العلمية،

٤. ابن جني (ت٣٩٢هـ)، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق محمد حسن إسماعيل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٥. ابن منظور(ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، اعتنى بتصحيحها أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

٦. ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)شرح مفصّل الزمخشري، ط١، تقديم إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م

٧. ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، شرح مفصل الزمخشري، تصنيف عبد الحسين المبارك، عالم الكتب، المجلد الأول مكتبة النهضة العربية، بيروت ط١، ١٩٨٨م.

٨. الأزهري خالد، **شرح التصريح على التوضيح**، تحقيق محمد باسل عيون السود، مشورات محمد علي بيضون، دار الكنب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١/٥٤.

٩. الأشموني (ت ٩٠٠هـ)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط١، قدّم له حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠. الأنباري، أبو البركات (ت٥٧٧هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧م، ٩٤/ ج٢، ص٦٥١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١. الباقولي، نور الدين (ت٥٤٣هـ)، **شرح اللمع لجامع العلوم**، ط١، تحقيق محمد خليل الحربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢م.

١٢. برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلّق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط٤، ٢٠٠٣م.

١٣. حازم كمال، **دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث**، مكتبة الآداب.

١٤. روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٧م.

١٥. الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، **مجالس العلماء**، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٣م.

١٦. سيبويه (١٨٠هـ) ، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

١٧. السيوطي (ت٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر**، ط٣، تحقيق عبد العال مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٨. السيوطي (ت٩١١هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٩. الطيب البكوش، **التصريف العربي**، تقديم صالح القرمادي، تونس ط٣، ١٩٩٢م، ص ٨٦

٢٠. العكبري (ت٦١٦هـ)، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق غازي طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط، ٢٠٠١م.

٢١. كمال بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد**، مكتبة الشباب.

٢٢. كمال بشر، **دراسات في علم اللغة**، د.ط. دار غريب، القاهرة، ١٩٨٨م.

الدوريات:

- فوزي الشايب، (**الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح**)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد ٣، عدد ١٩٩١.

دارسو اللغة العربية في ولاية لاغوس

بين الواقع والوهم

د. ناصر أولاجدي أونيبن

قسم اللغات الأجنبية (وحدة اللغة العربية)

جامعة ولاية لاغوس

لاغوس – نيجيريا

مقدّمة:

انتشرتْ اللغة العربية في جميع أنحاء المعمورة بمجيء الإسلام، ونزول القرآن الكريم بها. وبتأسيس الدولة على أيدي المسلمين، ارتفعتْ مكانة اللغة العربية، وأصبحتْ لغة السياسة والعلم والأدب والتجارة والتقنيّة في قرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون[١]. إذ لا يرسّخ الإسلام أقدامه في بلد إلاّ وتوجد معه اللغة العربية. وقد ظهرتْ الضرورة الملحّة لتعلّم اللغة العربية وتعليمها، ولا سيّما منذ أنْ اهتمّ العلماء بصون وحفظ القرآن الكريم، ومنذ أنْ كانتْ للعرب علاقات تجارية مع غيرهم من الدول المجاورة لهم[٢]، ومنذ الفتوحات الإسلامية في الأمصار الأخرى، ودخول كثير من الأعاجم في الإسلام، وتشوّقهم لقراءة القرآن الكريم باللغة العربية.

---

(١) انظر: خليل، عماد الدين، **مؤشرات حول الحضارة الإسلامية**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، د.ت، ص: ٢٥.

(٢) انظر: وافي، علي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٢م، ص: ١٠٣.

وفي الحاضر، اتّسع مجال استخدام اللغة العربية، وبدأتْ تنتظم عملية تعلّمها وتعليمها. وأمّا العمل على زيادة فعالية تعلّمها، فيتطلّب ظروفاً جيدة فسيحة. ولكن كثيراً من سلوك الإنسان وأفعاله تتحكّم فيهما دوافعٌ ورغبات وتحديات، تكون ظاهرة في بعض الأحيان. وتعلّم اللغة العربية مثل غيره مِنَ الأفعال، تقف وراءه بعض الدوافع والتحديات المختلفة، غير أنّ الظروف والتحديات التي تواجه دارسي اللغة الثانية أو الأجنبية تختلف عن التحديات التي تتصل بتعلّم اللغة الأم. وتتراوح تلك التحديات بين الشؤون السياسية والثقافية والعملية، وبالتالي تختلف التحديات باختلاف المكان والشخص والظروف التي يحيط بها التعلّمُ، وربما تحدّد تلك الظروف والتحديات واقعيةَ التعلّم والتعليم وأوهام تدور حولهما. والكشف عنْ واقعية تعلّم اللغة العربية في ولاية لاغوس، هو ما يهدف إليه هذا البحث من حيث إجابته عن أسئلة مثل: ما واقعية الظروف التي يتعامل دارسو العربية معها في ولاية لاغوس؟ وما السبب للتخلّف في تعلّم العربية في الولاية؟ وما... وما... وما؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولإنجاز هذا الهدف ينهج البحث منهجاً ميدانياً مسحيّاً؛ للكشف عن تلك المهمّة بأنْ صمّم الباحث استبياناً مكتوباً باللغة الإنجليزية[1]، وتمّ تحليل الأجوبة على الاستبيان تحليلاً إحصائياً. ويحتوي الاستبيان على ثمانية وثلاثين سؤالاً تمّ تصنيفها إلى ثلاثة أصناف متكوّنة مِنْ عناصر متنوّعة. ويتعلق الصنف الأول مِنَ الاستطلاعات بالمعلومات الشخصية، بينما يشتمل الصنف الثاني على اللغة العربية وتعلّمها في منطقة كلّ مِنَ المجيبين. وأمّا الصنف الثالث فيحتوي على الاستفسارات عنِ الدوافع والتّحديات التي تواجه دارسي اللغة العربية.

---

(١) ذلك ليتّسع توزيعه.

وقد أجري مئتا استبيان على دارسي اللغة العربية في جامعة ولاية لاغوس، والمعاهد العربية والإسلامية الأخرى، كعيّنة تمثّل جميع دارسي اللغة العربية في الولاية؛ وذلك لاتساع توزيع الاستبيان على الطلبة من شتّى نواحي الولاية، ومِنْ المدارس المتنوعة، والمراحل الدراسية المختلفة[1]. وقد أظهرتْ النتائج وجود مئة وستة وثمانين مجيباً عن الأسئلة ممثّلين للعينة التجريبية، وذلك يبلغ ٩٣% من جميع العيّنة.

١. لمحة تاريخيّة عنْ نشأة العربية وانتشارها في ولاية لاغوس:

تقع نيجيريا في غرب إفريقيا، وهي أكبر دولها سكاناً. وأطلق المستعمرون البريطانيون الاسم "نيجيريا" على المنطقة في مطلع القرن العشرين الميلادي، بعد اتحاد تلك القبائل والمناطق في دولة واحدة، وتحت دستور واحد سنة ١٩١٤، على أيدي لَوْرْدُ لُوغَارِد (Lord Lugard)[2]. ولقد انقسمتْ نيجيريا إلى ست وثلاثين ولاية على أيدي الحكومات العسكرية الماضية قبل تولية الحكومة الديمقراطية الحالية، وعاصمتها الجديدة (أبُوجَا). وتسكن قبيلة يوربا في ولايات الجنوب الغربي، واللغة الأم لهم (اللغة اليوربوية). وولاية لاغوس إحدى أشهر المدن التي تقع في بلد (يوربا)، وتحدّ شمالاً وشرقاً بولاية (أوْغُن)، وغرباً بجمهورية (بيني)، وجنوباً بالبحر الأطْلَنْطِي مما جعل هواءها لطيفاً ومريحاً. وروي أنّ البرتغاليين هم الذين أطلقوا الاسم "لاغوس" عليها عام ١٤٨٢م[3] لوقوعها على شاطئ البحر مع مرفأ بها.

---

(١) منهم خريجو المعاهد الخاصة والمدارس الحكومية.

(٢) أصدرتْ الحكومة البريطانية أول تقرير عن هذا الاسم من البرلمان البريطاني في شهر يوليو سنة ١٨٩٩م، وظهر الاسم "نيجيريا" في جريدة التايمس (Times) اللنْدَنِيَة في شهر يناير ١٨٩٧م. انظر غلادنث، أحمد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ – ١٩٦٦م**، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص: ٢٩.

(٣) الإلوري، آدم عبد الله، **نسيم الصبَا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا**، مطبع الثقافة الإسلامية، ط/٣، القاهرة ١٩٨٦م، ص:٢٠٧.

وقد ابتدأ الاستعمار الإنجليزيّ في نيجيريا مِنْ ولايـة لاغـوس، واتّخـذها المستعمرون مركزًا تجارياً وسياسياً في غرب إفريقيا[١]، وكانتْ ولاية لاغـوس عاصمة لها؛ ولذا سَرُع نموّها وتقدّمها، إذ صارتْ عاصمة سياسية واقتـصادية وثقافية لنيجيريا، وأصبحتْ ملتقى لجميع قبائلها ومدخلاً لجميع الأجانب الوافدين والواردات، ومخرجاً لجميع الخارجين والصّادرات. وما زالتْ ولايـة لاغـوس مركزاً مهمّاً لحركات سياسية واقتصادية في نيجيريا حتى اليـوم رغـم انتقـال العاصمة إلى (أبوجا). وقال مصطفى: "**ولقد تقدّمتْ فـي لاغـوس الـصناعة والتّجارة واشتملت على عدد كبير من المتاجر والمصانع والمطابع والمصارف، وهي مركز عام للمؤسسات والسفارات والشركات الأجنبية**،..."[٢]. وروي أنّها تشتمل على ٦٥% (٦٥ بالمئة) من نشاطات تجارية في نيجيريا و٦٠ بالمئة من الشركات فيها[٣]. وتتضمن الولاية كذلك، مـدارس ومعاهـد وكليـات التربيـة وجامعات مما يدلّ على أهميتها. ولكلّ مهنة في نيجيريا فـرع أو مكتـب فـي لاغوس، فتتكون ولاية لاغوس اليوم من خمسة أقسام رئيسية، وهي (إيكَيْجَـى) عاصمة الولاية، (وبَدَاغِرِي وإيكورُود)، (وجزيرة لاغوس)، (وعَيْبَـى)[٤]، ثـم تنقسم كلّها إلى مناطق عشرين حسب حكومات محلية.

ويرجع تاريخ دخول الثّقافة العربية إلى ولاية لاغوس إلى حضور الإسـلام فيها سنة ١٧٧٥م[٥]. وذكر أبو بكر أنّ رجلاً عالماً يُدعى سليمان مِـنْ شـمال

---

(١) الإلوري، آدم عبد الله، **نسيم الصّبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا**، مطبع الثقافة الإسلامية، ط/٣، القاهرة ١٩٨٦م، ص:٢٠٧.، ص: ١٩٧.

(٢) مصطفى زغلول السّنوسي، **أزهار الرّبا في أخبار بلاد يوربا**، بيروت، ط/١، ١٩٨٧م، ص: ١٦٠.

(3) Lagos State Investors Guide, ENI-MEG LTD 1st ed. Lagos, 1998. p. 5.

(٤) مقسط الرأس لصاحب هذا المقال.

(5) Gbadamosi, T.G.O. *The Growth of Islam Among the Yoruba 1841- 1908*, Longman, London, 1978, p. 5.

نيجيريا مكث في لاغوس، وكان يدعو النّاس إلى الإسلام حتى كثر عدد المسلمين، ثمّ بنى المسلمون الجدد المسجد الجامع فأصبح هو إمامـا لـه، وكـان كَوْسَـوْكَوْ (Kosoko) ملك لاغوس في ذلك الوقت أسلم هو على يدي الإمام[١]. وهكـذا بـدأ الإسلام ينمو شيئاً فشيئاً مع اللغة العربية في لاغوس، وازداد النمو مـع رجـوع المسلمين الوافدين من سـيراليون (Sierra-Leone) وبرازيـل (Brazil) لأنهـم شجّعوا إخوانهم المسلمين في لاغوس[٢].

وقد نزل هؤلاء المسلمون المهاجرون مِنْ سيراليون بولاية لاغوس، ثمّ انتقلوا إلى لاغوس. وسميتْ المجموعة بمجموعة فورابي (Fowrah Bay) أو مـسلم سارو (Saro Muslims) وبنـوا مـسجد هروبـا (Horabay Mosque). أمّـا إخوانهم المهاجرون مِنَ البرازيل، فسميتْ بمسلم أَغُودَا (Aguda Muslim) وكان عددهم أقلّ مِنْ مجموعة سيراليون، وبنى هؤلاء كذلك مساجد منها: مسجد أُولَوْسُنْ (Olosun Mosque)، ومسجد ألاغبين (Alagbayun Mosque)، ومسجد طاهر أيْكَوْ (Tairu Eko Mosque). وفي بَدَاغِري. يعود تـاريخ المـسجد الأول إلـى ١٨٢١م، وأول إمام له هو عبد الله[٣]. وفي بلاد عَيْبَى ترجع أوليته إلى خروج ملك كَوسَوْكَوْ من لاغوس إليها في عام ١٨٥١م، لما نفته الحكومة البريطانية. وكان من عادات المسلمين تأسيس مساجد للعبـادات، ولتـدريس اللغـة العربيـة والعلـوم الإسـلامية. وبلغ عدد المساجد الصّغيرة ٥٧ مسجداً، فضلاً عن ستة مساجد أسسها أهل القرآن[٤]. وكان هناك رجل يسمّى عبد الكريم نـزل لاغـوس حـوالي عـام ١٨٩٠م، وأسس بها مركزاً للتعليم[٥]، وله مؤلّفات مطبوعة عديدة، ولـه تلاميـذ كثيرون في لاغوس وسائر بلاد يوربا.

---

(١) أموني، عبد القدوس، **تدريس اللغة العربية في ولاية لاغوس**، بحث جامعي غير منشور قدّم لنيل درجة ليسانس في اللغة العربية، جامعة ولاية لاغوس، ١٩٩٠م، ص:١٠.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الإلوري، آدم عبد الله، **نسيم الصّبا...**، ص: ٢٠٩.

(٤) نفسه، ص: ١٩٣.

(٥) المرجع نفسه، ص: ١٩٨.

٢. الآثار العربية في ولاية لاغوس

٢,١. الآثار التّربوية

إنّ الآثار المهمة للثقافة العربية في أي بلاد، تتمثل في تأسيس المدارس العربية في مختلف أنحاء تلك البلاد، مع وجود عدة أعلام ذوي مؤلفات عديدة في البلاد. والتّعليم الإسلامي والعربي أول نوع تدريس عُرف في لاغوس في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي قبل دخول التّربية الأوروبية إليها في نصف القرن التّاسع عشر[١]. ومن عادات المسلمين تأسيس المسجد، واتخاذه مركزاً للدعوة ولتدريس أبنائهم، إذ كان المسجد عندهم كالمدرسة في أوائل ظهور الإسلام في أي بلد، ومازال الأمر كذلك إلى يومنا هذا. وإن دلّ ذلك على شيء، فإنّه يدلّ على أنّ أول مدرسة في ولاية لاغوس أُنشئتْ منذ ١٧٧٥م حين عُرف الإسلام بها وحين بُني بها المسجد الأول؛ وبازدياد عدد المساجد ازدادتْ كذلك مراكز تعليم العربية بها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد أن احتلّ المستعمرون البريطانيون مدينة لاغوس عام ١٨٦١م[٢]، تركوا شؤون التّعليم بأيدي المبشّرين. وسهّلوا لهم كلّ الوسائل لنشر اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية، وانتشار الدين المسيحي، وأصبحتْ لغتهم لغة رسمية، ومَنْ كان يعرفها أصبح سيّداً مُطاعاً، ثم طلع سعدهم وغرب سعد غيرهم مع كساد تجارتهم. ومما يجذب أولاد المسلمين إلى المدارس التّبشيرية في لاغوس استعمال موسيقى بها، ولبس التّلاميذ زيّاً رسمياً، وتوزيع الكتب والأقلام والمقاعد والأدراج للكتابة مجاناً، واتخاذ النّظام الدّراسي، وتضمين برامج البنات وغيرها، مما يخالف ما كان يوجد في المدارس القرآنية أو

---

(1) Folami, T.A. *History of Lagos*, Exposition Press, New York, 1982, p. 142-143.

(٢) أموني، عبد القدوس، مرجع سابق، ص: ١٢.

الكتاتيب[1]. وبالإضافة، كانتْ الحكومة الاستعمارية توظّف الطّلبة المتخرجين من المدارس التّبشيرية بالأموال الطائلة، وتوزّع عليهم المنح العلمية لمتابعة دروسهم في أوروبا وأمريكا، وهكذا كانتْ الحكومة تساند المدارس التّبشيرية مادياً ومعنوياً.

ولم يقبل المبشرون إدخال العلوم الإسلامية والعربية في برامجهم الدّراسيّة، كما لم تُقدّم الحكومة للمدارس القرآنية شيئاً مثل ما وهبتْ للمدارس التّبشيريّة. وقد دفع هذا التّمييز المسلمين إلى أنْ يشكوا إلى الحكومة بأنّ أولادهم كانوا يعرفون عن الإنجيل أكثر مما كانوا يعرفون عن الإسلام. وقبل عام ١٨٦٧م، بدأ المسلمون في لاغوس يسحبون أولادهم من المدارس التّبشيريّة[2]، ثمّ بدأتْ محادثة بين الحكومة والمسلمين حول ذلك الموضوع، وأدّتْ المحادثة إلى تأسيس مدرسة حكومية للمسلمين في لاغوس، في الخامس عشر من شهر يونيو عام ١٨٩٦م[3]، وسميتْ مدرسة الحكومة للمسلمين (Government Muslim School)، وخُصّصتْ هذه المدرسة لتدريس اللغة العربية والدّراسات الإسلامية. ومن ذلك الحين بدأ انتشار دراسة اللغة العربية في ولاية لاغوس. واليوم يمكن تقسيم مدارس تعليم العربية في لاغوس إلى ثلاثة أقسام، وهي المدارس القرآنية المحلية (أي الكتاتيب)، والمدارس العربية الحديثة، والمدارس الحكومية.

المدارس المحليّة:

توجد المدارس المحلية في المساجد والأماكن المختلفة من بيوت المسلمين، كما هو الشأن في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ويعتبر هذا النوع من المدارس حجراً أساسيّا لتعليم اللغة العربية، وقد تخرّجتْ أغلبية ساحقة من العلماء

---

(1) Nasiru, W.O.A, "Reactions of Lagos State Muslims to the Challenges posed by the Christians' Sponsored Education", *ALFIKR*, Dec. 1987, No.8, p. 14.

(2) Ibid. p.16.

(٣) أموني، عبد القدوس، مرجع سابق، ص: ١٣.

المشهورين من مثل هذه المدارس، ويؤدّي ازدياد عدد المساجد إلى الزيادة في عدد المدارس[1].

أمّا التّعليم في هذه المدارس، فينقسم إلى قسمين: مرحلة تعليم الصّبيان القرآن الكريم من غير حفظ، ثم تعليمهم حفظه بعد ذلك، دون أن يفهموا معاني آيات القرآن التي يحفظونها. ويتمّ فهم معاني القرآن في المرحلة الثانية، ثم يبدأ المعلّم بتدريس الطّلاب كتب اللغة من النّحو والصّرف وبعض الكتب الدينية.

وأساليب التدريس في هاتين المرحلتين في هذه المدارس غير منظّمة من حيث مواقعها، ومؤهلات المعلّمين ونظام التّدريس. فأبرز مؤهلات أكثر المعلّمين فيها هو مجرّد القدرة على قراءة القرآن الكريم، وحفظ حزب على الأقل أو أكثر منه، والقيام بكتابة بسيطة عن طريق الاستنساخ في الأوراق. وعدد تلاميذها يتراوح بين خمسة ومئة طالب، وعلى سبيل المثال: يبلغ عدد الطلاب في مدرسة مسجد توسر (التفسير) بعيبى، خمسة وأربعين طالباً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدارس العربية الحديثة:

وفي أيام الاستعمار الأوروبي أصبحتْ اللغة الإنجليزية لغة رسمية ووسيلة التعليم، وبذلتْ الحكومة جهدها في تعزيزها. ونظراً لمعاداة الاستعمار للغة العربية رأى العلماء ضرورة إقامة المدارس العربية التي تشبه المدارس التبشيرية؛ دفاعاً عن نفسها من مكر الحكومة الأوروبية وثقافتهم. وبنى هؤلاء العلماء مدارس عربية حديثة، ثم جعلوا لها مناهج منظّمة وقاموا بتوظيف

---

(١) وروي أنّ عدد المدارس في سنة ١٨٨٧م خمسون (٥٠)، وبلغ عددها ستين (٦٠) في سنة ١٨٩٢م، انظر Research Report on the Introduction and Development of Arabic – Islamic Learning in Lagos State, Arabic & Islamic Units, Lagos State University, Sept. 1990.

المدرّسين، وعقد الامتحانات، وإصدار الشهادات التي لم يُعترف بها من قبل الحكومة حتى اليوم.

وخير أمثلة لهذا النّوع "مركز التعليم العربي والإسلامي" بأجيجى (Agege)، و"مدرسة دار الدّعوة والإرشاد العربية" بإصولو (Isolo)، و"معهد أنصار الدين للدراسة الإسلامية والعربية" بإصولو، و"دار الإسعاد والإرشاد" بسار إغَنْمُو (Sari-Iganmu)، وفي هذه المدارس ثلاث مراحل دراسية مختلفة ــ المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية ــ ويجمع بين التّربية العربية والغربية في بعض المدارس، ولا سيّما بمعهد أنصار الدين.

المدارس الحكومية:

ينقسم النّظام التعليمي المعروف ب ٤-٣-٣-٦ في نيجيريا إلى أربع مراحل دراسية: وهي المرحلة الابتدائية التي يقضي فيها الطالب عادة ست سنوات، والمرحلة الثانوية التي يقضي فيها الطالب ثلاث سنوات في الطور الأول المشهور باسم Junior Secondary School (JSS) وثلاث سنوات أخرى في الطّور الثّاني المشهور باسم Senior Secondary School (SSS). والمرحلة الرابعة هي ما بعد الثانوية بما في ذلك الجامعات والمعاهد المهنية العليا[١].

ولا تُدرس اللغة العربية بوصفها مادة مستقلة في المدارس الابتدائية إلاّ كجزء مِنْ مادة الدين الإسلامي. وفي المدارس الثانوية يستقلّ تدريس العربية كلغة أجنبية وهذا مقابل اللغة الفرنسية، وإنّ عدد معلّمي اللغة العربية في المدارس الثانوية الحكومية في ولاية لاغوس ستة وأربعون (٤٦)[٢]، وهذا العدد أقلّ بكثير من عدد المدارس الثانوية التي تزيد على ٣٥٠ مدرسة.

---

(1) Federal Republic of Nigeria, *The National Policy on Education*, NERC Press, Lagos, 1981.

(٢) حصل الكاتب على هذا الإحصاء في مكتب اللجنة لشؤون التدريس في المدارس الثانوية، إيكيجى، لاغوس.

أمّا تعليم اللغة العربية في ما فوق الثانوية، فهناك جهدٌ ملموس في شأن ذلك في جامعة ولاية لاغوس، وكلية التّربية الابتدائية بعيبى. وقد خصصتْ كلّ مِنْ الجامعة والكلية وحدة مستقلة للغة العربية نظراً لأهميتها لسكان هذه المنطقة. وأتاحتْ جامعة ولاية لاغوس فرصة لخريجي المدارس العربية للالتحاق بالجامعة لمواصلة دراستهم. فإنّ هؤلاء المؤهلين في اللغة العربية والإسلامية لا يمكن قبولهم في الجامعة؛ لأنّ المدارس التي يتخرجون منها غير معترف بها لدى الحكومة، ولا يتعلّمون فيها المواد الأساسية مثل الحساب واللغة الإنجليزية والعلوم الطبيعية، كما أنهم لا ينالون فيها الشهادة العامة للتعليم (G.C.E).

ولكي ينجوا من هذا المأزق، فتحتْ لهم وحدتا اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعة باباً خلفيّا؛ ليدخلوا منه وليحصلوا على دراسة جامعية، وذلك بإنشاء "شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية". وبهذه الطريقة يجد هؤلاء الطلبة فرصة للالتحاق بالجامعة، حتى ينالوا شهادة (ليسانس) في اللغة العربية أو في الدراسات الإسلامية. وبالتالي يمكن لطالب مسجّل لمادة غير العربية أنْ يدرسها كإحدى المواد الاختيارية؛ وعلى سبيل المثال: يمكن للطلبة الذين يدرسون التاريخ والدراسات الدولية، أو الأديان، أو اللغة الفرنسية، أو التّربية أن يختاروا من مواد اللغة العربية كمواد اختيارية إضافية يستعينون بها في دراستهم.

وأخيرا، هناك نوع من مدارس يمكن إدراجها في صنف المدرسة الحكومية، وهي التي تتّصف بروضة الأطفال والابتدائية. وعلى الرغم من أنّها غير رسمية إلا أنّه معترف بها لدى الحكومة، وانتشر هذا النّوع في أنحاء الولاية. وقد أسّس بعضها أفرادُ المسلمين الأغنياء ومنها: روضة الأطفال والابتدائية لتسموه (Tesmoh Nursery & Primary School) بعيبى، ومدرسة النجاة للأطفال بأبابا (Apapa)، ومدرسة الفرقان للأطفال بسورليرئ (Suru-Lere)،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومدرسة طيبة للأطفال. ولكل هذه المدارس المذكورة كليّة للتقدّم إلى المرحلة الثانوية. ويجمع التّعليم فيها التربية الغربية مع التعليم العربي والإسلامي، إلا أنّ معظمها يوحّد بين تدريس العربية والدراسات الإسلامية، ولا سيّما في مرحلتي الرّوضة والابتدائية.

٢,٢. الآثار الاجتماعية والثقافية

مِنَ الحقائق المثبّتة أنّ الإنسان فرد في المجتمع يتعامل مع إخوانه في القبيلة، وأنّه مخلوق اجتماعيّ لا ينعزل منفرداً بنفسه، ولا ينعزل عن مجتمعه. ولقد قال مختصّ في علم الاجتماع: "إنّ الإنسان لا يسمى إنساناً لمجرد أنّ له جسماً يحتوي على دماغ، فحسب، بل أيضا؛ لأنّه يُنظر إليه كعضو في مجتمع ويراه الآخرون إنساناً"[1]. وفي مجتمع ما يشارك غيره من النّاس في كلّ شيء، وهو يسبق بعضاً في شيء، ويحاكي بعضاً في آخر.

وفي ولاية لاغوس، هناك بعض الآثار العربية بين سكانها، ويرجع سبب ذلك إلى كثرة المسلمين بها أو بسبب محاكاة غير المسلمين للمسلمين. وعادةً يتضمّن تعلّم لغة ما معرفة بعض عادات أصحابها وثقافتهم؛ ولذا لا بدّ مِنْ أنْ يقتدي لاغوسيون كثيراً بالعرب وبعاداتهم بوساطة اللغة العربية. واليوم يوجد بعض سكان لاغوس يلبسون ثياباً طويلة من الجلابيب كالعرب، ويتكلمون لغتهم أي اللغة اليوربوية، وفيها ألفاظ كثيرة مستعارة من العربية، ومتشكلة بشكل البناء المقطعي والصوائتي للغة اليوربوية، حتى أصبحتْ الألفاظ كألفاظ يوربا أصلية.

وتوجد كذلك كتابة لوافت بالعربية ملصقة على أبواب بعض بيوت سكان لاغوس، وعلى زجاج سياراتهم، نحو: "هذا من فضل ربّي" و"الحمد لله" و"الله

---

(1) Cherry, C. *On Human Communication,* Cambridge, 3rd ed. 1978, p. 307.

واحد"، كما تطبع بعض المصانع اللوافت العربية على أكياس بضائعها، مثل: مصنع أُورِئنْتِ (Orient) الذي يترجم عنوانه على إناء مائه الصافي إلى اللغة العربية.

٢,٣. الآثار اللغوية

وقد تأثرتْ اللغة اليوربوية باللغة العربية تأثراً قوياً، وقال بَنْجَوْ (Banjo): "ليستْ اللغة الإنجليزية وحدها أثّرتْ على مواطني نيجيريا تأثيراً عظيماً، بل أثّرتْ أيضاً اللغة العربية على ملايين من المواطنين تأثيرا مفيداً"(١)، وتُنطق بعض الألفاظ العربية المستعارة على أفواه اليورباويين المسلمين منهم، وغير المسلمين. ووافق كلّ من الألوري وأوْغُنْبِيهْ ومالك وأديرمي على أنّ استعمال اللغة العربية المستعارة في اللغة اليوربوية، يتجاوز ميدان الدين الإسلامي إلى غيره، كالأمثال اليوربوية، والمفردات السوقية، ومتن التوراة المترجمة إلى اللغة اليوربوية. وذكر الإولوري مئة وأربع وأربعين كلمة يورباوية قد استعيرتْ من العربية، وفيما يلي مختارات من نموذجه(٢):

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

	عربية	يورباوية	يورباوية بحروف لاتينية	عربية بحروف لاتينية	بالإنجليزية
١	الله	عَوْلَوْهُنْ	Olohun	Allahu	God
٢	اليوم	أُوْجَوْ	Ojo	Al-Yaom	Day
٣	الشهور	أُوْشُو	Osu	Ash-Shuhur	Month
٤	الحار	أُوْرُو	Oru	Al-Harur	Heat
٥	الجون	أُوْجَوْ	Ojo	Al-Jaon	Rain

(1) Ayo Banjo, "On Citizenship in a Multilingual State", in *Review of English and Literary Studies,* University of Ibadan, 1985, p. 184.

(٢) الإلوري، آدم عبد الله، **أصل قبائل يوربا**، مطابع الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط/١، ١٩٦٠م، ص: ١٥٦ – ١٧١.

وذكر أوْغُنْبِيه ثمانية ميادين استعارتْ اللغة اليوربوية مِنَ اللغة العربية[١]. وكلمة "الدعاء" نظيرها "Adura" باليوربوية و"العافية" تقابل "Alafia" و"الفخر" تناظر "Faari" و"وهلة" تساوي "Wahala" كلها استعيرتْ مِنَ العربية[٢].

ومِنْ الأمثال اليوربوية التي توجد فيها بعض كلمات مستعارة من العربية:

"Iyan ajaju lo nfa 'sababi' ibinu"

بمعنى "كثرة احتجاجات تسبّب الغضب"، والكلمة "Sababi" استعيرتْ مِنَ العربية. وتوجد كلمات مستعارة مِنَ العربية في التّوراة المترجمة إلى اللغة اليوربوية ومنها: Mathew 28:9, Iwe owe 17:19, Samueli 3:218 والعبارة هي:

"Jesu pade won, o wipe "alafia"

بمعنى "لقاهم عيسى، وقال: "العافية" فالكلمة "Alafia" في تلك الجملة مستعارة مِنَ العربية معنويّة وحرفيّة.

والكلمة "adura" في "Gbo adura mi Oluwa" كلمة مستعارة مِنَ العربية وهي "الدعاء" (adu'a) لكنها محرّفة، فتصبح "Adura".

وهكذا تنتشر تلك الكلمات المستعارة من العربية في نطق أهل لاغوس، المسلمين منهم وغير المسلمين.

وأخيرًا، يجدر بالذكر تصنيف بعض الكلمات في كتاب بدماص[٣] حيث يصنّفها إلى صنفين وهما صنف ديني ودنيوي.

---

(1) Ogunbiyi, I. A, "Arabic Loan Words in the Yoruba Language", *Arab Journal of Language Studies* 3.1 1984, pp. 161–180.

(2) Ogunbiyi, I. A, *Of Non–Muslim Cultivators and Propagators of the Arabic Language*, Inaugural Lecture Series, Lagos State University, 1987, p.16.

(3) Gbadamosi, T.G.O. *The Growth of Islam Among the Yoruba 1841– 1908*, Longman, London 1978, p. 5.

١- في الميدان الديني:

الدّعاء	Adura	الرّزق	Arisiki
الحج	Alaji	البركة	Alubarika
الجنّة	Alujano	النيّة	Aniyan
الوضوء	Aluwala	التّوبة	Tuba
الإمام	Lemomu	المصيبة	Musiba
الملائكة	Maleika	الزّنا	Sina
النّصيحة	Nasia		

٢- الميدان الدنيوي:

الرّبى	Riba	الوقت	Wakati
العهد	Adehun	الخط	Hantu
البصل	Alubosa	العافية	Alafia
الفتنة	Fitina	الرّعد	Ara
الخبر	Labari	السّبب	Sababi
السّاعة	Saha	السّماء	Sanmo
الزّمان	Samani		

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلّ هذه وغيرها مِنَ الكلمات المستعارة مِنَ العربية، تشيع في كلام سكان لاغوس. وسبب هذا يرجع إلى الزّمن الذي دخل فيه الإسلام ولاية لاغوس وثبت فيها، واستعمال العربية من قبل مسلمي يوربا النّاطقين بها في نشاطاتهم اليومية، واستعارتهم ألفاظ عربية للتعبير عن أفكار لم تعبّر عنها لغتهم بالوضوح والدّقة نفسهما.

وبالرغم من أنّ اللغة العربية دخلتْ ولاية لاغوس منذ سنوات كثيرة، ثم أثّرتْ على اللغة المحلية (أي اللغة اليوربوية)، فإنّها تواجه بعض التحديات مما يؤخّر تقدّمها.

٣. واقعية تعلّم اللغة العربية في ولاية لاغوس

من علامات أسبقية اللغة العربية، صيرورتها لغة رسمية في شمال نيجيريا في القرن التاسع عشر، ولغة التّدريس في المدارس الإسلامية في ولاية لاغوس. ولكن ما زال دارسو اللغة العربية في ولاية لاغوس يواجهون بعض التحديات الحديثة، ويرجع ذلك إلى أسباب مختلفة كما هو الشأن في سائر المناطق الأخرى، كشمال نيجيريا وأوروبا وأمريكا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبعا للبّ موضوع هذا البحث ومنهجيته، فهذا الفصل يعتمد على التحليلات الإحصائية للأجوبة المتسلَّمة. وقد وصل مئة وستة وثمانون استبياناً (١٨٦) من بين مئتي استبيان، تمّ توزيعها على أفراد العيّنة كما سبقتْ الإشارة إليها، وذلك بنسبة ٩٣% من عدد الاستبيان الإجمالي. وقد أجاب بعض من المستفسرين، مشكورين، مِنْ دارسي اللغة العربية وآدابها، وأكّدوا على شهرة اللغة العربية وأهميتها في ولاية لاغوس.

وبدراسة النسب المعدلة والمئوية والتوزيع التكراري، تبدو نتائج إيجابية فيما يتعلّق بالعنصرين، إذ إنّ معظمهم اتفقوا على أنّ اللغة العربية مشهورة في مناطقهم. ويمثّل الجدول رقم (١) التوزيع التكراري، والنسبة المئوية لعدد الأجوبة على شهرة اللغة العربية في الولاية، بينما يبرز الجدول رقم (٢) موقع المجيبين الإيجابي على أهمية اللغة العربية فيها. لعلّ ذلك يرجع إلى مكانة لاغوس كملتقى لجميع قبائل نيجيريا، وللأجانب الوافدين إليها، أو لأنّ سكانها الأصليين مسلمون. فاتّفق (١٠٧) مِنَ المجيبين على أنّ العربية مشهورة في الولاية، وذلك يمثّل ٥٧,٥٢% بالنسبة المئوية. وانقسمتْ أوزان الأجوبة إلى أربعة أقسام وهي مشهورة جداً، ومشهورة، ومشهورة قليلاً، وغير معروف.

الجدول رقم (١)

شهرة اللغة العربية في ولاية لاغوس:

مواصفة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
مشهورة جداً	٦	٣,٢٢
مشهورة	١٠٧	٥٧,٥٢
مشهورة قليلاً	٥١	٢٧,٤١
غير معروفة	٢٢	١١,٨٢

وأما السؤال عن أهميتها في الولاية، فصنّفتْ أوزان الأجوبة إلى مهمة جداً، ومهمة، ومهمة قليلاً، وعديمة الأهمية. ويبدو في الجدول الآتي أنّ ٩٩ من مجموعة ١٨٦ جواباً بنسبة ٥٣,٢٢% من جميع عدد الأجوبة الإجمال، اتفقوا على أنّ العربية مهمة في الولاية، وأنّ عدد الذين اتفقوا على عدم أهميتها قليل جداً.

الجدول رقم (٢)

أهمية العربية لمواطني ولاية لاغوس

مواصفة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
مهمة جداً	٤١	٢٢,٠٤
مهمة	٩٩	٥٣,٢٢
مهمة قليلاً	٣٨	٢٠,٤٣
عديمة الأهمية	٨	٤,٣٠

وفيما يتعلّق بالعوامل التي تحفز الطلبة إلى اختيار اللغة العربية كمادة دراسية اختياريّة، فإنّ العامل الديني والثقافي تغلّب على العوامل الأخرى، حيث بلغ عدد التوزيع التكراري للمجيبين ٩١ من مجموعة ١٨٦ جواباً، بنسبة ٤٨,٩٢% من إجمال الأجوبة، ويتّضح ذلك في الجدول رقم ٣ الآتي:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقم (٣)

العوامل التي تحفّز الطلبة إلى اختيار اللغة العربية مادةً دراسية

رمز المعلومة	معلومة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
Fact1	سهولة تعلّمها	٧	٣,٧٦
Fact2	اجتماع وسياسة	١٠	٥,٣٨
Fact3	الرغبة بالسفر	٢٤	١١,٨٢
Fact4	الدين والثقافة	٩١	٤٨,٩٢
Fact5	التشجيع من غيري	٢٨	١٥,٠٥
Fact6	الأهمية الاقتصادية	١٣	٦,٩٩
Fact7	الفرصة للعمل	١٥	٨,٠٦

ومما يتّضح في الجدول السابق قلّة عدد الذين اتفقوا على أنّ سهولة تعلّم اللغة العربية مِنَ الدوافع التي تدفع الطلبة إلى اختيارها، لعلّ ذلك يُبرز صعوبة تعلّم العربية.

ولبيان التحدّيات الحديثة التي يواجهها دارسو العربية في ولاية لاغوس، صنّفتْ أوزان الأجوبة عن كلّ عنصر إلى ثلاثة أصناف وهي: مشكلة عظيمة، ومشكلة قليلة، وليستْ مشكلة بتاتا. فدلّتْ نتيجة تطبيق الاستبيان على اتفاق أفراد العيّنة أنّ صعوبة تعلّمها، وأهميتها الاقتصادية القليلة، وموقف الحكومة السيئ، وعدم وجود المقرّرات والتسهيلات، والتكنولوجيا التعليمية والتعلّمية الحديثة والمناسبة، كلّها من أعظم التحديات التي تواجه دارسي اللغة العربية في ولاية لاغوس. ويُبرز ذلك الجدولُ رقم ٤، حيث يورد التوزيع التكراري والنسب المئوية لتلك الأجوبة:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقم (٤)

رمز المعلومة	معلومة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
Chlg1	موقف الحكومة السيئ	٩٦	٥٣,٠٣
Chlg3	عدم وجود المقرّرات والتسهيلات الحديثة والمناسبة	١١٢	٦٠,٢١
Chlg6	أهميتها الاقتصادية القليلة	١٥٧	٨٤,٤٠
Chlg7	صعوبة تعلّمها	١٠٥	٥٦,٤٥

وكثير مِنَ الطلبة المجيبين عن الأسئلة المتعلّقة بـ"الافتقار إلى المدرّسين الأكفاء والمؤهلين والمجتهدين، وعدم وجود المناهج الدراسية الموحّدة"، يتفقون على أنّ كليهما مشكلة تافهة. ذلك يبدو في الجدول التالي:

الجدول رقم (٥)

رمز المعلومة	معلومة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
Chlg4	الافتقار إلى المدرّسين الأكفاء والمؤهلين والمجتهدين	٩٨	٥٢,٩٧
Chlg5	عدم وجود المناهج الدراسية الموحّدة	٨٩	٤٨,٣٧

ويجدر بالذكر وجود أجوبة إيجابية عن السؤال المتعلّق برغبة الطلبة في السفر إلى الدول العربية؛ أفادتْ بأنّ الرغبة في السفر إلى الدول العربية عامل مهمّ في اختيار اللغة العربية، ولعل ذلك يرجع إلى حبهم للإسلام والعرب. وها هنا الجدول الذي يمثّل التوزيع التكراري والنسب المئوية لعدد الأجوبة لهذه النقطة:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجدول رقم (٦)

الرغبة في السفر إلى الدول العربية

مواصفة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
مهمة جداً	٥١	٢٧,٤١
مهمة	٨٧	٤٦,٧٧
مهمة قليلاً	٢٥	١٣,٤٤
عديمة الأهمية	٢٣	١٢,٣٦

ومِنْ أهمّ نتائج هذا البحث، والتي يجب الإشارة إليها، المكان الذي أخذ الطلبة اللغة العربية فيه من قبل؛ وهنا تتجلّى أهمية الكتاتيب في درس اللغة العربية. وفي الجدول التالي التوزيع التكراري والنسب المئوية لذلك:

الجدول رقم (٧)

أين أخذ الطلبة العربية من قبل؟

معلومة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
البيت	٨	٤,١
الجمعية الدينية	١٧	٨,٧
الكُتّاب	٩٦	٤٩,٢
المدرسة الابتدائية	١	٥.
المدرسة الثانوية	٦	٣,١
الكلية/الجامعة	٤٤	٢٢,٦

وأمّا بالنسبة إلى وجهة نظر المجيبين في مستقبل اللغة العربية في الولايـــة، فاتفق أكثر من ٥٠% من عدد المجيبين الإجمالي على أنّ للغة العربية في ولاية لاغوس مستقبلاً مرموقاً، ويتمثل ذلك في الجدول التالي:

الجدول رقم (٨)

وجهة النظر في مستقبل اللغة العربية في ولاية لاغوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواصفة	توزيع تكراري	نسبة مئوية (%)
مرموق	١١٨	٦٠,٥
مظلم	٣٧	١٩,٠
لامبالاة	٢٢	١١,٣

٤. الخاتمة

من الواقع أنّ منزلة ولاية لاغوس في نيجيريا مازالت مهمـــة جـــدًا؛ فهـــي مركزها التجاري، وعاصمتها الاقتصادية والثّقافية، وقد ظلّتْ ملتقى مهماً لكـــل قبائل نيجيريا، ومورد الداخلين إليها. هذا وقد تغيّر العالم المعاصـــر، وأصـــبح

كقرية عالمية كبيرة حيث يسهل الانتقال من مكان إلى آخر بحرية، بسبب سهولة وسائل السّفر والمراسلات. وكون اللغة من أهم عناصر هذه الوسائل؛ لذلك يجب على ولاية لاغوس، بل على بلاد نيجيريا أن تهتم بلغة حيّة عالمية كاللغة العربية.

واللغة العربية سبقتْ لغات أجنبية أخرى في نيجيريا، وكانتْ لغة أولى في ميدان التّدريس في ولاية لاغوس بسبب دخولها مع الإسلام إلى الولاية. وقد انتشرت فيها، وكثر عدد الذين عرفوها، واستعملوها في المدارس العربية الكثيرة في كلّ جهة من أنحائها. وكذلك تأثرت بيئة لاغوس الاجتماعية والاقتصادية واللغوية كما سبق الحديث عن ذلك.

وإذا تأملنا في تلك المظاهر، يمكن القول: إنّ العربية قد تقدّمتْ تقدّماً عظيماً في ولاية لاغوس. ولكن حقيقة الأمر خلاف ذلك؛ لأنّها تأخّرتْ إذا قارنّا بينها وبين اللغات الأجنبية الأخرى مثل: اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية. وعلى سبيل المثال: إنّ عدد مدرّسي العربية في مدارس حكومة ولاية لاغوس أقل من عدد مدرّسي اللغة الإنجليزية (ستة وأربعون مدرّساً للغة العربية)، بينما عدد مدرّسي اللغة الإنجليزية ألفان واثنا عشر.

ومن فوائد مثل هذا البحث الذي يدرس واقعية اللغة العربية، تسليط الضوء على واقعية تعلّم اللغة العربية في لاغوس، وتشجيع المعنيين بالأمر على مضاعفة جهودهم في تطوير اللغة العربية وانتشارها. ولقد تمّ تحليل هذه التّحديات في الباب السابق، اعتماداً على الإجابات في الاستبيان الموزّع، الذي برز فيه وجود العوائق ونوعيتها وضرورة حلّها.

ولا جدال أن كثيرين اتفقوا أن العربية مشهورة، ومفيدة في مناطقهم إلاّ أنّهم، في إجاباتهم، اتفقوا على أنّ العربية تواجه بعض المشكلات التي تعوق تقدّمها. واتفقوا، كذلك، على أنّ فوائدها تتحقق في مجال الدين.

والجدير بالذكر، أن أغلبية المستفسرين يرون أنّ العربية مفيدة أكثر في ميادين الدين والثقافة والدبلوماسيّة. وأنّ قلّة الاهتمام من قبل الحكومة، وعدم وجود مناهج التّدريس الموحّدة والمخطّطة بشكل جيد، وقلة الكتب الدّراسية المناسبة، والتسهيلات التعلّمية والتعليمية مِنْ أعظم المشكلات التي تواجهها العربية في ولاية لاغوس.

المقترحات

بالنظر لآراء المستفسرين يرى الباحث أنّه:

١. يجب على الحكومة النيجيرية أنْ تهتمّ باللغة العربية ومعلّميها؛ بأنْ تراجع مكانة العربية في سياستها التربوية الوطنية، وأنْ تضعها في موضعها المناسب، فذلك يهيئ لمعلّميها فرصة الحصول على المناصب المناسبة في سوق العمل في نيجيريا، وفي سائر ولاياتها مع زملائهم الذين يدرّسون اللغات الأجنبية الأخرى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢. يجب على المعنيين بالأمر أن يوضّحوا للمواطنين، ولعامة الناس، أنّه ليس كل عربي مسلماً، وأنّ اللغة العربية لا تختصّ بالمسلمين فقط، وإنّما هي بمنزلة سائر اللغات الأجنبية الأخرى في العالم، وأنْ تعدل الحكومة في تقدير علماء العربية، حتى تعطيهم المناصب الملائمة كعلماء اللغات الأجنبية.

٣. ضرورة استخدام وسائل التّعليم المساعدة الحديثة لتدريس اللغة العربية مثل: الأجهزة السّمعية والبصرية، والحاسوب. الأمر الذي يساعد في نطق صحيح للحروف الهجائية، ومعرفة كتابتها الصّحيحة، لأنّ أساس تعليم اللغة ينبغي أن يكون صحة القراءة والفهم والكتابة، لكي يفهم الطلاب ما يسمعون وما يقرؤون ويعبروا عن أفكارهم تعبيراً سليماً فيما يكتبون.

٤. يجب أن ينشأ منهج موحّد لتدريس هذه اللغة، لتتخذه كلّ مدارس نيجيريا حتى المدارس الحكومية في ولاية لاغوس.

٥. ضرورة تقديم الاهتمام الوافر لتأليف الكتب الدراسية في موضوع العربية، وإخراج كتب تناسب بيئة الوطن وتلائم رغبة الطّلاب.

٦. يجب على معلّمي العربية أن يتخذوا مهنتهم بالجد كحرفة محترمة، وذلك يجعل العربية محبوبة للطلاب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي

الأستاذ الدكتور جاسم علي جاسم

معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ السعودية

الملخص

يناقش هذا البحث نظرية تحليل الأخطاء في الدراسات اللغوية العربية القديمة، التي أجراها العلماء العرب القدامى على اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها، وبيان منهجهم العلمي الأصيل في دراسة هذه الأخطاء، ودورهم الرائد والمؤسس. ويكشف لنا النقاب أيضاً عن أسبقية العلماء العرب في معالجة هذا الموضوع اللغوي المهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعلماء العربية هم أساتذة هذا الميدان بلا منازع. ولم يسبقوا علماء اللغة الأوربيين في هذا العمل فحسب، بل إن منهجهم في دراسة الأخطاء هو الذي قلَّده الغربيون وحذوا حذوه. وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن اللغويين العرب التطبيقيين يرون أن شرح الأخطاء عملية لغوية نفسية، وهذا ما قال عنه ستيفن بت كوردر (Stephen Pit Corder) الذي يزعم أنه مؤسس ورائد نظرية تحليل الأخطاء في الدراسات اللغوية في النصف الثاني من القرن الماضي؛ والذي يقول: "إن عملية شرح الأخطاء هي عملية لغوية نفسية أيضاً". أضف إلى ذلك، أن الجاحظ – المتوفى سنة ٢٥٥هـ– شرح إستراتيجيات التعلم – كالسهولة والتَّحَجُّر في اللغة الوسطى أو المرحلية (Interlanguage) – عند الأجانب، التي يتحدث عنها الغربيون؛ ويزعمون أنها من بنات أفكارهم. وأخيراً قدموا العلاج السليم لتفادي الأخطاء، وذلك من خلال القواعد الإملائية والكتابية العامة.

فهرس المحتوى

الملخص باللغتين العربية والإنجليزية؛ المقدمة؛ تعريف الأخطاء: تعريف التصحيف والتحريف واللحن؛ منهج اللغويين العرب القدامى في دراسة الأخطاء اللغوية: جمع المادة، وإحصاء الأخطاء وتعدادها، وتحديد الخطأ، وتصنيف الأخطاء، ووصف الأخطاء: النحوية، والصرفية، والصوتية، والبلاغية، والأسلوبية، والمعجمية، والإملائية، والكلية، والجزئية؛ شرح الأخطاء: إستراتيجيتي السهولة والتحجر، الأسباب اللغوية: أخذ العلم من الصحف، عدم نقط المصاحف والإعجام والترقين والشكل، نقص كفاءة الراوي باللغة أو عدمها، الخط والهجاء، التصحيف والتحريف، أسباب اجتماعية: الصمت والوحدة (العزلة)، أسباب نفسية: العِيّ والحَصَر، واللُّثغة، أسباب عضوية: سقوط الأسنان؛ التطبيق العملي؛ الخاتمة؛ المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

١ – المقدمة

إن الهدف من هذا البحث هو شرح نظرية تحليل الأخطاء وعرضها "Error Analysis" – التي هي فرع من فروع علم اللغة التطبيقي "Applied Linguistics" – في الدراسات اللغوية العربية القديمة التي قام بها العلماء العرب. والتي أسهمت إسهاماً كبيراً في إثراء الدراسات الغربية الحديثة في هذا المجال. إن الدراسات اللغوية الحديثة في هذا المجال سارت على هَدْي منهج الدراسات العربية القديمة، مع شيء من التفصيل والتنوع والزيادة. وإن لم تُشر صراحةً إلى تلك المصادر الأم التي استفادت منها[1]. ولهذا يطرح البحث الأسئلة الآتية:

---

(1) Jassem, J, A, **Study on Second Language Learners of Arabic: An Error Analysis Approach,** 1st Edition, Kuala Lumpur: A, S,Noordeen, 2000. Pp. 108-126.

- Anwar, M, S, The Legitimate Fathers of Speech Errors, In Versteegh, C, H, M, et al, **The History of Linguistics in the Near East**, Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 1983.

- Fromkin, V, A, Grammatical Aspects of Speech Errors. In Newmeyer, F, J, (ed.), **Linguistics: The Cambridge Survey 2:** 117-138. The Cambridge University Press, 1988.

١- هل نظرية تحليل الأخطاء غربية النشأة؟

٢- هل اتبع العلماء العرب القدامى منهجاً واضحاً في هذا المجال؟

٣- هل وجدت دراسات عربية قديمة لتحليل الأخطاء؟

يرى علماء اللغة في أمريكا وأوربا: أن علم اللغة التطبيقي هو نتاج حضارتهم الحديثة، وخاصة نظرية تحليل الأخطاء. ويدَّعون أن هذه النظرية ظهرت وتأسست في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين. وأن مؤسسها هو العالم اللغوي الأمريكي الفرنسي الأصل: كوردر (Corder) في كتاباته عن تحليل الأخطاء[1].

ظهرت هذه النظرية لتعارض نظرية التحليل التقابلي (Contrastive Analysis)، التي ترى أن سبب الأخطاء، هو: التدخل، والنقل من اللغة الأم إلى اللغة الهدف. لكن كوردر وآخرين عارضوا هذا الاتجاه؛ وقالوا: "إن سبب الأخطاء ليس التدخل من اللغة الأم فحسب، بل هناك أسباب أخرى داخل اللغة الهدف، وهذه الأسباب تطورية. مثل: أسلوب التعليم، والدراسة، والتعود، والنمو اللغوي، وطبيعة اللغة المدروسة، والتعميم، والسهولة، والتجنب، والافتراض الخاطئ، وغيرها. كل هذه العوامل لها أثرها فيما يواجه الدارسون من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(1) Corder, S, P, The Significance of Learners' Error, **IRAL 5**: 161-170, 1967.
- ====, Idiosyncratic Dialects and Error Analysis, **IRAL 2**: 151, 1971.
- ===, **Introducing Applied Linguistics,** Harmondsworth: Penguin, 1973.
- =====, Error Analysis, In Allen, J, P, B, & Corder, S, P, (eds.), **Teachniques in Applied Linguistics**, Oxford: Oxford University Press, 1974.
- =====, **Error Analysis and Interlanguage**. Oxford: Oxford University Press, 1981.

مشكلات. وذلك بصرف النظر عن أوجه التشابه والاختلاف بين لغة الدارسين، واللغة الثانية التي يتعلمونها في غالب الأحيان"[١].

بينما يرى أصحاب نظرية تحليل الأخطاء: أنه عن طريق تحليل الأخطاء فقط نستطيع أن نتعرف على حقيقة المشكلات التي تواجه الدارسين أثناء تعلمهم للغة، ومن نسبة ورود الخطأ نستطيع أن نتعرف على مدى صعوبة المشكلات أو سهولتها، وبناء على هذا، فلا حاجة لنا إلى التحليل التقابلي[٢].

وللإجابة عن السؤال الأول من هذا البحث: نرى أن اللغويين العرب القدامى، تناولوا الأخطاء الشفوية خاصة والكتابية عامة، بشيء من البحث والدراسة والتفصيل. وكانوا رواد هذا الميدان منذ القرن الثاني للهجرة. وأول كتاب ظهر في هذا المجال هو كتاب "ما تلحن فيه العامة" للكسائي، المتوفى سنة ١٨٩هـ[٣]. ويُعد هذا الكتاب باكورة الأعمال اللغوية التطبيقية في اللغة العربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) جاسم، جاسم علي، و جاسم، زيدان علي، "نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي"، **مجلة التراث العربي**، العددان ٨٣-٨٤، السنة الحادية والعشرون، أيلول ٢٠٠١م، ص ٢٤٢-٢٥١ .

- صيني، محمود إسماعيل والأمين، إسحاق محمد، تعريب وتحرير، **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء**، الطبعة ١، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض: السعودية، ١٩٨٢م، ص: هـ.

-Jassem, J, A. 2000. Ibid. Pp: 61-77.

- Fries, C,C, **Teaching and Learning English as a Foreign Language,** An Arbor: Wahr, 1945.

-Lado, R, **Linguistics Across Cultures.** An Arbor: University of Michigan Press, 1957.

(٢) صيني والأمين، **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء**، ص: هـ.

(٣) الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة، **ما تلحن فيه العامة**، حققها وقدم لها وصنع فهارسها: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.

– لا كما تذكر آل خليفة، من أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ، هو أقدم من ألف في هذا المجال[١] – ثم توالت بعده الكتب تُفَصِّل في الموضوع بشكل دقيق، لما يقع فيه الناسُ من أخطاء.

إن المصطلحات التي استعملها اللغويون العرب القدامى في عناوين مؤلفاتهم للدلالة على الأخطاء كثيرة جداً؛ مثل: التصحيف، والتحريف، والرطانة، والغلط، والسهو، وزلة اللسان، والهفوة، وعثرات الأقلام، والأوهام، واللحن، والهَنَة، وسقطات العلماء، إلخ. وعلى الرغم من أن اللغويين العرب لم يستعملوا كلمة "خطأ" في عناوين كتبهم إلا أنهم استعملوها في وصف الخطأ؛ نحو: "قد أَرَيْتَ فُلاناً مَوضع زيد"، بغير واو. ولا يقال أَوْرَيْتُ، فإنه خطأ[٢].

لقد أَلَّفَ العلماء القدامى الكتب في هذا المجال، وكانت تهدف إلى خدمة الفصحى، وتقويم ألسنة العامة، وتصحيح أخطائهم. وأطلقت على هذه الأنواع من المؤلفات أسماءً تناسب الهدف الذي من أجله أُلِّفت. فنجد مثلاً العناوين الآتية: إصلاح المنطق، وتثقيف اللسان وتلقيح الجَنان، وتقويم اللسان، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف، والجمانة في إزالة الرطانة، والتنبيه على حدوث التصحيف، والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه، ودرة الغواص في أوهام الخواص، والإبدال، والفصيح، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ولحن العامة، وما تلحن فيه العامة، إلخ. فهذه العناوين تدل دلالة واضحة على الأخطاء التي يرتكبها الناس في أحاديثهم وكتاباتهم؛ وإن لم تستعمل كلمة خطأ فيها.

---

(١) آل خليفة، فاطمة إبراهيم، **التصحيف والتحريف دراسة في التغير الدلالي**، دولة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، الرسالة ٢٣٣، الحولية ٢٦، ٢٠٠٥م، ص١٤. اسم كتاب ابن قتيبة: تصحيف العلماء ولكنه لم يصل إلينا.

(٢) الكسائي، **المصدر السابق**، ص١٠٣.

٢- تعريف الأخطاء

من المصطلحات التي شاعت في هذا المجال: التصحيف، والتحريف، واللحن، وغيرها لتشير إلى الأخطاء التي يقعُ فيها الناس. ولقد ذكر صيني والأمين[١]: أن هناك فرقاً بين زلة اللسان، والغلط، والخطأ. ويقصد بزلة اللسان: الأخطاء الناتجة من تردد المتكلم وما شابه ذلك. ويقصد بالأغلاط: هي الناتجة عن إتيان المتكلم بكلام غير مناسب للموقف. والأخطاء: هي ذلك النوع من الأخطاء التي يخالف فيها المتحدث أو الكاتب قواعد اللغة. ويضيف براون أن الخطأ، هو: "انحراف عن القواعد النحوية التي يستخدمها الكبار في لغتهم الأم"[٢].

أ- تعريف التصحيف

يُعرِّف الأصفهاني التصحيف بقوله[٣]: "هو أن يُقْرَأَ الشيءُ بخلاف ما أرادَه كاتِبُهُ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته".

ويقول ابن سيده في المحكم[٤]: "والمصَحِّف والصَّحَفِي: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب- تعريف التحريف

يُعرِّف ابن جني التحريف قائلاً[٥]: "التحريف في الكلام: تغييرُه عن معناه. كأنه مِيل به إلى غيره، وانحُرِفَ به نحوه" كما قال تعالى في صفة اليهود: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ**﴾[٦]. أي يغيرون معاني التوراة بالتمويهات والتشبيهات.

---

(١) صيني والأمين، ١٩٨٢، ص ١٤٠.

(٢) براون، هـ دوغلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة: عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤، ص٢٠٤.

(٣) الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **التنبيه على حدوث التصحيف**، حققه: محمد أسعد طلس راجعه: أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي، الطبعة ٢، دار صادر بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٦.

(٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م، مادة: صحف.

(٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، الطبعة ١، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ٢٠٠٠م، مجلد ١، ص ٣١.

(٦) سورة النساء: ٤٦/٤.

ج- تعريف اللحن

يعرف ابن سيده اللحن[١] بأنه: "خلاف الصواب في الكلام والقراءة والنشيد".

وبعبارة أخرى يكون التصحيف خاصاً بتغيير نقط أو حركة الحرف دون تغيير صورته، والتحريف خاص بتغيير صورة الحرف. والجدول التالي يبيِّن لنا أنواع الأخطاء التي يمكن أن تقع في قراءة الكلمة العربية[٢]:

تغيير في النقط		تغيير في الحركات		تغيير في الحروف		تغيير في الإعراب
الكلمة	مقابلها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	تغييرها	"أن اللهَ بريءٌ من المشركين
النوم	الثوم	جُمْهور	جَمْهور	الماظ	الماس	ورسولُهُ – ورسولِهِ"

وقيل: إن أول لحن سُمِعَ بالبصرة قولهم: عصاتي، وبعده قولهم: لَعَلَّ لهُ عذر وأنتَ تَلُوم[٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللتصحيف مزايا ومثالب. ومن مثالبه أنه قد يجني على فاعله ويهدر دمه. وقد يكون نافعاً فَيُنْجِي أصحابه من الموت. ولقد حدث هذا في التاريخ العربي القديم. ومن الذين جنى عليهم التصحيف وقتلهم الشاعر المشهور ابن الرومي؛ عندما سئل عن "الجرامض"، على سبيل التصحيف والتهكم، فقال ابن الرومي:

---

(١) ابن سيده، **المخصص**، المكتب التجاري، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢، ص١٢٧.

– ولمزيد من التعريفات حول: التصحيف والتحريف، انظر؛ آل خليفة، التصحيف والتحريف دراسة في التغير الدلالي، ٢٠٠٥م، ص ٢٣-٤٠.

(٢) – آل خليفة، **المرجع السابق**، ٢٠٠٥م، ص ٤٨، ٤٩، ٧٦.

– عيد، محمد، في اللغة ودراستها، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٤، ص ١٠٦.

(٣) ابن مكي، أبو حفص عمر بن خلف الصقلي، **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان**، قدم له وقابل مخطوطاته وضبطه: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ص٨٠.

سـألتَ عن خبرِ الجرامض طالباً علم الجـرامضْ
فهو الجرامض حين يُقْلَبُ ضارج فيقال جـارض

إلى قوله:

والصفع يحتـاج إلـى قـرع يكـون لـه مقـابض
ومن اللِّحَى مـا فيه فعـل للمـواسي والمقـارض

وهجا الجماعة وأكثر من هجائهم، فشكاه الجلساءُ إلى القاسم بن عبيـدالله، فتقدم إلى ابن فراس فسمَّه في خشكنانجة كانت منيته فيها(١).

وقد نفع التصحيفُ كما قد ضرَّ، فمن نفعه أنه لما حضرَ "محمد بن الحسن" إلى العراق اجتمع الناسُ عليه يسألونه ويسمعون كلامَه، فرفع خبره الحسدة إلى الرشيد وقيل: إن هذا يفتي بعدم وقوع الأعيان وعدم الحنث وربما يفسد عقـولَ جندِك الذين حلفوا لك، فبعث بمن كبس مكانه وحمل كتبه معه، فحضر إليه مـن فتش كتبَه، قال محمد: "فخشيتُ على نفسي من كُتُب الحِيـَل"، وقلـتُ بهـذا تروح روحي، فأخذت القلم ونقطتُ نقطةً، فلما وصل إليه قال: ما هـذا؟ قلـت: كتاب الـخَـيْل يُذْكَرُ فيه شياتُها وأعضاؤها، فرمى به ولم ينظر إليـه". قلـت: فتخلّص بنقطة صَحَّـفَت الحاء المهملة بالخاء المعجمة(٢).

ومن التحريف الذي نفع ونجَّى من الهلاك أيضاً، قولُ أبـي نـواس وقـد استطرد يهجو "خالصة" حظية الرشيد، فقال:

---

(١) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، حققه وعلّق عليـه ووضـع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبـة الخـانجي بالقـاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٠-٢١.

(٢) انظر :المصدر نفسه، ص ٥٤.

لقد ضَـاعَ شِـعْرِي عَـلى بَـابِكُمْ كَـمَا ضَـاعَ حَـلْـيٌ على خَـالِصةْ

عندما سمعت هذا الشعر غضبت، وشكته إلى الرشيد، فـأمر بإحـضاره، وقال له: يا ابن الزانية تُعَرِّض بحظيتي، فقال: وما هو يا أميرَ المؤمنين، قـال: قولك: "لقد ضاع شعري..." البيت، فاستدرك الفارطُ أبو نواس وقال: يـا أميـرَ المؤمنين لم أقل هذا وإنما قلت:

لـقد ضَـاءَ شِـعْرِي عـلى بَـابِكُم كَـمَا ضَـاءَ حَـلْيٌ عَـلَى خَـالصَة

فسكن غضبُ الرشيدِ ووصلَهُ، ويقال: إن هذه الواقعـة ذكـرت بحـضرة القاضي الفاضل، رحمه الله تعالى: فقال: بيتٌ قُلِعَتْ عينه فأبصر[1].

ومن الجدير بنا؛ بعد هذه الإطلالة القصيرة على أهمية الموضوع، أن نُبيِّن منهجَ العلماءِ العرب القدامى في جمع الأخطاء اللغوية ودراستها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣- منهج اللغويين العرب القدامى في دراسة الأخطاء اللغوية

لكي نجيب عن السؤالين الثاني والثالث من هذا البحث، ينبغـي علينـا أن نذكر إجراءات تحليل الأخطاء عند الغربيين أولاً، ومن ثم نردها إلـى أصـولها الأولى عند اللغويين العرب القدامى.

يعتمد محللو الأخطاء في بحوثهم اللغوية التطبيقية علـى سـت خطـوات. وهذه الخطوات يمكن إجمالها فيما يلي[2]:

---

(١) الصفدي، **المصدر السابق**، ص ٥٧.

(2) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P: 53.

١- جمع المادة
٢- تحديد الخطأ
٣- تصنيف الخطأ
٤- وصف الخطأ
٥- شرح الخطأ
٦- التطبيق العملي

أولاً: جمع المادة

وهذه الخطوة تتعلق بمنهجية البحث، وكيفية جمع المادة اللغوية، وعدد المتعلمين، وغيرها من المعلومات المفيدة[١]. ولقد جمع العلماء العرب القدامى الأخطاء عن طريقين: أولهما شفوي، وثانيهما كتابي. فها هو ابن مكي مثلاً، يحدثنا عن جمع المادة اللغوية قائلاً [٢]:

ولقد وقفت على كتاب، بخط رجل من خاصة الناس وأفاضلهم فيه: وأحب أن تَشْتَهِدَ لي في كذا وكذا بالشين يريد تجتهد. ورأيت بِخَطٍّ آخَرَ أكبَر منه وأعلى منزلةً، بيتَ شعر على ظهر كتاب، وهو قول الشاعر:

زَوَامِلُ لِلأسفارِ لا عِلْمَ عِندهمْ بِجَيِّدِهَا إلَّا كعلم الأباعرِ

كتبه للأصفار بالصَّاد. وأكثر الرواية فيه للأشعار.

وكتب إليَّ آخرُ من أهل العلم رُقعة فيها: وقد عزمت على الإتيان إليك، بزيادة ياء.

---

(1) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P: 53.

(٢) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص١٦-١٨.

وشهدت يوماً رجلاً قِـبَـلَـهُ تخصصٌ وفِقْه، وحِفظ للأخبار والأشعار، وقد سمع كلاماً فيه ذكر الشِدْق، فلما سمعه بالدال – غير المعجمة – أنكره، وتعجب من أن يجوز ذلك، وليس يجوز سواه، ثم سألني، ورغَّبَ إليَّ أن أجمع له مما يصحف الناس في ألفاظهم، وما يغلط فيه أهل الفقه، وما قدرت على جمعه.

فأجبته إلى ما سأل، وأضفت على ذلك غيره من الأغاليط التي سمعتها من الناس، على اختلاف طبقاتهم، مما لا يوجد في كتب المتقدمين التنبيهُ على أكثره... فجمعت من غلط أهل بلدنا ما سمعتُه من أفواههم، مما لا يجوز في لسان العرب، أو مما غيرُه أفصحُ منه وهم لا يعرفون سواه، ونبهت على جواز ما أنكر قوم جوازه، وإن كان غيرُه أفصحَ منه، لأن إنكار الجائز غلط.

فمن خلال هذه النصوص التي بين أيدينا، نلاحظ أن ابن مكي: جمع المادة اللغوية من عامة الناس وخاصتهم، شفوية وكتابية.

وأما حجم العينات التي اختاروها لدراساتهم فهي كبيرة جداً. فلقد جمعوا المادة اللغوية من جمهور الناس: عامتهم وخاصتهم، انظر مثلاً: ابن السكيت، وابن مكي، والحريري، والصفدي، والعسكري، إلخ.

وفيما يتعلق بالموضوعات التي عالجوها فهي متنوعة وكثيرة جداً. وتشمل الموضوعات النحوية، والصرفية، والصوتية، والمعجمية، والبلاغية، والأسلوبية، والإملائية، وغيرها، انظر؛ ابن مكي، والزبيدي، وسيبويه، والجاحظ، والسيوطي، وابن هشام الإشبيلي، وأبو الطيب اللغوي، والزجاجي، والقالي، وثعلب، وابن جني في الخصائص في باب سقطات العلماء، إلخ.

إحصاء الأخطاء وتعدادها

على الرغم من أن هذه العملية كانت نادرةً جداً في مؤلفاتهم، إلا أنهم لم يهملوها كل الإهمال، ولقد تطرقوا إليها من باب الحرص على صحة المادة التي

يَدْرُسُونَها، والتنبيه على أهميتها. وقاموا بجمع الأخطاء وإحصائها بشكل دقيق. يقول العسكري في كتابه لحن الخاصة[1]:

"لقد جاءني رجلٌ وبيده ورقةٌ مكتوبةٌ، وتحتوي على كثير من الأخطاء. ولقد جمعت الأخطاءَ فيها، فوجدت فيها ٧٠ خطأً".

ويقول أيضاً؛[2]: وقد ادَّعى خلف الأحمرُ على العُتْبِيِّ أنه صَحَّفَ هذا فقال في قصيدة عَدَّدَ فيها تَصْحِيفَاتِه:

وفي يَوْمِ صِفِّينَ تَصْحِيفَةٌ وأُخرَى له في حديثِ الكُلاب

من خلال هذين الكتابين نجد أن اللغويين التطبيقيين العرب، لم يغفلوا هذا الإجراء كل الإغفال، وإنما أشاروا إليه بشكل موجز وبسيط.

الخطوة التالية من خطوات تحليل الأخطاء هي تحديد الخطأ:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانياً: تحديد الخطأ

يقول محللو الأخطاء: إن عملية تحديد الأخطاء ليست بالأمر السهل، كما يظن بعض علماء اللغة[3]. ولذلك يجب على الباحث في تحليل الأخطاء، أن يكون عالماً باللغة التي يَبحثُ فيها، ويَدْرُسُهَا جيداً، لكي لا يُخَطِّئ الصواب، ويُصوِّب الخطأ؛ كما قال ابن مكي آنفاً (انظر؛ جمع المادة أعلاه). وهنا يجب

---

(١) العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، **لحن الخاصة**، تحقيق: عبد العزيز أحمد، لا طبعة، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بدون تاريخ، ص ١٩٥.

(٢) العسكري، **تصحيفات المحدثين**، دراسة وتحقيق: محمود أحمد مِيَره، الطبعة ١، المطبعة العربية الحديثة: القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص ١٧.

(3) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P:55.

علينا أن نشير إلى أن العلماء العرب، قد حددوا الأخطاء التي درسوها بشكل واضح ودقيق؛ ومن ثم قاموا بدراستها. هاكم الأمثلة التالية:

يقولون: رَجُلٌ "شَحَّاثٌ"[1].

يقولون في جمع (عِضة): عِضات[2].

قال الراجز[3]:

يا قَبَّحَ اللهُ بني السعلات عَمْرو بن يربوع شِرار النات

ليسوا بسادات ولا أكيات

وقال أيضاً:

يا ابن الزُّبير طال ما عصَيْكا وطال ما عنَّيْتكنا إليكا

لنضربنْ بسيفنا قَفَيْكا

إذا كانت هذه الأمثلة تحتوي على الأخطاء، وجب علينا أن نحددها أولاً؛ وذلك بوضع خط تحتها، أو أن نجمعها ونكتبها على ورقة أخرى. ومن ثم ننتقل إلى الخطوة التالية.

---

(١) الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج، **لحن العوام**، تحقيق: رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٤١.

(٢) انظر؛ ابن مكي، **المصدر السابق**، ص٢٧.

(٣) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق، **الإبدال والمعاقبة والنظائر**، تحقيق ودراسة: فوزي يوسف الهابط، دار الولاء للطبع والتوزيع- شبين الكوم: مصر، ١٩٩٣م، ص ٧٤، ٧٥، ١٠٥.

ثالثاً: تصنيف الخطأ

إن عملية تصنيف الأخطاء، تتطلب منا مرونة كبيرة، وأن نجعل الخطأ يحدد الفئةَ التي يجب أن ينضم إليها[١]. ويمكننا أن نصنف الأخطاء تحت فئات مختلفة مثل: الأخطاء النحوية، والصرفية، والصوتية، والبلاغية، والأسلوبية (تحليل الخطاب)، والمعجمية، والإملائية، والأخطاء الكلية، والجزئية، وغيرها. ويمكن أن يُصنف الخطأ الواحد في فئتين أو أكثر.

ولقد صنف اللغويون العرب القدامى الأخطاءَ في مؤلفاتهم بدقة بالغة؛ فها هو الزبيدي مثلاً، يقول في كتابه لحن العوام[٢]:

"كنا قد أَلَّفْنَا فيما أفسده عَوَامُّنا وكثير من خَوَاصِّنا، كتباً قَسَّمناها على ثلاثة أقسام: قسم غُيِّرَ بناؤه وأُحيل عن هيئته، وقسم وُضِع في غير موضعه وأُرِيد به غيرُ معناه، وقسم خُصَّ به الشيءُ وقد يَشْرَكهُ فيه ما سواه".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكذلك تحدث ابن مكي عن هذه الخطوة قائلاً[٣]: "فجمعت من غلط أهل بلدنا ما سمعتُه من أفواههم... وعلقتُ بذلك ما تعلق به الأوزان، والأبنية، والتصريف، والاشتقاق، وشواهد الشعر، والأمثال، والأخبار، ثم أضفت إليه أبواباً مُستطرفة، ونُتفاً مستملحة، وأصولاً يُقاس عليها. ليكون الكتابُ تثقيفاً للسان، وتلقيحاً للجَنان، ولينشط إلى قراءته العالِمُ والجاهِلُ، ويَشتركَ في مطالعته الحالي والعاطلُ. وجعلته خمسين باباً، هذا ثَبتُها؛ منها مثلاً: باب التصحيف،

---

(1) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P:56.

(٢) الزبيدي، **لحن العوام**، ص ٦٦.

(٣) انظر؛ ابن مكي، **المصدر السابق**، ص١٨-٢١.

وباب ما غيَّروه من الأسماء بالزيادة، وباب ما غيَّروه من الأفعال بالنقص، وباب غلطهم في التصغير، وباب ما وضعوه غير موضعه... إلخ. وإنما ابتدأت بالتصحيف، لأن ذلك كان سَببَ تأليف الكتاب، ومفتاحَ النظر في تصنيفه، ثم أتبعته كلاماً يَليق به أو يُقاربه"

ومن خلال هذين النصين نجد: أن اللغويين العرب صنفوا أخطاءهم تصنيفاً صحيحاً ودقيقاً. ونحاول فيما يلي أن نتحدث عن وصف الخطأ.

رابعاً: وصف الخطأ

لقد أوجد محللو الأخطاء أربع فئات لوصف الأخطاء، وهي: الحذف، والإضافة، والإبدال، وسوء الترتيب[1]. ويُقْصَدُ بالحذف: أن نحذف حرفاً أو أكثر من الكلمة؛ أو كلمة أو أكثر من الجملة. وتعني الإضافة هي أن نضيف حرفاً أو أكثر إلى الكلمة؛ أو كلمة أو أكثر إلى الجملة. ويعني الإبدال هو أن نبدل حرفاً مكان آخر؛ أو كلمة مكان أخرى. وأما سوء الترتيب فيعني أن تُرتبَ حروف الكلمة خطأً في الجملة، وذلك بالتقديم والتأخير وغيرها.

لقد تحدث ابن الجوزي عن وصف الخطأ قائلاً[2]: "واعلم أن غلط العامة يتنوع: فتارة يضمون المكسور، وتارة يكسرون المضموم، وتارة يمدون المقصور، وتارة يقصرون الممدود، وتارة يشددون المخفف، وتارة يخففون المشدد، وتارة يزيدون في الكلمة وتارة ينقصون منها وتارة يضعونها في غير

---

(1) Jassem, J, A. 2000. Ibid. Pp:56-7.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، **تقويم اللسان**، حققه وقدم له: عبد العزيز مطر، الطبعة ١، دار المعرفة: القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٧٤-٧٦.

موضعها، إلى غير ذلك من الأقسام. وإن وُجِد لشيء مما نَهيتُ عنه وجه فهو بعيد، أو كان لغةً فهي مهجورة وقد قال الفراء: وكثيرٌ مما أنهاك عنه قد سمعتُه. ولو تجوزتُ لرخصتُ لكَ أن تقول: "(رأيت) رجلان" في لهجة من يلزم المثنى الألف، ولقلت: "أردت عن تقول ذلك". إلى عنعنة تميم أي قلب الهمزة المبدوء بها عيناً. والله الموفق".

فإليكم الآن وصف الأخطاء كما بيَّنها العلماء العرب القدامى.

١- الأخطاء النحوية

يقصد بالأخطاء النحوية: الأخطاء التي تتناول موضوعات النحو؛ كالتذكير، والتأنيث، والإفراد، والتثنية، والجمع، وغيرها.

انظروا إلى الأمثلة التالية[١]: باب ما أنثوه من المذكر

"من ذلك: القلب، والبطن، يقولون: رَقَّتْ له قلبي وانتفخَتْ بطني، ونحو ذلك.

والصواب: تذكير الجميع. قال الشاعر:

وإنكَ إنْ أعطيتَ بطنَكَ سُؤلَهُ وفرجَكَ نالا مُنتَهى الذَّمِّ أجمَعا

كذلك القميص، ربما أنثوه فقالوا: قميص جديدة، وقديمة.

الصواب: التذكير، قال تعالى: ﴿**اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي**﴾[٢].

باب ما ذكروه من المؤنث

مما يذكرونه وهو مؤنث: السراويل، وهو مؤنث. قال قيس بن سعد بن عبادة:

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص ١٣٧-١٣٩، ١٤١، ٢٠٠.

(٢) القرآن الكريم، **سورة يوسف**: ٩٣.

أردتُ لكيما يعلَمَ الناسُ أنها سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهود

باب ما العامة فيه على الصواب، والخاصة على الخطأ

يقولون: "ثلاث شهور، وخمس شهور، وما أشبه ذلك، من العدد الذي دون العشرة، وذلك غلط على وجهين: أحدهما أن المذكر لا يقال فيه إلا ثلاثة، وأربعة، وخمسة إلى عشرة، بإثبات التاء. وإنما تحذف في المؤنث نحو: ثلاث نسوة، وأربع سنين، وما أشبه ذلك. والآخر أن الشهور إنما تكون في كثير العدد، فأما ما دون العشرة فإنما تضاف إلى الأشهُرِ لا إلى الشهور. وكذلك كل ما كان على فَعْل إنما يجمع في قليل العدد على أَفعُل، فصار قول العامة: خمسة أَشهُر، وتسعة أَشهُر، وسبعة أَشهُر ونحو ذلك، أقرب إلى الصواب من قول الخاصة: خمس شهور.

وكذلك يقولون: أربع أيام، وخمس أيام، ونحو ذلك. والصواب: أربعة أيام، وخمسة أيام، بإثبات علامة التأنيث، كما تقول العامة".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان يوسف بن خالد يقول: هذا أَحْمَرُ من هذا. يريد: هذا أشدُّ حمرةً من هذا[1]. "فعل التفضيل يصاغ من الثلاثي، وألا يكون الوصف منه على وزن أفعل أو فعلاء. وإن لم يستوف الشروط كما في المثال السابق، يجب علينا أن نأتي بفعل آخر مستوف للشروط كي نتمكن من صوغ اسم التفضيل[2]".

يقولون في التعجب من الألوان والعاهات: ما أبيضَ هذا الثوبَ وأعورَ هذا الفرس. وذلك غلط، لأن العرب لم تَبْنِ فعل التعجب إلا من الفعل الثلاثي

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة ٧، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٨م، ج٢، ص٢١٠.

(٢) عيد، محمد، **النحو المصفى**، الطبعة ١، عالم الكتب: القاهرة، ٢٠٠٥م، فعل التفضيل.

الذي خَصَّتْهُ بذلك لخفَّته. والغالب على "أفعل" الألوان والعيوب التي يدركها العِيانُ، فإن أردتَ التعجب من بياض الثوب قلت: ما أحسنَ بياض هذا الثوب وما أقبحَ عَوَرَ هذا الفرس. ويجوز أن نقول: ما أبيضَ هذا الطائر، إذا تعجبتَ من كثرة بَيْضِه، لا من بَيَاضِه[١].

يقولون: هذا واحدٌ اثنانِ ثلاثةٌ، فيعربون أسماء الأعداد المُرسَلة. والصواب أن تبنى على السكون في حالة العَدِّ، فيقال: واحدْ، بسكون الدال، وكذلك حكم نظائره، اللهم إلا أن يُوصَفَ أو يُعطَفَ بعضُها على بعض فيعرب حينئذ بالوصف كقولك: تسعةٌ أكثر من ثمانيةٍ، وثلاثةٌ نصف الستةِ[٢].

القول في جمع أرض. يقولون في جمع أرض: أراض، فيخطئون فيه لأن الأرض ثلاثية والثلاثي لا يجمع على أفاعل، والصواب أن يقال في جمعها: أَرَضون بفتح الراء، وذلك أن الهاء مقدرة في أرض فكان أصلها أَرْضَة وإن لم ينطق بها، ولأجل تقدير هذه الهاء جمعت بالواو والنون على وجه التعويض لها عما حذف منها...[٣].

"وهبت فلاناً مالاً". والصواب: لفلانٍ، فإنَّ (وهبت) لا يتعدى إلا بحرف الجر[٤].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الصفدي، **المصدر السابق**، ص ٧٦-٧٧.

(٢) **المصدر السابق**، ٥٣٧.

(٣) الحريري، القاسم بن علي بن محمد، **درة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيق وتعليق: عبد الحفيظ فرغلي على القرني، الطبعة ١، دار الجيل: بيروت، ومكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٢٣.

(٤) أربعة كتب في التصحيح اللغوي، **للخطابي، ولابن بري، ولابن الحنبلي، ولابن بالي**، تحقيق حاتم صالح الضامن، الطبعة ١، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ١٩٨٧م. (وهذه الكتب هي: ١- إصلاح غلط المُحَدِّثِين للخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد بن =إبراهيم بن الخطاب البُستي الخطابي الشافعي، المتوفى سنة ٣٨٨هـ، ٢- غلط الضعفاء من الفقهاء - لابن بري، أبي محمد عبد الله بن أبي الوحش بَري بن عبد الجبار بن بري المقدسي، المتوفى سنة ٥٨٢هـ، ٣- سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، لابن الحنبلي، رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلي، المتوفى سنة ٩٧١هـ، ٤- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لابن بالي، علي ابن بالي القسطنطيني، المتوفى سنة ٩٩٢هـ). والمثال من: "ابن بالي" ص ٥١.

٢- الأخطاء الصرفية

يقصد بالأخطاء الصرفية: هي الأخطاء التي تتناول موضوعات الصرف؛ كالتصغير، والنسبة، وغيرها. انظروا إلى الأمثلة التالية[١]:

باب غلطهم في التصغير

يقولون في تصغير: مُهْر: مُهَيِّر، وفي تصغير بَغْل: بُغَيِّل. وفي تصغير: طفل: طُفَيِّل...إلخ. والصواب: مُهَيْر وبُغَيِّل وطُفَيِّل، على وزن شُعَيْب.

باب غلطهم في النسب

يقولون: رجل نَحَوِي. والصواب: نَحْوِيٌّ. بإسكان الحاء، منسوب إلى النحو.

ورجل لَغَوِيٌّ. والصواب: لُغَوِيٌّ، بضم اللام، منسوب إلى اللغة.

ويقولون: يوم بَدَرِيٌّ، وليلة بَدَرِيَّة. والصواب: بَدْرِيٌّ وبَدْرِيَّة. بإسكان الدال، لأنه منسوب إلى البَدْر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقولون: ذَيَّبْتُ الشَّحْمَ. والصواب ذَوَّبْتُهُ بالواو لأنَّه من ذَابَ يَذُوبُ. يقال: أَذَبْتَ أيضا[٢].

٣- الأخطاء الصوتية

يقصد بالأخطاء الصوتية: هي الأخطاء التي تقع في أصوات اللغة العربية وحركاتها، وما يعتريها من حذف، وإضافة، وإبدال، وغيرها.

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص١٣٤، ١٤٦، ١٤٨.

(٢) ابن هشام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف اللخمي الإشبيلي، **المدخل إلى تقويم اللسان**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الطبعة ١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م، ص ١٧١.

إليكم الأمثلة التالية[١]: "أخطاء الإضافة: يقولون: الكُورة. والصواب: الكُرة.

ويقولون: فلن يَزالَ الهَرَج إلى يوم القيامة بفتح الراء. والصواب: الهَرْج، بإسكانها".

ويقولون: دِقْنّ. والصواب: ذَقَنّ. وذَقَنُ الإنسان مَجْمَع لِحْيَيْه[٢]، ((إبدال الدال ذالاً)) (*).

ويقولون للسيف: "صِمْصَامة" و "صِمْصَام" فيكسرون. قال محمد: والصواب: "صَمْصَامة" و"صَمْصَام" بالفتح[٣]، ((إبدال الفتحة كسرة)).

ويقولون لسيف النبي صلى الله عليه وسلم "ذو الفِقار" بكسر الفاء. والصواب فتحها[٤]، ((إبدال الفتحة كسرة)).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الحَرْبُ خَدْعَةٌ". اللغةُ العاليةُ: خَدْعَة، مفتوحة الخاء. قال أبو العباس: وبَلَغَنَا أنها لغةُ النبي صلى الله عليه وسلم. والعامةُ ترويه: خُدْعَة[٥]، ((إبدال الفتحة ضمة)).

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص ١٥٩، ٢٠٦.

(٢) الصفدي، **المصدر السابق**، ص٢٦١.

(*) كل ما بين قوسين من اليمين (( )) وقوسين من اليسار فهو إضافة من الباحث.

(٣) الزبيدي، **لحن العوام**، ص ١٦٨.

(٤) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "ابن بالي" ص٣٦.

(٥) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "الخطابي" ص٦٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ، ص ٩:٢١.

قال الراجز[1]:

باب السين والتاء: يُقال: هم النَّاس والنَّات،

يـا قَـبَّـحَ اللهُ بـنـي الـسعلات عَمْـرو بن يـربـوع شِـرار النـاتِ

ليسـوا بسـاداتٍ ولا أكـياتِ

يريد: الناس، وأكياس، ((إبدال السين تاء)).

باب التاء والكاف في المكنى: ما فَعَلْت وما فَعَلْك، قال الراجز:

يـا ابـن الـزُّبـير طـال مـا عصَـيْكا وطـال مـا عـنَّـيْـكـنـا إليـكـا

لنـضـربـنْ بسيـفِـنـا قَـفَـيْـكـا

يريد عصيت، وعنَّيتنا، ((إبدال التاء كافاً)).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤- الأخـطـاء البلاغيـة

يقصد بالأخطاء البلاغية: هي الأخطاء التي تتعلـق بموضـوعات البلاغـة، كالجناس، والطباق، والتضمين، والتنافر، وغيرها.

خذوا الأمثلة التالية[2]: "يقولون: ما بَقِي لـه سـائحة ولا رائحـة، ((جنـاس ناقص)).

يقولون: فلان ما يَجرِي ولا يَمْرِي. الصواب: ما يُجلي ولا يُمرِءُ، ((جناس ناقص أيضاً)).

---

(١) الزجاجي، **المصدر السابق**، ص ٧٤، ٧٥، ١٠٥.

(٢) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص١٥٨، ١٥٩، ٢٩٢-٢٩٣.

التضمين: وهو عند الخليل؛ في الشعر من مقابحه، ومعايبه، وفي الغناء من محاسنه ومفاخره. فأما التضمين في الشعر، وهو نوع منه، فإنه تَعَلُّق آخر البيت بأول البيت الذي بعده، ولا يتم إلا به، كقول الشاعر:

وهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ على تَمِيمٍ وهُمْ أَصحابُ يومِ بُغاثِ إني

شَهِدتُ لهم مَواطنَ صالحاتٍ وَثِقْتُ لهم بحسن الظَّنِّ مني

ويروى يوم بعاثَ وعكاظَ، ووَثِقْنَ وهذا أحسن.

وأما التضمين في الغناء فهو: تكرير المغنِّي أولَ بيت من المقطوع، عَقيبَ كل بيت يغنيه، يُبَيِّن به موضعَه، ويُحَسِّن في النفوس موقعه. مثل قول ابن الرومي:

وَحَديثُها السِّحْرُ الحَلالُ لو أَنَّه لم يَجْنِ قتلَ المُسْلِمِ المتَحَرِّز

إن طالَ لمَ يُمَلَّلْ وإن هي أوجَزَتْ وَدَّ المُحَدَّثُ أنَّها لم تُوجِزِ

شَرَكُ العقولِ ونُزْهَةٌ ما مثلُها للمُطْمَئِنِّ وعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذا فرغ من كل بيت منهن، وصله بقوله: إن طالَ لمَ يُمَلَّلْ فتكملُ بذلك طُلاوةُ الشعر، وتَضاعَفُ بهجتُه، ويبقى في المسامع أَثَرُه، وفي القلوب تَصوُّرُه.

التَّنافُرُ: التَّفَرق، نَفَرَ القوم ينفرون: ذهبوا وتفرَّقوا. ذكر الجاحظ التنافر وقال: "ومن ألفاظ العَرَب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشدُ إنشادها إلا ببعض الاستكراه. فمن ذلك قول الشاعر[1]:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بمكان قفرٍ وليس قُرْبَ قَبْرِ حرب قبرُ

---

(١) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ٦٥.

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاثَ مرَّاتٍ في نسق واحدٍ فلا يتتعتعُ ولا يتلجلج، وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجِنّ، صَدَّقوا بذلك".

٥- الأخطاء الأسلوبية (تحليل الخطاب)

الأخطاء الأسلوبية: هي الأخطاء التي تتناول وضع الكلمات في سياق غير صحيح، أو أن تستعمل الكلمة في الجملة بشكل خاطئ.

انظروا إلى الأمثلة التالية[١]: "ومن ذلك: الأوباش من الناس، هم عندهم: السَّفِلة. وليس كذلك. إنما الأوباش والأوشاب: الأخلاط من الناس من قبائل شتى، وإن كانوا رؤساء وأفاضل، وفي الحديث: قد وَبَّشَت قريشُ أوبَاشَاً أي جَمَّعت جموعاً[٢]، ((استعمال الكلمة خطأ في السياق)).

يقولون: قدم الأمير في ضَفَفٍ، يعنون في كثرة وحَفَدة. وإنما الضَفَف: قلة الطعام وكثرة الآكلين. والحَفَفَ: أن يكون الطعام على قد آكليه، ((استعمال معنى الكلمة خطأ في الجملة)).

يقولون للفرس الأبيض: أشهب. وليس كذلك. إنما يقال: أبيض، وقِرطاسِيٌّ. فأما الشهبة فهي سواد وبياض، يقال: فرس أشهب، إذا اختلط فيه السواد والبياض، ((استعمال الكلمة خطأ في السياق)).

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص١٦٤، ١٦٥، ١٨٣.

(٢) أ. ي. ونسنك، و ي. ب. منسنج، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٩م. ج٧، ص ١٢٢.

ومن ذلك قولهم: للسرداب تحت الأرض: دَهليز، بفتح الدال، وليس كذلك. إنما الدِّهليز: سقيفة الدار، مكسورة الدال.

ومن ذلك قول الإنسان منهم، ما شِك، إذا سُئل عن شيء لا يستيقنه. يريد ما أَشُكُّ فيغلط في اللفظ والمعنى، لأن قوله: ما أشُك معناه: أُوقِن، وليس يريد أُوقن بقوله: ما شِكّ"، ((استعمال الكلمة خطأ في الجملة)).

ويقولون: شَمَمتُ "رَاحَةَ" الشيء. والصواب: "رائحته"، فأما "الراحة" فراحة اليد والرفاهية[1]، ((الخطأ هنا استبدال كلمة مكان أخرى)).

يقولون: "أَقْرِئ" فلاناً السَّلامَ. قال أبو بكر: الصواب: اقْرَأْ عليه السلام. فأما أَقْرِئْه السلام، فمعناه: اجعله أن يقرأ السلام. كما يقال: أَقْرَأتُه السورة[2]، ((استعمال الكلمة في غير موضعها المناسب)).

وقولهم: (الوافر) البيت لمعن بن أوس قاله في ابن أخت له يقال له حبيب[3]:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

يُنشدونَهُ "اشتدّ" بالشين. والصواب "اسْتَدَّ" بالسين غير معجمة، أي: صار سَدِيداً. والرَّمْيُ لا يُوصَفُ بالشِّدَّة، وإنَّمَا يُوصَفُ بالسَّدَادِ وهو الإصابَةُ. يُقال رَامٍ مُسَدِّدٌ ومُسَدَّدٌ، ((أبدل السين شيناً. واستعمل الكلمة خطأً في السياق)).

والعامة تقول: ما رأيته مِن أمس، ومِن أيَّام. وهو غلط، والصواب: مُذْ أمس، مُذْ أيام، لأن (مِن) تختص بالمكان، و(مُذْ ومُنْذُ) يختصان بالزمان[4]، ((استخدم ظرف المكان خطأً؛ بدلاً من ظرف الزمان)).

---

(١) الصفدي، **المصدر السابق**، ص٢٧٥.

(٢) الزبيدي، **لحن العوام**، ص٢٦٢.

(٣) ابن هشام الإشبيلي، **المصدر السابق**، ص ٥٥٠.

(٤) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "ابن بالي" ص ٤٤.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقولون: "هَمْ" فَعَلتَ، و"هَمْ" خَرَجتَ، فيزيدون "هَمْ" في افتتاح الكلام. وهو من أشنع الأغلاط والأوهام[1]"، ((أضاف المتحدث كلمة هَم في بداية الكلمة خطأً؛ ولا داعي لها مطلقاً، وهي لهجة أهل العراق عموماً، وتعني: أيضاً)).

(والصواب يستحق لا يستأهل)[2]، يقولون: فلانٌ يستأهل الإكرام وهو مستأهل للإنعام، ولم تُسْمَعْ هاتان اللفظتان في كلام العرب ولا صوَّبَهما أحدٌ من أعلام الأدب. ووجْهُ الكلام أن يقال: فلان يستَحقُّ المكرمة وهو أهلٌ لإسداءِ المَكْرُمَة، ((أبدل كلمة مكان أخرى خطأً)).

هوش لا شوش[3]، يقولون: شوشت الأمر وهو مشوش. والصواب أن يقال فيه: هوشت وهو مهوش؛ لأنه من الهوش وهو اختلاط الشيء ومنه الحديث" إياكم وَ هَوْشاتِ الأسواق[4]"، ((إبدال كلمة مكان أخرى خطأً)).

قوله، صلى الله عليه وسلم: "الخالُ وارِثُ مَنْ لا وَارِثَ له، يَفُكُّ عَنِيَّهُ ويَرِثُ مَالَهُ[5]". رواه بعضهم: يَفُكُّ عَيْنَهُ، الياءُ قبلَ النونِ، وإنما هو عَنَّيُهُ، والعَنِيُّ: العَانِي، وهو الأسيرُ[6]، ((أساء ترتيب الحروف داخل الكلمة فتغيّر المعنى)).

---

(١) الصفدي، **المصدر السابق**، ص٥٣٢.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، ص٨٣.

(٣) انظر: **المصدر السابق**، ص١٨٠.

(٤) أ. ي. ونسنك، و ي. ب. منسنج، **المصدر السابق**، ج٣، ص٣٥.

(٥) انظر: **المصدر السابق**، ج٧، ص ١٨٧.

(٦) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "الخطابي" ص ٧١. – ابن حنبل، أحمد، **مسند أحمد**، القاهرة، ١٣١٣هـ، ٤:١٣٣.

ومن ذلك "الرَّعْبون" براء مفتوحة فعين ساكنة، لما يُعقَدُ به البَيْعُ. وإنما هو العُرْبون، بعينٍ مضمومةٍ فراءٍ ساكنةٍ، أو بفتحها، أو غير ذلك[1]، ((الخطأ هو سوء ترتيب حروف الكلمة)).

حديث: "ذَكر رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يُخدع في البيوع. فقال: مَن بايعت فقل: لا خِلاَبةَ، فكان إذا بايع قال: لا خِيابةَ[2]". قال القاضي عياض: هو بياء مثناة تحت بدل اللام، وكان الرجل ألثغ فكان يقولها هكذا ولا يمكنه أن يقول "لا خِلابة". قال: ورواه بعضهم: "لا خِيانةَ" بالنون، قال: وهو تصحيف، ((الخطأ هنا هو إبدال الحروف مكان بعضها بعضاً)).

أوفد زيادٌ عبيدَ الله بنَ زياد إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: "إنَّ ابنَك كما وصفت {يعني يلحن}، ولكنْ قَوِّم من لسانه". وكانت في عُبيد الله لُكنةٌ؛ لأنه كان نشأ بالأساورة مع أمِّه "مَرجانة"، وكان زيادٌ قد زوَّجها من شِيرَويه الأسواريّ وكان قال مَرَّة: افتحوا سيوفكم"، يريد سُلُّوا سيوفكم[3]، ((استعمال الكلمة في سياق غير صحيح)).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦- الأخطاء المعجمية

يقصد بالأخطاء المعجمية: هي الأخطاء التي تكون في استعمال معنى الكلمة خطأً في الجملة. إليكم الأمثلة التالية[4]:

"يقولون: لعبَ الصبيانُ الغُمَّيمة. والصواب: الغُمَّيْضَى، والغُمَيْضَاءُ، إذا مددت خففت، وإذا قصرت شددت، ((استخدم كلمة غير مناسبة للتعبير عن المعنى)).

---

(١) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "ابن الحنبلي" ص ١٤٣.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، **التطريف في التصحيف**، تحقيق: علي حسين البواب، الطبعة ١، دار الفائز للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ٣٨.

(٣) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٢١٠.

(٤) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص٥٠ و٥٤ و٥٥ و٨١.

يقولون: فلان مُشْتَهِد في حاجتك. والصواب: مجتهد، وهو مُفْتَعِل من الجُهْد، ((أضاف حرفاً ينطقه عامة الناس، ولا يكتب عادة في اللغة الفصحى)).

يقولون للسريع القراءة: هو يَهدِر في قراءَته. والصواب: يَحدُر، بالحاء، والقراءة السريعة تسمى: الحَدْر، ((أبدل الحاء هاءً)).

يقولون لمجتمع الماء الحار: حامَّة. وإنما هي حَمَّة، على وزن فَعْلة، من الحميم، وهو الماءُ الحار. فأما الحامَّة فهي الخاصة، يقال: دُعينا في الحامَّة لا في العامة، ((أضاف حرفاً خطأً في الكلمة)).

يقولون: "تَنَوَّرَ" الرجلُ، من النُّوْرَة. والصواب: انْتَوَرَ، وانْتَارَ ولا يقال: تَنَوَّرَ، إلا إذا أبصر النار،" ((استخدم كلمة خاطئة مكان أخرى من حيث معناها)).

يقولون للوَعِلِ المُسِنِّ "تَيْتَل"، بتاءين، يَكْتَنِفَان الياءَ، كلتاهما معجمة باثنتين من فوق، وهو في كلام العرب:"الثيتل"، بإعجام الأولى منهما بثلاث[1]، ((أبدل الثاء تاءً)).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحديثُ ابنِ أمِّ مكتوم: "إنَّ لي قائداً لا يُلاوِمُني". هكذا يرويه المُحَدِّثُون، وهو غَلَطٌ، والصواب: لا يُلائِمُني. أي لا يُوافقني ولا يُساعدني على حضور الجماعة. فالمُلاوَمة فإنما تكون من اللوم[2]، ((استخدم صيغة مكان أخرى)).

ويقولون رجل: "شَحَّاثٌ". قال أبو بكر: والصواب رجل "شَحَّاذٌ" كأنه يأخذ من الناس اليسير ويَشْحَذُهم كما يشحذ المِسَنُّ الحديدة ويأخذ منها شيئاً فشيئاً[3]، ((أبدل الذال ثاءً)).

---

(١) الصفدي، **المصدر السابق**، ص١٩٣و١٩٧.

(٢) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "الخطابي" ص ٣٧. ومسند أحمد، **المصدر السابق**، ٣:٤٢٣.

(٣) الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن الإشبيلي، **الزيادات على كتاب إصلاح لحن العامة بالأندلس**، دراسة ونصوص: عبد العزيز الساوري، الطبعة ١، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي، ١٩٩٥م، ص ٤١.

٧- الأخطاء الإملائية

يقصد بالأخطاء الإملائية: الأخطاء التي تكون في كتابة الكلمة بشكل غير صحيح أو مضبوط. كزيادة حرف، أو حذفه، أو إبداله، أو وضعه في غير موضعه من الكلمة.

هاكم الأمثلة التالية[١]: "يقولون: جئت من بَرًّا. والصواب: من برٍّ، والبرُّ خلاف الكِنُّ، وهو أيضاً ضد البَحْر، ((أضاف حرف الألف خطأً)).

ويقولون للحَشيش اليابس: عُسْب. وليس كذلك. إنما العشب: الأخضر من المرعى، ((أبدل الشين سيناً)).

يقولون: جئت "تِي" ألقاك. يريدون "حَتَّى" ألقاك[٢]، ((حذف حرف الحاء من الكلمة خطأً)).

يقولون للإناء المُتَّخَذ من الصُّفْر "سَطْلٌ". والصواب "سَيْطَلٌ"، على مثال: فَيْعَلٍ، قال الطرماح يصف ثوراً:

حُبِسَتْ صُهَارتُهُ فَظَلَّ عُثَانُهُ في سَيْطَلٍ كُفِئَتْ له يَتَرَدَّدُ

((الخطأ هنا هو: حذف حرف الياء من الكلمة)).

ومنها قول بعضهم: (صُفْرة) لما يوضع عليه المائدة. وهو خطأ، وإنما هو بالسين[٣].

ويروى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: ما تقول في رجل ظَحَّى بضبي؟ فعجِبَ عُمرُ ومَنْ حَضَرَه من قوله، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنها لِغة- وكسر

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص ٨٠ و ١٦٠.

(٢) الصفدي، **المصدر السابق**، ص ١٩٧و ٣١٢.

(٣) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "ابن بالي" ص ٣١.

اللام. فكان عجبُهم من كسره لام لغة أشدّ من عجبهم من قَلْب الضاد ظاءً والظاء ضاداً[١]، ((إبدال الضاد ظاء، والظاء ضاداً؛ وكذلك إبدال الضمة كسرة في لغة)).

تقول: قد أصابَ فُرصَتَهُ بالصاد، والعامة تقول: قد أصاب فُرْسَتَه[٢]، ((إبدال الصاد سيناً)).

دعا زيادٌ النبطي غلامَه ثلاثاً فلما أجابه قال: فَمِنْ لَدُنْ دأوْتُكَ إلى أنْ قلت لَبَّى ما كنت تَصْنأ؟ يريد: مِن لدُن دَعوتُك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع[٣]، ((إبدال العين همزة)).

٨- الأخطاء الكلية

المقصود بالأخطاء الكلية (Global Errors): هي التي تعيق الاتصال، وتؤثر على التنظيم الكلي للجملة، وتتضمن في أكثر صورها انتظاماً الأنماط التالية[٤]:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ- الترتيب الخاطئ للكلمات.

ب- أدوات ربط الجمل المحذوفة أو الخاطئة أو الواقعة في غير مكانها.

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المتوفى سنة٩١١هـ، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، المجلد١، ص ٤٣٩.

(٢) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحق، **إصلاح المنطق**، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة ٣، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص ١٨٤.

(٣) الجاحظ، **المصدر السابق**، ص ٢١٣، ج ٢.

(٤) صيني والأمين، **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء**، ص ١٦٧-١٦٨.
و: Jassem, J, A. 2000. Ibid. P: 48

ج- حذف المعينات التي تدل على الاستثناءات اللازمة من القواعد النحوية الشائعة.

د- تعميم قواعد النحو الشائعة على الاستثناءات (عدم مراعاة القيود على عناصر معجمية معينة).

فالأخطاء الكلية تؤثر على النظام الكلي للجملة، وتجعل السامع أو القارئ يخطئ تفسير رسالة المتكلم أو الكاتب. ويمكن أن يمتد تصنيف الأخطاء الكلية والجزئية ليشمل تصنيف الأخطاء باعتبار بعدها أو قربها من اللغة.

يمكن أن يُضاف إلى هذه الأنماط: أن تستعمل الكلمة في سياق خاطئ؛ أي أن يراد بها شيءٌ آخر، غير ما وضعت له أصلاً. أو أن تُقرأَ الجملةُ بطريقة خاطئة، ومختلفة تماماً من قبل القارئ العادي، مما يترتب عليه اختلاف المعنى الحقيقي للجملة لدى السامع أو المتلقي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انظروا إلى الأمثلة التالية:

لقد اشتهر أبو علقمة الثقفي باستعمال الغريب والوحشي من الألفاظ، ولقد جاء إلى طبيب شاكياً إليه من مرض ألمّ به، فقد: "دخل أبو علقمة على أَعْيَن الطبيب، فقال له: أَمْتَعَ اللهُ بك! إني أكلت من لحوم هذه الجوازل، فطسئت طسأة، فأصابني وجع ما بين الوابلة إلى دَأية العنق، فلم يزل يَرْبُو ويَنْمِي حتى خالط الخِلْب والشراسيف، فهل عندك دواء؟ فقال أَعْيَن: نعم، خذ خَرْبَقاً وشَلْفَقاً وشِبْرَقاً، فزهرقه وزقزقه، واغسله بماء رَوْث واشربه. فقال أبو علقمة: لم أفهم عنك! فقال أعين: أفهمتك كما أفهمتني[1]".

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **عيون الأخبار**، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان، ١٩٢٥م، ج٢، ص ١٦٢.

و"من ذلك: المُقْرِف، هو عندهم البخيل. وذلك غلط. إنما المُقْرِف: الذي أمه كريمة وأبوه ليس كذلك، والهَجين: الذي أبوه كريم وأُمه ليست كذلك، قال الشاعر:

كم بجودٍ مقرفٌ نال العُلا وكَريمٌ بخلُه قد وَضَعَهْ

ألا تراه سماه مقرفاً، وقد جعل له جوداً نال به العلا، وسمى الآخر كريماً، وجعل له بخلاً قد وضعه[1]"، ((استعملت الكلمة في غير ما وضعت له خطأ، فاختلف المعنى كلياً)).

من ذلك "الحِشْمَةُ" يضعها الناس موضعَ الاستحياء، قال الأصمعيُ: وليس كذلك، إنما هي بمعنى الغضب، وَحُكِيَ عن بعض فصحاء العرب: "إنَّ ذلك لممَّا يُحْشِمُ بني فلان" أي: يغضبهم[2]، ((استعملت الكلمة في سياق غير مناسب)).

ويورد العسكري الأمثلة التالية[3]:

"ممن صار ضُحْكَةً للماضين والغابرين بالتصحيف، الكاتب الذي قرأ: حاضرُ طَيَّء، فقال: جاء ضريطي، ((اختلف المعنى العام للجملة بشكل كلي)).

جاء رجلٌ إلى أبي عُبَيدة، فقال: أريدُ أن أقرأ عليك شعرَ الحُطَيئةِ، فقال: اقرأ، فابتدأ فقال:

ظَعَنَ الذَّينَ فِراقُهُمْ أَتَوقَّعُ وَخَرَى بِبَيْنِهِمُ الغُرابُ الأَنْفَعُ

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص١٦٤.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد الدالي، الطبعة ١، مؤسسة الرسالة: بيروت– لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٣.

(٣) العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، تحقيق: عبد العزيز أحمد، الطبعة ١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٣م، ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٣ و ٥٤.

قال: فوجَّه أبو عبيدة إلى يونسَ: قد وَقَعَ طيرٌ من البادية، فاحضر، فاجتمعنا، فقرأ الرجلُ. فقال أبو عُبيدة: وَيحكَ، إنْ عُذِرتَ في تصحيفك الأول، لم تُعْذَر في الثاني؛ أما سَمِعْتَ بِغُرَابٍ أَبْقَعَ ولا رأيتَهُ قطُّ! (في البيت تصحيفان: الأول في قوله: وخرى. وأصلها في الشعر: وجرى. والثاني: الأنفع، وأصلها: الأبقع، وهذا معنى قوله فيما سيجيء: إن عُذِرت في تصحيفك الأول، لم تعذر في الثاني)، ((تغير المعنى كلياً للبيت)).

قرأ رجلٌ يوماً على أبي عبد الله المُفَجَّع:

ولـمَّا نَـزَلْـنَـا منـزِلاً طَـلَّهُ النَّـدَى أنيـقاً وبُسْتَـانَـاً مِن النَّـوْرِ خَـالِـيَاً

بالخاء المعجمة، فحرّك المُفجَّعُ رأسَهُ، وقال يا سيِّدَ أُمِّه، فعلى أي شيءٍ كنتم تشرَبُونَ؟ على الخَسْف؟ الخسف: الجوع، ((تغير المعنى بإبدال الحاء خاءً)).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩- الأخطاء الجزئية

الأخطاء الجزئية (Local Errors): هي الأخطاء التي لا تتسبب في إعاقة الاتصال بصورة واضحة. وتشمل أخطاء تصريف الاسم، والفعل، كما تشمل الأدوات، والأفعال المساعدة، وصوغ كلمات الكم، واستخدام الضمير المذكر مكان المؤنث، واستعمال الفعل الماضي بدلاً من المضارع، وغيرها. وبما أن تلك الأخطاء مقصورة على جزء واحد من أجزاء الجملة فإننا نسميها (أخطاء جزئية أو محلية). فالأخطاء الجزئية: هي التي تقتصر على جزء واحد من أجزاء الجملة، ولا تحدث أثراً كبيراً على عملية الاتصال ولا تعيقه[١].

---

(١) صيني والأمين، **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء**، ص١٦٨.
و: Jassem, J, A. 2000. Ibid. P: 48

انظروا إلى الأمثلة التالية[١]: "باب ما جاء لشيئين أو لأشياء فقصروه على واحد يقولون: للآس خاصة: رَيْحان. والرَّيْحان: كل نَبْت طيب الريح، ((استعملت الكلمة بشكل خاص، والصواب إطلاقها على الجميع)).

ولا يقولون بحر إلا لما كان ملحاً خاصة. والبحر يقع على العذب والملح/ المالح. قال تعالى: "**وهو الذي مَرَجَ البَحْرَين هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ**[٢]". فسمى العذبَ بحراً، وإنما سُمِيَّ البحرُ بحراً لاتساعه"، ((استعملت الكلمة من قبيل الحصر والصواب التعميم)).

يقولون: "أَعْرَضْت" عليه الأمر. والصواب "عَرَضْتُه"[٣]، ((حذف الألف من الكلمة خطأ)).

العامة تقول بُخور، بضم الباء، والصواب فتحها[٤]، ((إبدال الفتحة ضمة)).

يقولون: "صك والصواب سك" معناها: الساقي أو السقاة. ويقولون "آطش والصواب آتش" معناها: نار[٥].

((أنت لعبتا. يريد: أنت لعبت./ بعد أن أحبو أمي. يريد: بعد أن أحب أمي. فالمتعلم هنا أضاف حرفين لكل كلمة خطأ))[٦].

بعد هذا الوصف اللغوي للأخطاء، يجدر بنا أن ننتقل إلى الخطوة التالية؛ وهي: الخطوة اللغوية النفسية في شرح الأخطاء.

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص ١٧٠ و ١٧٣.

(٢) سورة الفرقان: ٥٣.

(٣) الزبيدي، **لحن العوام**، ص٢٦١.

(٤) **أربعة كتب في التصحيح اللغوي** ... "ابن بالي" ص ٢٠.

(٥) الحفناوي، جلال السعيد، "الهند في رحلة ابن بطوطة: دراسة لغوية" مجلة ثقافة الهند، نيودلهي: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، م ٥٦، ع٢، (٢٠٠٥م)، ١٢-١٢٧. ص ٣٩،٤٢، ١٢٤-١٢٥.

(6) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P: 311.

خامساً: شرح الأخطاء

إن وصف الأخطاء عملية لغوية صِرفة، بينما شرحها عملية لغوية نفسية بامتياز. ولذلك يجب علينا أن نشرح هنا لماذا وكيف وقعت الأخطاء. ونحاول أن نجد لها سبباً مقبولاً قدر المستطاع. وفي هذا الصدد يقول كوردر[1]: "إن شرح الأخطاء هي عملية صعبة جداً وإنها الهدف النهائي والأخير من تحليل الأخطاء".

ويُقْصَدُ بشرح الأخطاء هنا: أن نعزو هذه الأخطاء إلى مظانِّها الرئيسة. أي أن نُبَيِّنَ أسبابَها ما أمكن ذلك. هل هي بسبب اللغة الأم أَمْ بسبب اللغة الثانية التي يكتسبها الطالب؟ أم أن هناك أسباباً أخرى يمكن بيانُها وذكرُها.

لقد تناول هذه القضية علماء العربية القدامى، وأَوْلَوْها اهتماماً كبيراً في مؤلفاتهم اللغوية. فالجاحظ مثلاً، تحدث في فصل من كتابه: البيان والتبيين، عن بعض أسباب الأخطاء الهامة جداً، التي يرتكبها المتعلمون للغة. وكذلك العسكري؛ المتوفى سنة ٣٨٢هـ، قد أفرد كتاباً مستقلاً لهذا الغرض، أسماه: "شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل الحديث عن أسباب هذه الأخطاء، لابد لنا من مناقشة إستراتيجيتين مهمتين من إستراتيجيات التعلم في اللغة المرحلية (أو اللغة الوسطى Interlanguage) في تحليل الأخطاء، التي يتحدث عنها اللغويون الأمريكيون بشكل خاص. وهما: إستراتيجيتا السهولة والتَّحَجُّر؛ اللتان أولاهما الجاحظ اهتماماً كبيراً في دراسته.

أ- استراتيجية السهولة "Simplification":

لقد تحدث علماء اللغة في أوروبا وأمريكا عن استراتيجيات التعلم، التي تعني أن المتعلم يحاول جاهداً أن يُحَسِّنَ لغته ويُطَوِّرها مع مرور الزمن. ولذلك يُكَوِّنُ جملاً جديدة في اللغة الهدف. وقد تكون هذه الجمل غير صحيحة

---

(1) Corder, 1981:24; Jassem, J, A. 2000. Ibid. Pp:57-9.

في اللغة الهدف. وذلك بحذف بعض الحروف أو العناصر من الكلمة، استسهالاً منه وظناً أنها معروفة ومفهومة من قبل الآخرين[1]. ولهذا نرى اللغويين الأمريكيين يناقشونها تحت مصطلح السهولة؛ وتعني: أن المتعلمين يميلون إلى حذف بعض الحروف من الكلمات في اللغة الأم أو التي يتعلمونها. ويعتقدون أن هذه الحروف أو العناصر اللغوية التي حُذِفَت من الكلمة مفهومة، وأنها غير مهمة أو مفيدة.

لقد شرح الجاحظ هذه الاستراتيجية[2]، ومثَّل لها بشكل جيد في بحثه عن اللُّثغة؛ فقال: "... فأما التي على الغين فهي أيسرهنَّ، ويقال إنَّ صاحبها لو جَهَدَ نفسَه جَهْدَه، وأحَدَّ لسانَه، وتكلَّف مخرجَ الراء على حقِّها والإفصاح بها، لم يك بعيداً من أن تُجيبه الطبيعة، ويُؤثِّر فيها ذلك التعهُّد أثراً حسناً".

ويقول أيضاً[3]: وكانت لُثْغة محمد بن شبيب المتكلم، بالغين، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه، أخرج الرَّاء على الصحة فتأتَّى له ذلك. وكان يدع ذلك استثقالاً. أنا سمعت ذلك منه.

والماليزيون مثلاً، ينطقون الراءَ راءً في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها بشكل صحيح. إلا أنهم في وسط الكلمة أحياناً ينطقونها غيناً، وأحياناً ينطقونها راءً على الصحة. وذلك إذا جاء بعدها حرف علة وذلك للدلالة على رُقِيِّ المتكلِّم بها، وعلوّ منزلته. ولقد سَمِعْتُهَا من عِلِيَّة القوم في ماليزيا. انظر مثلاً، كلمة: "سجل رسمي" في اللغة الماليزية ينطقون الراء صحيحة، وتعني باللغة العربية "سجل رسمي" أيضاً. وكلمة "رندو Rindo" وتعني "مشتاق" فتلفظ بالراء

---

(1) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P:76.

(٢) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص٣٦.

(٣) انظر: **المصدر السابق**، ج١، ص٣٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك. وكلمة "جهور Johor" تلفظ راءً، وهي اسم ولاية في ماليزيا. أما إذا كانت في وسط الكلمة وقبلها حرف علة: تنطق غيناً أو راءً، مثال: (تشاري: Cari) تنطق "تشاغي" بالغين، وتعني بالعربية "يبحث". بينما تنطق كلمة (كاري Kari) بالراء في وسط الكلمة، ومعناها في العربية "نوع من أنواع التوابل"، وكلمة "بيريتا Berita" تنطق بالراء كذلك وتعني "الأنباء أو الأخبار"، فلها لفظان عندهم إما أن تنطق راءً، وإما أن تنطق غيناً.

ب- استراتيجية التَحَجُّر "Fossilization":

تحدث (سلنكر ,Selinker)[1] عن هذه الاستراتيجية في بحوثه المهمة عن اللغة الوسطى أو المرحلية، وهو يشير إلى القواعد والصيغ غير الصحيحة نحوياً؛ التي تَحْدُث في كلام متعلم اللغة الثانية بشكل دائم. ويمكن أن تبدو هذه الظاهرة دائمة وثابتة في كفاءة متعلمي اللغة الثانية[2].

لقد ناقش الجاحظ هذه الاستراتيجية عند المتعلمين الأجانب قديماً[3]. وقال إن الكبير لا يستطيع أن يكتسب اللغة بشكل صحيح مهما حاول ذلك. ولهذا تراه يقول: "فأما حروف الكلامِ فإن حُكمَها إذا تمكنت في الألسنة خلافُ هذا الحكم. ألا ترى أن السِّنْديَ إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعلَ الجيمَ زاياً، ولو أقامَ في عُليا تميم، وفي سُفلَى قيس، وبين عَجُزِ هوازنَ، خمسين عاماً. وكذلك النَّبَطيُّ القُحُّ خلافُ المِغلاق الذي نَشَأَ في بلاد النَّبَط، لأنَّ النَّبَطيَّ القُحَّ يجعل الزَّايَ سيناً، فإذا أراد أن يقول: زَورَق. قال: سَوْرق. ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن

---

(1) Selinker, L, 1972, Interlanguage, In Richards, J, C, (ed.), **Error Analysis: Perspectives of Second Language Acquistion,** London: Longman, 1974, p 213.

-Selinker, L, CA/ EA/ IL: Earliest Experimental Record, **IRAL 27** (4): 267-291, 1989, p 287.

(2) Jassem, J, A. 2000. Ibid. P:85-6.

(٣) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ٧٠ وما بعدها.

يقول مُشْمَعِلّ، قال: مُشْمَئِلّ. والنخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنَّ أنها رومية وأهلُها يزعمون أنها مولدة؛ بأن تقول: ناعمة، أو تقول شمس ثلاث مرَّات متواليات"

ونعود الآن بعد عرض هاتين الاستراتيجيتين: السهولة والتحجر عند الجاحظ، إلى شرح أسباب الأخطاء التي بيَّنها العلماء العرب القدامى في دراساتهم. "ولقد ذكر العسكري[1] بعضاً من هذه الأسباب التي تكمن وراء الأخطاء التي تقع في كلام الناس. ولذلك أخذ يشرح الألفاظَ والأسماءَ المُشْكِلة، التي تتشابه في صورة الخط، فيقع فيها التصحيف، ويَدْخلها التحريف، مما يَعْرِض في ألفاظ اللغة والشعر، وفي أسماء الشعراء وأيام العرب، وأسماء فُرسانها ووقائعها وأماكنها، وما يَعْرِض في علم الأنساب وغيرها من الأشكال، فيصحِّفها عامةُ الناس، ويَغْلَطُ فيه بعضُ الخاصة، ولا يَكمُل لها إلا من افتنَّ في العلوم، ولقي العلماء والرواة، والمتقدمين في صناعتهم، المُتقنين لما حفظوه؛ وأخذ من أفواه الرجال، ولم يعوّل على الكتب الصُّحَفية، واستقبح لذَّة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقير، فوضَحَت له الدِّراية والرواية[2]، بكفاء الطلب والعناية؛ واحترس من الخطأ احتراسه من أقبح العيوب، وأُعين ببعض الذكاء والفطنة.

ولقد سُئِلَ ابنُ عبَّاس: أنَّى أدركت هذا العِلم؟ فقال: بلسان سَؤُول، وقَلْب عَقُول.

ويروى أن الأصمعي ذكر يوماً بني أمية وشغفهم بالعلم، فقال: كانوا ربما اختلفوا، وهم بالشام، في بيت من الشعر، أو خَبر أو يوم من أيّام العرب، فيُبْرِدُونَ فيه بريداً إلى العراق. لقد كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت

---

(١) العسكري، **شرح ما يقع فيه...**، ص ١ وما بعدها.

(٢) الدراية: هي العلم بضرب من الحِيلة. والرواية: يقال روى الحديث أو الشعر، حمَله ونَقله.

شِعْر فيُرسلان راكباً إلى قَتادة يسأله. هذا وقد كان الناسُ فيما مضى يغلَطون في اليسير دون الكثير، ويُصَحِّفُون في الدقيق دون الجليل، لكثرة العلماء وعناية المتعلمين. فذهبت العلماء، وقلَّت العناية، فصار ما يُصَحِّفون أكثرَ مما يُصَحِّحون، وما يُسْقِطُونَ أكثر مما يَضْبطون".

ويذكر ابن قتيبة خبراً عن أعرابي قوله[1]: "ذكر أعرابي رجلاً يَعْيَا فقال: رأيت عَورات الناسِ بين أرجُلِهم، وعَوْرَةَ فلان بَينَ فَكَّيْه"، "وينقل عن ابن سيرين قوله: ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة، ولا على امرأة أحسن من شحم".

ومن خلال مطالعتنا لهذه المؤلفات وجدنا أن أسباب الأخطاء كثيرة. ويمكن أن تعود إلى عدة أسباب: لغوية، واجتماعية، ونفسية، وعضوية. وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولاً: الأسباب اللغوية

١- أخذ العلم من الصُحُف

يقول العسكري[2] إنه كان يقال قديماً: لا تأخذوا القرآنَ من مُصْحَفِيّ، ولا العِلْم من صَحَفِيّ. وروى الكوفيون أن حَمَّاداً الراوية كان حَفِظَ القرآن من المُصحف، فكان يُصَحِّفُ نَيِّفاً وثلاثين حرفاً. ويَروي أعداءُ حمزةَ الزيات، أنه كان يتعلم القرآن من المُصْحف، فقرأ يوماً، وأبوه يسمع: "آلم. ذلك الكتابُ لا زيتَ فيه" فقال له أبوه: دع المصحف وتَلَقَّن من أفواه الرجال.

---

(١) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج٢، ص ١٥٧ و١٧٥.

(٢) العسكري، **شرح ما يقع فيه...**، ص ١٢-١٣.

٢- عدم نَقْط المصاحف والإعجام والترقين والشَّكل

يروي العسكري[١] أن السبب في نَقْط المصاحف هو: أن الناس غَبَروا يقرؤون في مصاحف عثمانَ رحمةُ الله عليه، نيفاً وأربعين سنة، إلى أيام عبد الملك بن مروان. ثم كثر التصحيف، وانتشر في العراق ففزع الحَجَّاجُ إلى كُتَّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المُشْتَبِهَةِ علامات. فيقال: إن نصرَ بن عاصم قام بذلك، فوضع النَّقْطَ أفراداً وأزواجاً. وخالف بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف، وبعضها تحت الحروف. فَغَبَرَ الناسُ بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً. فكان مع استعمال النَّقْطِ أيضاً يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يُتْبِعون النَّقْطَ بالإعجام. فإذا أُغفِل الاستقصاءُ على الكلمة فلم تُوَفَّ حقوقَها اعترى هذا التصحيفُ، فالتمسوا حيلةً، فلم يقْدِروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال. وكان من نتيجة هذا السبب وضع علم النحو. عندما سَمِعَ أبو الأسود الدؤليُّ رجلاً يقرأ: "إن اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولِه" بالجر، فقال: لا يَسعني إلا أن أَضَعَ شيئاً أُصلِحُ به نحوَ هذا. فوضع النحو، وكان أوَّلَ من رسمه.

والترقين هو النَّقْطُ في الكتاب، وأن تقرأه على نفسك، وتعتبره وتدبر بعضه ببعض. وممن مدح كثرة الشَّكل، أحمد بن إسماعيل نَطَّاحَة الكاتب، فقال:

مُسْتَوْدِعٌ قِرطاسَه حِكَماً ... كالرَّوْضِ مَيَّزَ بينَه زَهَرُهُ
وكأنَّ أَحْرُفَ خَطِّهِ شَجَرٌ ... والشَّكلُ في أضعافها ثَمَرُه

ومما يستحسن في هذا المعنى بيت ندر لابن المعتز:

بِشَكْلٍ يُؤْمَنُ الإشكالُ فيه ... كأنَّ سُطورَه أغصانُ شَوْك

---

(١) العسكري، **المصدر السابق**، ص ١٣-١٦.

٣- نقص كفاءة الراوي باللغة أو عدمها

يروي العسكري[١]: أن مَنْ حَدَّثَ وهو لا يُفَرِّق بين الخطأ والصواب، فليس بأهل أن يُحمل عنه. حدثنا عبدُ الله بن الحارث عن يونس عن شهاب، أخبرني عبدُ الله بن ثعلبة: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم، مَسَحَ وجهه "من القُبْح"[٢]. قال أحمد: أخطأ وصحَّف، إنما هو "زَمن الفتح". ومن مناقب خلف الأحمر أنه من أفضل ما عدد من مناقبه أن قال:

لا يَهِمِ الحاءَ في القراءة بالخا ء ولا يأخذ إسنادَه عن الصُّحف

أنشد محمد لأبَّان اللاحِقِي، في رَجلٍ كان كُلَّما أخطأ فَقِيلَ له: هذا لا يجوز، قال: في هذا لغة[٣]:

يَكْسِرُ الشِّعْرَ وإنْ عاتَبْتَهُ في مُحَالٍ قال في هذا لُغَةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤- الخط والهجاء

يقول الأصفهاني[٤]: إن مُحَدِّثاً يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحب العَسَل في يوم الجمعة، وإنما كان يستحب الغُسْل فيه...

ويروي أيضاً في[٥]: أنه سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ فقال: "إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفهُ ولامهُ، واستقامت

---

(١) العسكري، **شرح ما يقع فيه...**، ص ١٧-١٨.

(٢) أ. ي. ونسنك، و ي. ب. منسنج، **المصدر السابق**، ج٥، ص٥٤.

(٣) العسكري، **المصدر السابق**، ص ٤٨.

(٤) الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص ٢. و: أ. ي. ونسنك، و ي. ب. منسنج، **المصدر السابق**، ج٤، ص٥١٤.

(٥) الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص ٤٥ وما بعدها.

سطوره، وضاهى صعودَه حدورُه، وتَفَتَّحَتْ عيونُه، ولم تشتبه راؤه ونونُه، وأشرق قرطاسُه وأظلمت أنقاسُه (المداد)، ولم تختلف أجناسُه، وأسرع إلى العيون تصوُّره..." كأنه حينئذ كما قيل:

إذا ما تَجَلَّلَ قرطاسَه ... وساوره القلمُ الأرقشُ
تَضمَّن من خطِّه حُلَّةً ... كنقش الدنانير بل أنقش
حروفاً تُعيدُ لعين الكليلِ ... نشاطاً ويقرؤها الأخفش

ووصف أحمد بن صالح من جارية خطَّاطة آلات كتابتها فقال:

"كأن خطَّها أشكالُ صورتها، وكأن مدادَها سوادُ شعرها، وكأن قرطاسَها أديمُ وجهها، وكأن قلمَها بعض أناملها، وكأن بيانها سحرُ مقلتها، وكأن سكِّينَها غنجُ لحظها، وكأن مقطَّها قلب عاشقها".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥- التصحيف والتحريف

يذكر الأصفهاني[١] سبب وقوع التصحيف في كتابة العرب: "هو أن الذي أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمةٍ، ولا احتاط لمن يجيء بعده، وذلك أن وضع لخمسة أحرف صورة واحدة وهي: الباء، والتاء، والثاء، والياء، والنون. وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن عليه التبديل... وقال أرسطو طاليس: كل كتابة تتشابهُ صور حروفها، فهي على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها، لأن ما في الخط دليل على ما في القول، وما في القول دليل على ما في الفكر، وما في الفكر دليل على ما في ذوات الأشياء".

---

(١) الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص ٢٧.

ثانياً: أسباب اجتماعية

١- الصَّمْتُ والوَحْدَة (العُزْلَة):

يذكر الجاحظ[١]، أن أبا عبيدة قال: إذا أدخلَ الرَّجلُ بعضَ كلامه في بعض فهو أَلفٌ، وقيل بلسانه لَفَفٌ[٢]. ويفسر الجاحظ السبب في هذا اللفف أن الإنسان إذا جلس وَحْدَهُ ولم يكن له من يكلِّمه، وطال عليه ذلك، أصابه لفَف في لسانه. وأنشد الراجز:

كأنَّ فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ من طُولِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وكان يزيد بن جابر، قاضي الأزارقة بعد المُقَعْطِل، يقال له الصَّموت؛ لأنه لما طال صمتُه ثَقُلَ عليه الكلام، فكان لسانُه يلتوي، ولا يكادُ يُبين، من طول التفكر ولزوم الصَّمت. ويرشدنا الجاحظ هنا إلى أنه من أراد أن يكون فصيحاً بليغاً، بعيداً عن الخطأ والانحراف في الكلام، عليه أن يتحلَّى بالخطابة، وعمودُها الدُّربة، وجناحاها رواية الكلام. ويؤكد الجاحظ هنا على أهمية الدربة في الكلام، لأن العرب كانوا يُروُّون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع اللسان، وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم. ثم يقول: "واللسان إذا كثر تقليبه رق ولان وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسا وغلظ"[٣].

---

(١) الجاحظ، **المصدر السابق**، ص ٣٨، ج ١. الصمت: عدم النطق، أو طول السكوت.

(٢) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: فائز محمد، مراجعة إميل بديع يعقوب، الطبعة ١، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٩٣م، ص ١١٠.

(٣) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ٦٢ و ٢٧٢.

- المنصور، وسمية، **عيوب الكلام دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب**، دولة الكويت، حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت، الرسالة الثامنة والثلاثون، الحولية السابعة، ١٩٨٦م، ص ٤٩-٥٠.

ثالثاً: أسباب نفسية

١- العِيُّ والحَصَر

يذكر الجاحظ[١] أن من أسباب الخطأ: العِيَّ والحَصَر. وقديماً ما تَعَوَّذُوا بالله من شرهما، وتضرَّعوا إلى الله في السلامة منهما. وقال النَّمِر بن تولب:

أعِذْنِي ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْسٍ أُعالِجها عِلاجا

وقال الهذلي:

ولا حَصِرٌ بِخُطبَتِهِ إذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ

وقال مَكِّيُّ بن سَوادة:

حَصِرٌ مِسْهَبٌ جريءٌ جبانٌ خَيْرُ عِيِّ الرجال عِيّ السُّكوتِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسأل الله عز وجل موسى بن عمران، عليه السلام، حين بعثه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالته، والإبانةِ عن حجَّته، والإفصاحِ عن أدلَّته، فقال حين ذكر العُقْدة التي كانت في لسانه، والحُبْسَة التي كانت في بيانه: ﴿**واحْلُلْ عُقْدَةً من لساني يَفقَهُوا قولي**﴾[٢].

وأنبأنا اللهُ تعالى عن تعلُّق فرعونَ بكل سبب، واستراحتِهِ إلى كل شَغَب، ونبَّهنا بذلك على مذهب كلِّ جاحد معاند، وكلِّ مُحتال مكايد، حين خبَّرنا بقوله: ﴿**أَمْ أنا خَيْرٌ من الذي هو مَهِينٌ ولا يكادُ يبين**﴾[٣]. يريد فرعون أن يتفضّل على موسى عليه السلام بأنه أفصح منه وأفضل بياناً.

---

(١) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ٣ وما بعدها.

(٢) سورة طه: ٢٧. والجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص٧.

(٣) سورة الزخرف: ٥٢. والجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص٧.

وقال موسى صلى الله عليه وسلم: ﴿**وأخي هَارونُ هُو أفصحُ مني لساناً فأرسِلْهُ مَعِيَ رِدءاً يُصَدِّقُني**﴾[1] و﴿**ويَضيقُ صَدْرِي ولا يَنْطَلِقُ لِسَانِي**﴾[2]، رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجّة، والمبالغة في وضوح الدَلالة؛ لتكون الأعناقُ إليه أمْيَلَ، والعقولُ عنه أفهمَ، والنفوسُ إليه أسرعَ، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة، ويَبْلغ أفهامهم على بعض المشقة.

وضرب الله عز وجل مثلاً لِعِيِّ اللسان ورداءة البيان، حين شبّه أهله بالنساء والولدان[3]: فقال تعالى: ﴿**أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾[4] أي في مخاصمة أعدائه لا يكاد يُفهم قوله.

٢ - اللُّثغة:

اللُّثغة: مرض لغوي يصيب بعضَ الناسِ عامتهم وخاصتهم. ولهذا نرى الجاحظ[5] يشير إليها ويتحدث عمن وصف بها قائلاً: "ولما علم واصلُ بنُ عطاء أنّه ألثغُ فاحش اللَّثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع... أنه كان داعيةَ مقالةٍ ورئيسَ نحلة". قال قطرب: أنشدني ضرار بن عمرو قولَ الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البُرَّ قمحاً في تصرُّفه ... وجانَبَ الراءَ حتَّى احتال للشَّعَرِ
ولم يُطِقْ مطَراً والقولُ يُعجِلُه ... فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المَطَرِ

قال وسألت عُثمان البُرِّي: كيف كان واصلٌ يصنع في العدد ... والشهور؟ فقال: ما لي فيه قولٌ إلا ما قال صفوان:

---

(١) سورة القصص: ٣٤.
(٢) سورة الشعراء: ١٣. والجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص٧.
(٣) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص١٢.
(٤) سورة الزخرف: ١٨.
(٥) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ١٤ و ٢١-٢٢.

مُـلَـقَّنٌ ملـهَمٌ فيما يُحـاوله جَـمٌّ خـواطـرُه جـوَّابُ آفـاقِ

وأنشدني ديسمٌ قال: أنشدني أبو محمد اليزيديّ:

وخَـلَّةُ اللفظ في اليـاءات إن ذُكِـرَت كخَـلَّةِ اللـفظ في اللامـاتِ والألـفِ
وخَـصْـلَة الـرَّاء فيها غيـرُ خـافيةٍ فـاعرِفْ مواقـعَها في القول والصُّـحُفِ

ويقول أيضاً[1]: رامَ أبو حذيفةَ إسقاط الراء من كلامه، وإخراجَها من حروف منطقِه؛ فلم يزل يكابد ذلك ويغالبُه، ويناضله ويـساجله، ويتـأتَّى لستَره والراحةِ من هُجْنَتِه، حتَّى انتظم له ما حاول، واتَّسق له ما أمَّل...

ولقد حدا الأمر ببعضهم إلى أن طلق أزواجه. ومنهم أبو رمادة طلق امرأتَه حين وجدَها لثغاء، وخاف أن تجيئه بولد ألثغ. فقال[2]:

لَـثغـاء تـأتـي بِحِـيفْس ألثـغِ تَمِيسُ في المَـوْشِـيِّ والمـصبَّـغِ

الحِيفْس: الولد القصير الصغير.

ويقول الجندي في هذا السياق[3]: "... وقد يرث الطفل هذه اللُّثغـات عـن آبائه، ويرثها من جيله، ثم يرثها منه جيل آخر، حتى تصبح اللُّثغة سنةً فيهم، بل تكون صواباً في جيل المستقبل، بينما هي نفسها في الجيـل الأول، كانـت آفـة نطقية محط ازدراء الناس واحتقارهم، والدليل على ذلك تحير علماء اللغة بـين

---

(١) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ١٥.

(٢) **المصدر السابق**، ج١، ص ٥٧.

(٣) الجندي، أحمد علم الدين، **اللهجات العربية في التراث**، بدون الطبعـة، الـدار العربيـة للكتاب: ليبيا-تونس، ١٩٧٨م، ص ٣٥٦/ القسم الأول.

اللغة واللُّثغة... وابن سيده لا يدري أن المرمريس- وهو الداهية- لغة مستقلة عن المرمريت أم لُثغة... وقد يمكن أن تتسم شخصية عظيمة باللُّثغة فتقتدي بها الطبقات الأخرى المحيطة بها وتقلدها أولاً في تلك اللُّثغة؛ وبعد مرور زمن يصبح هذا الانحراف أو تلك اللُّثغة مقبولة، وهذا يشبه (المودة) التي تسري من أعلى المجتمع إلى أدناه".

ويؤكد هذا القول ابن خلدون[1]: إن المغلوبَ مُولَعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيِّه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده. والعامة على دين الملِكِ. ولذلك ترى المغلوبَ يتشبَّهُ أبداً بالغالبِ في مَلبَسِه ومركَبِهِ وسلاحه في اتِّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله.

رابعاً: أسباب عضوية

١- سقوط الأسنان

يذكر الجاحظ[2] هنا أن سقوط بعض الأسنان يؤدي إلى الخطأ، وأن سلامةَ اللفظ من سلامة الأسنان: قال الشاعر:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة ١، دار البلخي: دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٢٨٣/ ج ٢.

وللمزيد عن اللثغة وأمراض الكلام يراجع:

- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، **علم اللغة النفسي**، عمادة البحث العلمي: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: السعودية، ٢٠٠٦م.
- بن عيسى، حنفي، **محاضرات في علم النفس اللغوي**، الطبعة ٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، ١٩٨٠م.
- منصور، عبد المجيد سيد أحمد، **علم اللغة النفسي**، الطبعة ١، عمادة شؤون المكتبات: جامعة الملك سعود: الرياض – السعودية، ١٩٨٢م.
- المنصور، وسمية، **المرجع السابق**.

(٢) الجاحظ، **المصدر السابق**، ج١، ص ٥٨-٦١.

قَـلَّـت قـوادحُـها وتـمَّ عديـدُها فـلـه بـذاك مَـزيَّـةٌ لا تنـكـرُ

ويروى "صحَّت مخارجُها وتمَّ حروفها". المزيَّة: الفضيلة. القادح: أُكال يقع في الأسنان. والإنسان إذا تمت أسنانُه في فمه، تمَّت له الحروف، وإذا نقصت نقصت الحروف.

قالوا: ولم يتكلم معاويةُ على منبر جماعةٍ منذ سقطَتْ ثناياه في الطِّست. وقال أبو الحسن المدائني: لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانَه بالذهب قال: "لولا المنابر والنِّساء، ما باليتُ متى سقطَتْ". وسقوط جميع الأسنان أصلَحُ في الإبانة عن الحروف، منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحدُ شطريها الشَّطر الآخر.

والآن ننتقل إلى الهدف الأخير من تحليل الأخطاء ألا وهو كيفية معالجة الأخطاء بشكل صحيح وإيجابي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سادساً: التطبيق العملي

إن لتحليل الأخطاء هدفين اثنين: أولهما لغوي وهو ما سبق بيانه آنفاً، وثانيهما تربوي وتطبيقي وهو ما سنعالجه فيما يلي. والهدف الأخير والنهائي من تحليل الأخطاء هو التطبيق العملي على الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون. وهذه الأخطاء لا بد من استئصالها إن أمكن وعلاجها بطرق شتّى. ولقد انبرى ثلة من العلماء القدامى لهذه المهمة يضعون القواعد، لكي يخففوا من وقوع الأخطاء عند المتعلمين والمتكلمين. ومن هؤلاء اللغويين التطبيقيين: ابن قتيبة، وابن مكي، والقلقشندي، والحريري، والبطليوسي، وغيرهم كثير. لقد بَـيَّـنُـوا القواعد العامة للهجاء والإملاء، وذلك لضبط اللغة وتصحيح الكتابة.

وفي هذا السياق يقول القلقشندي[١] "... لم يزل الشعراء يَلْهَجون بمدح أشراف الكُتَّاب وتقريظهم ويتغالون في وصف بلاغاتهم وحُسن خطوطهم. فمن أحسن ما مُدِح به كاتب قولُ ابن المعتز:

إذا أَخَذَ القِرْطَاسَ خِلْتَ يمينَهُ تُفَتِّحُ نَوْراً أو تُنَظِّمُ جَوْهَراً

وقال آخر:

يُؤَلِّفُ اللُّؤْلُؤَ المَنْثُورَ مَنْطِقُه ويَنْظِمُ الدُّرَّ بالأقلام في الكُتُب

ولله در القائل في ذلك يصف القلم[٢]

وأَخْرَسَ يَنْطِقُ بالمُحْكَمَات وجُثْمَانُه صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ في خُفْيَةٍ وبالشام مَنْطِقُه يُعْرَف

وقال علي رضي الله عنه: "الخط الحَسَنُ يزيد الحَقَّ وضوحاً". وكذلك أُولِعُوا بذَمِّ حَمَقَى الكُتَّاب، ولَهِجُوا يَهْجونهم في كل زمن. ومنه قول الشاعر في هجاء الكُتَّاب[٣]:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكاتبٍ أقلامُهُ مُعَوَّدَاتٌ بالغَلَطْ
يَكْشِطُ ما يَكْتُبُه ثم يُعِيدُ ما كَشَطْ

وفي هذا الخصوص؛ يقول ابن قتيبة في أدب الكاتب[٤]: الكُتَّاب يزيدون في كتابة الحرف ما ليس في وزنه، ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له،

---

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة بدون، ١٩٢٢م، ج ١، ص ٤٦-٤٧.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، ج ١، ص ٧.

(٣) انظر: **المصدر السابق**، ج ١، ص ٢٤.

(٤) ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، ص ٢١٣ وما بعدها، باب إقامة الهجاء.

ويسقطون من الحرف ما هو في وزنه، استخفافاً واستغناءً بما أُبقِيَ عما أُلقِيَ، إذا كان فيه دليلٌ على ما يحذفون من الكلمة. والعرب كذلك يفعلون، ويحذفون من اللفظة والكلمة، نحو قولهم: "لم يك" وهم يريدون "لم يكن" و "لم أُبَلْ" وهم يريدون "لم أُبَالِ"، ويختزلون من الكلام ما لا يتمُّ الكلام على الحقيقة إلا به، استخفافاً وإيجازاً، إذا عَرَفَ المخاطبُ ما يعنون به. وربما لم يُمْكِن الكتَّابَ أن يفصلوا بين المتشابهين بزيادةٍ ولا نُقصانٍ فتركوهما على حالهما، واكتفوا بما لم يدلُّ من متقدِّم الكلام ومتأخِّره مخبراً عنهما،

نحو قولك للرجل: "لن يَغْزُوَ"

وللاثنين "لن يَغْزُوَا"

وللجميع "لن يَغْزُوا"

ولا يُفْصَلُ بين الاثنين والواحد والجميع، وإنما يزيدون في الكتاب – فَرْقاً بين المتشابهين – حروف المدِّ واللِّين، وهي الواوُ والياءُ والألفُ، لا يتعدَّوْنَها على غيرها، ويبدلونها من الهمزة. ألا ترى أنهم قد أجمعوا على ذلك في كتاب المصحف وأجمعوا عليه في أبي جادٍ. وأما ما ينقصون للاستخفاف فحروف المد واللين وغيرها.

ولقد أفرد ابن قتيبة في كتابه هذا باباً خاصاً – فيما يزيد على مئة صفحة– لعلاج وتصحيح الأخطاء الشائعة والعامة، التي تعترض المتعلمين في الكلام، والكتابة، وخاصة الكلمات المُعَلَّة والمُشكِلة.

وكذلك ناقش ابن مكي في كتابه بعض قواعد الإملاء، تحت فصل "باب من الهجاء"[1]. فمن هذه الكلمات على سبيل الذكر لا الحصر، مثلاً:

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص ٢٤٩-٢٦٥.

كلمة ابن، وابنة، وكل اسم على ثلاثة أحرف؛ آخره ألف، فإن ألفه لا تخلو أن تكون منقلبة عن واو أو عن ياء، فإن كانت منقلبة عن ياء فاكتبه بالياء...إلخ.

وفي سياق حديثه عن الهمزة، يقول[1]: تكتب الهمزة ألفاً في أول الكلمة، سواء أكانت مفتوحة أم مضمومة أم مكسورة، نحو: أحد، أُبلم، إثمد. وإذا كانت آخراً وقبلها ساكن فلا تكتب لها صورة في الخط، نحو، المرء، والجزء. هذا هو الأحسن... إلخ.

ولقد ذكر الحريري[2] أيضاً بعض القواعد الإملائية لتصحيح الكتابة وتقويمها. حيث يقول: وقد عثرت لجماعة من الكبراء، على أوهام في الهجاء، عدلوا في بعضها عن رسومه المقررة، ولم يفرقوا في بعضها بين مواقع اللفظة المستطردة، فرأيت أن أكشف عن عوارها، وأنبه على التعري من عارها، لتتنوع فوائد هذا الكتاب، وتنجلي به أكثر الشُبه عن الكتاب.

ومن هذه الأمثلة التي يشرحها ويصححها مثلاً: كلمة الرحمن. وكذلك يكتبون "الرحمن" بحذف الألف في كل موطن، وإنما تحذف الألف منه عند دخول لام التعريف عليه، فإن تعدى منها كقولك: يا رحمان الدنيا والآخرة أُثْبِتَت الألف فيه".

وكذلك بَيَّنَ البطليوسي[3]، قواعد الإملاء والهجاء في أحد فصول كتابه؛ فيقول مثلاً: "تُكتبُ إذا بالألف، ولا تكتب بالنون، لأن الوقوف عليها بالألف. وهي تشبه النون الخفيفة في مثل قوله تعالى: ﴿**لَنَسْفَعاً بالنَّاصية**﴾[4] و"**ليكوناً من الصاغرين**"[5]. إذا أنت وقفت على الألف، وإذا وصلت، وصلت بنون".

---

(١) ابن مكي، **المصدر السابق**، ص ٢٥٤.

(٢) الحريري، **المصدر السابق**، ص ٦٩٨ وما بعدها.

(٣) البطليوسي، أبو محمد عبد الله، **الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٩٩٥م، المجلد١، ص ٢٣١ وما بعدها.

(٤) سورة العلق: ١٥.

(٥) سورة يوسف: ٣٢.

الخاتمة

من خلال عرض هذا الموضوع، تبيَّن لنا أن اللغويين العرب القدامى كانوا رواد وأساتذة وآباء هذه النظرية بلا جدال. ولم يسبقهم إليها أحد من قبل. ولم يكن هذا الموضوع جديداً في الدراسات اللغوية الحديثة، بل إنه قديم قدم الدراسات العربية منذ القرن الثاني للهجرة. وأول كتاب ظهر في هذا المجال هو كتاب "ما تلحن فيه العامة" للكسائي، المتوفى سنة ١٨٩هـ. ويُعد هذا الكتاب باكورة الأعمال اللغوية التطبيقية في تحليل الأخطاء في اللغة العربية.

لقد جمع العلماء العرب القدامى الأخطاء عن طريقين: أولهما شفوي، وثانيهما كتابي. وجُمِعَت المادة اللغوية من عامة الناس وخاصتهم. وكذلك قاموا بإحصائها بشكل دقيق. ولقد حددوا الأخطاء التي درسوها بشكل واضح ودقيق؛ ومن ثم قاموا بدراستها.

وكذلك صنف اللغويون العرب القدامى الأخطاءَ في مؤلفاتهم بدقة بالغة؛ فها هو الزبيدي مثلاً، يقول في كتابه لحن العوام: "كنا قد ألَّفْنَا فيما أفسده عَوَامُّنا وكثير من خَوَاصِّنا، كتباً قَسَّمناها على ثلاثة أقسام: قسم غُيِّرَ بناؤه وأُحيل عن هيئته، وقسم وُضِع في غير موضعه وأُريد به غيرُ معناه، وقسم خُصَّ به الشيءُ وقد يَشْرَكهُ فيه ما سواه".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد وصف ابن الجوزي الخطأ بقوله: "واعلم أن غلط العامة يتنوع: فتارة يضمون المكسور، وتارة يكسرون المضموم، وتارة يمدون المقصور، وتارة يقصرون الممدود، وتارة يشددون المخفف، وتارة يخففون المشدد، وتارة يزيدون في الكلمة وتارة ينقصون منها وتارة يضعونها في غير موضعها، إلى غير ذلك من الأقسام.

وعملوا على شرح الأخطاء بشكل دقيق وعزوها إلى مضانها الرئيسة. مبينين أسبابها ما أمكن ذلك. هل هي بسبب اللغة الأم أمْ بسبب اللغة الثانية التي يكتسبها الطالب؟ أم أن هناك أسباباً أخرى يمكن بيانُها وذكرُها. فالجاحظ مثلاً، تحدث عن بعض أسباب الأخطاء الهامة جداً، التي يرتكبها متعلمو اللغة. وكذلك تطرق إلى الحديث عن إستراتيجيتي السهولة والتحجر في اللغة الثانية. ولقد أفرد العسكري

كتاباً مستقلاً لشرح الأخطاء، أسماه: "شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف". ومن خلال مطالعتنا لهذه المؤلفات وجدنا أن أسباب الأخطاء كثيرة ومتنوعة. ويمكن أن تعود إلى عدة أسباب: **لغوية**؛ مثل: أخذ العلم من الصُحُف، وعدم نَقْط المصاحف والإعجام والترقين والشَّكل، ونقص كفاءة الراوي باللغة أو عدمها، والخط والهجاء، والتصحيف والتحريف. **واجتماعية**؛ مثل: الصَّمْتُ والوَحْدَة (العُزْلَة). و**نفسية**؛ مثل: العِيّ والحَصَر، واللُّثغة. و**عضوية**؛ مثل: سقوط الأسنان، إلخ.

أما الهدف الأخير من تحليل الأخطاء هو التطبيق العملي والتربوي على الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون. وهذه الأخطاء لا بد من استئصالها إن أمكن وعلاجها بطرق شتى. ولقد انبرى ثلة من العلماء القدامى لهذه المهمة يضعون لها القواعد، ليخففوا من وقوعها عند المتعلمين والمتكلمين. ومن هؤلاء اللغويين التطبيقيين: ابن قتيبة، وابن مكي، والقلقشندي، والحريري، والبطليوسي، وغيرهم كثير. لقد بَـيَّـنُـوا القواعد العامة للهجاء والإملاء، وذلك لضبط اللغة وسلامتها حديثاً وكتابة.

وبناء على هذا؛ نقول: إن اللغويين العرب القدامى كانوا هم السباقين إلى هذا العلم اللساني[1]. ولم يتأثروا بغيرهم من اللغويين في هذا الميدان. وفي هذا الصدد يقول روبينز[2] (Robins): "إنه من المؤكد أن اللغويين العرب القدامى طوروا نظرتهم الخاصة في نظامهم اللغوي، ولم يطبقوا النظام اللغوي اليوناني على لغتهم أبداً كما هو الحال في النحو اللاتيني".

ونستنتج من هذا كله، أن علماء اللغة العربية درسوا الأخطاء بشكل علمي ومنهجي دقيق، ولم يتأثروا أو يقلِّدوا غيرهم من اللغويين السابقين

---

(1) Anwar, M, S, The Legitimate Fathers of Speech Errors, In Versteegh, C, H, M, et al, **The History of Linguistics in the Near East**, Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 1983.

- Fromkin, V, A, Grammatical Aspects of Speech Errors. In Newmeyer, F, J, (ed.), **Linguistics: The Cambridge Survey 2:** 117-138. The Cambridge University Press, 1988.

(2) Robins, R, H, **A Short History of Linguistics,** London: Longman, 1990, p111.

لهم. وتشفع لهم أعمالهم اللغوية الأصيلة، ودراساتهم الكثيـرة فـي هـذا المجال. أضف إلى ذلك، أن علماء اللغة في العصر الحديث من الغربيين وغيرهم، ساروا على هَدْي منهج العلماء العرب القدامى في هذا المضمار، من دون أن يُصرّحوا بذلك[1]. ولله الحمد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(1) Fromkin, V, A, (ed), **Speech Errors as Linguistic Evidence,** The Hague: Mouton, 1973.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- القرآن الكريم.

- أربعة كتب في التصحيح اللغوي، **للخطابي، ولابن بري، ولابن الحنبلي، ولابن بالي**، تحقيق حاتم صالح الضامن، الطبعة ١، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ١٩٨٧م. (وهذه الكتب هي: ١- إصلاح غلط المُحَدِّثِين للخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُسْتي الخطابي الشافعي(٣٨٨هـ)، ٢- غلط الضعفاء من الفقهاء - لابن بري، أبي محمد عبد الله بن أبي الوحش بَري بن عبد الجبار بن بري المقدسي (٥٨٢هـ)،

- سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، لابن الحنبلي، رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلي (٩٧١هـ)، ٤- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لابن بالي، علي بن بالي القسطنطيني (٩٩٢هـ).

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (٣٦٠ هـ)، **التنبيه على حدوث التصحيف**، حققه: محمد أسعد طلس، راجعه: أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي، الطبعة ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.

- آل خليفة، فاطمة إبراهيم، **التصحيف والتحريف دراسة في التغير الدلالي**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، دولة الكويت، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الرسالة ٢٣٣، الحولية ٢٦، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- براون، هـ دوغلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة: عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٤.

- البطليوسي، أبو محمد عبد الله (٥٢١هـ)، **الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٩٩٥م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٣٠هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: فائز محمد، مراجعة: إميل بديع يعقوب، الطبعة ١، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٩٣م.

- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، **الفصيح**، تحقيق يعقوب بارث، ليبزغ، ١٨٧٦.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة ٧، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٨م.

- جاسم، جاسم علي وجاسم، زيدان علي، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، **مجلة التراث العربي**، العددان ٨٣-٨٤، السنة الحادية والعشرون، أيلول ٢٠٠١م.

- جاسم، جاسم علي، **في طرق تعليم اللغة العربية للأجانب**، الطبعة الثانية، كوالالمبور: إيه. إيس. نوردين. ٢٠٠١م.

- جاسم، زيدان علي، **دراسة في علم اللغة الاجتماعي**، مراجعة وتدقيق زيد علي جاسم وجاسم علي جاسم، الطبعة ١، كوالالمبور: بوستاك أنتارا، ١٩٩٣م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- جاسم، زيدان علي، علم اللغة الاجتماعي: نشأته وموضوعه، **مجلة الدراسات العربية والإسلامية**، بروني دار السلام، المجلد ٣، العدد ٣، نوفمبر ١٩٩٢.

- الجندي، أحمد علم الدين، **اللهجات العربية في التراث**، الطبعة بدون، الدار العربية للكتاب: ليبيا-تونس، ١٩٧٨م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، الخصائص، الطبعة الثالثة، حققه: محمد علي النجار، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل و أحمد رشدي شحاتة عامر، الطبعة ١، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ٢٠٠٠م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧هـ)، **تقويم اللسان**، حققه وقدم له: عبد العزيز مطر، الطبعة ١، دار المعرفة: القاهرة، ١٩٦٦م.

- الحريري، القاسم بن علي بن محمد (٥١٦هـ)، **درة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيق وتعليق: عبد الحفيظ فرغلي على القرني، الطبعة ١، دار الجيل: بيروت، ومكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.

- الحفناوي، جلال السعيد، "الهند في رحلة ابن بطوطة: دراسة لغوية" **مجلة ثقافة الهند**، نيودلهي: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، م٥٦، ع٢، (٢٠٠٥م)، ١٢-١٢٧.

- ابن حنبل، أحمد (٢٤١هـ)، **مسند أحمد**، القاهرة، ١٣١٣هـ.

- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة ١، دار البلخي: دمشق، ٢٠٠٤م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن الإشبيلي (٣٧٩ هـ)، **الزيادات على كتاب إصلاح لحن العامة بالأندلس**، دراسة ونصوص: عبد العزيز الساوري، الطبعة ١، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي، ١٩٩٥م.

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج (٣٧٩هـ)، **لحن العوام**، تحقيق: رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (٣٤٠هـ)، **الإبدال والمعاقبة والنظائر**، تحقيق ودراسة: فوزي يوسف الهابط، دار الولاء للطبع والتوزيع- شبين الكوم: مصر، ١٩٩٣م.

- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحق (٢٤٤ هـ)، **إصلاح المنطق**، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة ٣، دار المعارف بمصر، ب. ت.

- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٤هـ)، **الكتاب**، علق عليه إميل بديع يعقوب، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (٩١١هـ)، **التطريف في التصحيف**، تحقيق: علي حسين البواب، الطبعة ١، دار الفائز للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

- السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ)، **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٧م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- صيني، محمود إسماعيل و الأمين، إسحاق محمد، تعريب وتحرير، **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء**، الطبعة ١، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض: السعودية، ١٩٨٢م.

- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (٣٥١هـ)، **الإبدال**، حققه وشرحه ونشر حواشيه الأصلية وأكمل نواقصه: عزالدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٦٠م.

- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (٣٨٢هـ)، **تصحيفات المحدثين**، دراسة وتحقيق: محمود أحمد مِيَره، الطبعة ١، المطبعة العربية الحديثة: القاهرة، ١٩٨٢م.

- العسكري، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، تحقيق: عبد العزيز أحمد، الطبعة ١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٣م.

- العسكري، **لحن الخاصة**، تحقيق: عبد العزيز أحمد، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، **علم اللغة النفسي**، عمادة البحث العلمي: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٦م.

- عيد، محمد، **النحو المصفى**، الطبعة ١، عالم الكتب: القاهرة، ٢٠٠٥.

- عيد، محمد، **في اللغة ودراستها**، عالم الكتب: القاهرة، ١٩٧٤.

- بن عيسى، حنفي، **محاضرات في علم النفس اللغوي**، الطبعة ٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، ١٩٨٠م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (٣٥٦هـ)، **الأمالي**، الطبعة بدون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، **أدب الكاتب**، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد الدالي، الطبعة ١، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.

- ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان، ١٩٢٥م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد (٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، الطبعة بدون، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٢م.

- الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة (١٨٩هـ)، **ما تلحن فيه العامة**، حققها وقدم لها وصنع فهارسها: رمضان عبد التواب، الطبعة ١، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢ م.

- أ. ي. ونسنك، و ي. ب. منسنج، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٩م.

- ابن مكي، أبو حفص عمر بن خلف الصقلي (٥٠١هـ)، **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان**، قدم له وقابل مخطوطاته وضبطه: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

- منصور، عبد المجيد سيد أحمد، **علم اللغة النفسي**، الطبعة ١، عمادة شؤون المكتبات: جامعة الملك سعود: الرياض، ١٩٨٢م.

- المنصور، وسمية، **عيوب الكلام دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة الثامنة والثلاثون، الحولية السابعة، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

- ابن هشام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي الإشبيلي (٥٧٧هـ)، **المدخل إلى تقويم اللسان**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الطبعة ١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المراجع الأجنبية:

- Anwar, M, S, The Legitimate Fathers of Speech Errors, In Versteegh, C, H, M, et al, **The History of Linguistics in the Near East**, Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 1983.

- Corder, S, P, The Significance of Learners' Error, **IRAL 5**: 161-170, 1967.

- Corder, S, P, Idiosyncratic Dialects and Error Analysis, **IRAL 2**: 151,1971.

- Corder, S, P, **Introducing Applied Linguistics**, Harmondsworth: Penguin, 1973.

- Corder, S, P, Error Analysis. In Allen, J, P, B, & Corder, S, P, (eds.). **Teachniques in Applied Linguistics**, Oxford: Oxford University Press, 1974.

- Corder, S, P, **Error Analysis and Interlanguage**, Oxford: Oxford University Press, 1981.

- Fries, C,C, **Teaching and Learning English as a Foreign Language**, An Arbor: Wahr, 1945.

- Fromkin, V, A, Grammatical Aspects of Speech Errors, **In** Newmeyer, F, J, (ed.) **Linguistics: The Cambridge Survey** 2: 117-138, The Cambridge University Press, 1988.

- Fromkin, V, A, (ed), Speech Errors as Linguistic Evidence, The Hague: Mouton, 1973.

- James, C, **Contrastive Analysis**. London: Longman, 1980.

- Jassem, J, A, **Study on Second Language Learners of Arabic: An Error Analysis Approach**, Kuala Lumpur: A,S,Noordeen, 2000.

- Lado, R, **Linguistics Across Cultures**, An Arbor: University of Michigan Press, 1957.

- Robins, R, H, **A Short History of Linguistics**, London: Longman, 1990.

- Selinker, L, Interlanguage. **In** Richards, J, C, (ed.), **Error Analysis: Perspectives of Second Language Acquistion**, London: Longman, 1972.

- Selinker, L, CA/ EA/ IL: Earliest Experimental Record, **IRAL 27** (4): 267-291, 1989.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة الناشئ الأكبر في مدح الرسول الأكرم ونسبه: دراسة فنية

د. ثناء نجاتي عياش

الجامعة الهاشمية- الزرقاء

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة قصيدة الشاعر الناشئ الأكبر في مدح الرسول الأكرم ونسبه: دراسة فنية.

وتطرقت في أثناء ذلك إلى تحليل الصور المبنية على التشبيه، وتبادل المدركات بالاستعارة، والكناية، وتراسل الحواس.....إلخ.

وغلب على هذا البحث الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري، وذلك باستقراء بنية النص الداخلية؛ لإبراز ما فيه من مواطن الجمال والتميز.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقدمة:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل قصيدة الشاعر الناشئ الأكبر* في مدح الرسول – عليه السلام – ونسبه الشريف، وأصل هذه القصيدة مخطوطٌ في مكتبة المتحف البريطاني، عثر عليه الدكتور يوسف بكار في عام ١٩٧٤، ثم قام بنشرها في مقالٍ له في مجلة "مجمع اللغة العربية الأردني" في عام ١٩٧٩م.

وتتكون هذه القصيدة – كما يقول الدكتور يوسف بكار – من قسمين اثنين[١]: أولاهما في مدح الرسول – عليه السلام – وذكر بعض الأحداث الكونية التي سبقت ميلاده – عليه السلام – والأحداث التي تزامنت مع بعثته – عليه السلام – سارداً في أثناء ذلك بعض المعجزات الحسية التي أيّد بها الله – سبحانه وتعالى – محمداً عليه السلام، وختمها بالحديث عن معجزته الخالدة على مرّ الأيام (القرآن الكريم).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

* هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعروف بابن شرشير الملقب بالناشئ الأكبر تمييزاً له عن الناشئ الأصغر، ولد في الأنبار، وأقام في بغداد، ثم رحل إلى مصر وتوفي فيها (– ٢٩٣ هـ). كان متعدد المواهب؛ فهو ناقد ومتكلم ونحوي وعروضي وشاعر من الشعراء المجيدين وهو في طبقة ابن الرومي والبحتري. ولمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٣، ص ٩١ – ٩٣. والزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ج٤، ص ١١٨.

ود. بكار، يوسف، "**قصيدة الناشئ الأكبر في مدح النبي ونسبه**"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الثالث والرابع، سنة ١٩٧١، ص ٧٦ – ٨٣.

(١) السابق، ٨٢.

أمّا القسم الثاني فخصّصه للحديث عن نسب الرسول -عليه السلام- بدأه بأبيه عبد الله وختمه بآدم – عليه السلام – وتتبّع في أثناء ذلك سلسلة نسبه – عليه السلام – فرداً فرداً مبرزاً مناقبهم ومآثرهم، ليخلص في النهاية إلى أنه – عليه السلام – ورث خصال هؤلاء جميعاً؛ لذلك جاء كما وصفه: أكرم منخب من أكرم المناخب، أي مصداقاً لقوله – عليه السلام-: "إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(١) وقوله أيضاً: "فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً"(٢).

ويُذكّرنا القسم الثاني من هذه القصيدة بصنيع السيد الحميري* (١٧٣ هـ) صاحب القصيدة المذهّبة في مدح عليّ بن أبي طالب ومطلعها:(٣)

هلاّ وقفتَ على المكانِ المُعشب بين الطويلعِ فاللوى من كَبكَبِ

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، (٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م): **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، دار النصر للطباعة، ١٩٦٩، ج١، ص ١٣٠.

(٢) السابق، ج١، ص ١٣٢.

* إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري (١٧٣ هـ) من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، خصص معظم شعره في مدح آل البيت وهجاء خصومهم، ولمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص، ٣٤٣ والزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج١، ص ٣٢٢، وكحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣، بيروت، ج١، ص ٣٧٧

(٣) الحميري، إسماعيل بن محمد (١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م) **ديوانه**، ط١ ، دار صادر، بيروت ١٩٩٩، ص٣٤.

تتبّع فيها سيرة عليّ بن أبي طالب ومناقبه، وتحدّث فيها كذلك عما يُنسب إليه من كرامات، وضمّنها حديثاً عن بعض ملامح سيرة الرسول –عليه السلام – ويمكن عدّ قصيدة السيد الحميري "من أولى المحاولات لنظم أجزاء من السيرة النبوية شعراً، لولا أن الهدف الأساسيّ الذي كان يتوخّاه الشاعر لم يكن الحديث عن سيرة الرسول – عليه السلام – وإنما عن مناقب عليّ بن أبي طالب"[1] .

ومن الأسباب التي شجعتني على دراسة قصيدة الناشئ الأكبر؛ أنها تمثّل لبنةً من سلسلة القصائد التي قيلت في مدحه – عليه السلام – لتقدمها إذ توفي الشاعر في (٢٩٣ هـ)، وتميّزت هذه القصيدة بأن المديح النبوي جاء فيها خالصاً له – عليه السلام – ولنسبه الشريف، ولم يتحدث فيها الشاعر عما اعتدنا رؤيته في قصائد المديح النبوي من المقدمة الغزلية ووصف الناقة أو الرحلة ... إلخ. فهذه القصيدة منذ بدايتها حتى نهايتها تحدثت عن موضوع واحد فقط. كما أن مديح الشاعر للرسول – عليه السلام – جاء في وقت انصرف فيه معظم الشعراء عن هذا النوع من الشعر إلى مديح الخلفاء والقادة والأمراء... إلخ.

أما ثاني الأسباب فهو وصف ابن كثير لهذه القصيدة بأنها "تدل على فضيلته (الشاعر) وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه

---

(١) مكي، محمود علي، **المدائح النبوية**، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩١، ص ٧١.

وحفظه، وحسن لفظه واضطلاعه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره، وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحره"[1] وهذا ما سيحاول هذا البحث تجليته.

ومع أن الدكتور يوسف بكار يرى أن القسم الثاني من القصيدة أقرب إلى النظم التعليمي، إلا أنه أقرّ أن القصيدة لا تخلو من ومضات الشاعرية ولمعانها[2]. وجاء هذا البحث ليبرز مواطن الجمال في هذه القصيدة، مستفيداً من رأي عبد القادر القط الذي يرى أنّ من دلائل نجاح الشعراء استفادتهم من طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب...إلخ في قصائدهم وهذا يقتضي إبراز وسائل التعبير الفني التي يستعينون بها من مثل: التضاد والمقابلة والجناس للتعبير عن جانب من جوانب تجربتهم الشعرية[3]، وإبراز قدرتهم على تجسيد الأشياء المجردة في صورة المحسوس المرئي، وإكساب الأمور المعنوية صفات الكائن الحي؛ لأن "دراسة الصورة مجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة"[4].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن كثير (٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣م): **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص ٨١، **والبداية والنهاية**: تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج٢، ص ١٨٤.

(٢) بكار، يوسف **"قصيدة الناشئ الأكبر في مدح النبي ونسبه"**، ص ٨٣.

(٣) القط، عبد القادر، **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر**، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٣٩٢.

(٤) عباس، إحسان، **فن الشعر**، ط١، دار صادر ودار الشروق، عمان، ص ٢٠٠.

وآمل أن يكون هذا البحث حقق المأمول منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله.

بدأ الشاعر قصيدته باستهلالٍ أبان فيه عن غرضه من مدح الرسول – عليه السلام – اتّضح من قوله:

مدحتُ رسولَ اللهِ أبغي بمدحهِ وفورَ حظوظي من كريمِ المواهبِ
مدحتُ امرأً فاقَ المديح موحّداً بأوصافه من مُبعدٍ ومقاربِ
نبيٌّ تسامى في المشارقِ نورُه فلاحت هواديه لأهلِ المغاربِ

فهو يأمل في نيل رضى الله سبحانه وتعالى، وهذا المطلب مما اعتاد شعراء المديح النبوي على تضمينه في قصائدهم فشعر المديح النبوي أضحى وسيلة يتقرّب بها الشعراء من الله؛ وأملهم الفوز بالجنة، بفضل شفاعة الرسول– عليه السلام– لهم[1]؛ ولذلك ترك الناشئ الأكبر لإيجاز القصر (وفور حظوظي) الإبانة عن غرضه، إذ ينضوي تحت هذا القول كل أنواع الخير التي يمكن للإنسان أن يطلبها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكرر الفعل (مدحت) من باب تأكيد المعنى، وأظهر المسند إليه بتعبيره بصيغة المتكلم ليبين أنه يريد الخير لنفسه بمدحه عليه السلام، فمدحه للرسول – عليه السلام – لن يزيده – عليه السلام – شيئاً بدليل وصفه له بامرئ فاق المديح.

وأعطى التعبير بالفعل المضارع (أبغي) فكرته استمراراً فهو لا يريد خيراً مؤقتاً سرعان ما يزول، وينحصر مفعوله في عصره، فهو يريد الخير الذي يدوم، وتحقق ما تمناه بدليل أن قصيدته هذه خلّدته.

---

(١) شبيب، غازي، **فن المديح النبوي في العصر المملوكي**، ط١، المكتبة العصرية، ١٩٩٨، ص ٣٦.

كما أنه عبّر بصيغة فعيل (كريم) لإفادتها الثبات والملازمة ليكنّي عن ثقته بنيله ما تمنّى؛ لأنه يطلب من كثير العطاء والمواهب، وإذا كانت الهبة (بصيغة المفرد) تدل على العطاء بلا منّة وبلا حدود، فكيف بجمعها (المواهب)! ولذلك جاءت صيغة منتهى الجموع لتتمم هذا المعنى، كما أن قوله (وفور) يدل على الزيادة والكثرة.

وتضمّن المقطع الأول من القصيدة وصفين له – عليه السلام – فهو رسول ونبي في الوقت ذاته، ولذلك صرّح بذكره – عليه السلام – بنسبته إلى الله – سبحانه وتعالى – بقوله (رسول الله) وفي هذا تعظيم لشأنه عليه السلام، ثم عظّمه ثانية بتنكيره بقوله (امرأ– نبي) وبهذا يكون الشاعر كرر الحديث عن الرسول مرة بلقبه ومرة بتنكيره ومرة ببيان وظيفته (مهمته).

ودلّ الطباق (مبعد ومقارب) على تفرّد صفاته – عليه السلام – وجمعه بين كل صفات الفضل؛ ولذا لا نستغرب أن يصوّر الشاعر نفسه عاجزاً عن الإحاطة بوصفه – عليه السلام – فهو كما قال (فاق المديح)، فمهما قال فيه يبقى مقصّراً، فكيف يستطيع العاجز وصف الضياء الذي عمّ الكون ببعثته، وكأن الشاعر – بطريق غير مباشر – يعلي من شأنه هو أيضاً؛ لأنه استطاع على الرغم من تقصيره ضمان الخلود لشعره الذي مدح أو قارب فيه مدح عظيم الشأن عليه السلام .

وتضمّن البيت الثالث صورة مفردة معقّدة وهي كما يقول صالح أبو إصبع تشتمل على أكثر من خرق أسلوبي[1]، عمادها الصورة

---

(١) أبو إصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٨٩.

الحسية البصرية الضوئية أولاً ثم الحركية ثانياً، فهو شبّه الدين الإسلامي الذي جاء به عليه السلام بالنور الذي بزغ في مشارق الأرض ثم أخذ ينير الظلام حوله بالتدريج، فإذا به يمتدّ حتى غمر الكرة الأرضية، وصيغة تفاعل (تسامى) توحي بذلك.

ثم شبّه نوره – عليه السلام – الذي بدأ ينير ظلام مشارق الأرض بكائنٍ حيٍّ يبرز منه عنقه، فإذا برز العنق فهذا مؤشرٌ على ضرورة امتداده ووصول الجسم كاملاً، فإذا ما وصل الجزء إذن وصل الكل، وفي هذا التصوير كناية عن انتشار هذا الدين وانتصاره، وكناية كذلك عن عموم رسالة محمد – عليه السلام – وصيغتا الجمع (مشارق ومغارب) تؤكدان هذا المعنى، كما أن الطباق المتحصّل عنهما يصوّر تجاوب المشرق والمغرب مع رسالته عليه السلام. واستمد الشاعر تصويره السابق من مصدرين مختلفين (الإنسان – الجماد) (النبي – النور) وأسهم هذا الاختلاف في إيضاح الصورة وتقريرها في ذهن السامع.

وتميّز الاستهلال السابق بكثرة الألفاظ الدالّة على الجموع (حظوظ – المواهب– أوصاف – المشارق – المغارب) للدلالة على علوّ الممدوح وليشعر بأهميته.

وبدت شخصية الشاعر حاضرة بقوةٍ في أبياته السابقة، فهو الراوي للحدث وفي الوقت ذاته هو الشاعر الذي يحاول جاهداً الارتقاء إلى

مستواه عليه السلام؛ ولذلك برزت ضمائر المتكلم (التاء واليـاء) فـي أكثـر من موضع.

ثم اتّخذ الشاعر دور السارد للحدث بحديثه عـن سلسلةٍ مـن الأحـداث الكونية التي تزامنت مع ميلاده – عليـه السلام – والتـي سـبقت بعثتـه – عليه السلام – متّبعاً السرد التـاريخي فـي قـصّ تلـك الأحـداث، وصـوّر نفسه معاصراً لتلك الأحـداث إنمـا عايـشها لحظـة بلحظـة بـدليل إسـناده الحدث إلى الضمير الدّال على جمع المتكلم (أتتنا) في قوله:

أتتنا بـه الأنبـاءُ قبـلَ مجيئـه وشاعت به الأخبارُ فـي كـلِ جانـبِ
وأصبحت الكُهّان تـهتفُ باسمـه ويُنفى بـه رَجـم الظـنون الكـواذبِ

مستعيناً بالجمل الخبرية ليعبّر مـن خلالهـا عمّـا تناقلـه النـاس عـن قرب بعثته – عليه السلام – وأسند الحدث إلى الأنبـاء والأخبـار مـن بـاب المجاز العقلي؛ ليظهـر أن خبـر بعثتـه – عليـه السلام – لـم يعلـم بـه الأحياء فقط، إنما ها هو غير العاقل أيضاً يشعر به ويتحدّث عنه.

وجاء ضمير الجمع في قولـه (أتتنـا) ليـوحي بـأن هـذا الأمـر كـان جماعياً، ولم يكن خاصّاً بفرد معين، وفي سـبيل تأكيـد هـذا المعنـى اختـار الصيغة الدالة على العموم (كل) وفـي هـذا إشـارة ضـمنية إلـى أن خبـر رسالته – عليه السلام – لـم يكـن حـدثاً عاديـاً؛ ولـذلك صـوّر الكهـان يبشرون بنبوته – عليـه السلام – ووصـف الظنـون بـالكواذب؛ ليبـين أن رسالته – عليه السلام – سـتقف بالمرصـاد لكـل أشـكال الكـذب والظلـم ...إلخ. وجاءت صيغة منتهى الجموع (كواذب) لتبرز هذا المعنى.

وفي سبيل تأكيد هذا المعنى صوّر الأصنام تنطق وتعلن براءتها من الكذب، مستوحياً ما يُروى في هذا المجال من "انتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافعٍ لها عن أمكنتها"[1] في قوله:

وأُنطقَت الأصنامُ نطقاً تبرّأت ... إلى اللهِ فيه من مقالِ الأكاذبِ
وقالت لأهلِ الكفرِ قولاً مبيّناً ... أتاكم رسول من لؤيّ بن غالبِ

وفي تصويره الأصنام بكائنٍ حي ينطق ويعلن براءته من الكذب، تعريض بالمشركين الذين لم يسارعوا إلى الإيمان به – عليه السلام – فإذا كان غير العاقل تفاعل إيجابياً مع رسالته فمن باب أولى أن يتفاعل العاقل (المشركون) مع نبوّته – عليه السلام – هذا من جهة، ومن جهة أخرى هذا أبلغ رد على المشركين الذين يدّعون أنهم يعبدون الأصنام؛ لتقربهم من الله فها هي معبوداتهم تعلن براءتها من الكذب، وتقرّ ببعثته عليه السلام. وأكّد الفعل بمصدره (نطقت – نطقاً وقالت – قولاً) ليقوي هذا المعنى ويبرزه، ووصف القول بالمبيّن ليعرّض بالمشركين مرة أخرى.

إذن أبان الشاعر عن أثر ميلاده –عليه السلام– وبعثته على أهل الأرض بتصويره كلّ من على الأرض عاقل (الكهان) وغير العاقل (الأصنام) يدرك بأن حدثاً غير عادي حدث للكون، فإذا كان هو شأن أهل الأرض فما شأن أهل السماء؛ لذا رنا ببصره نحو السماء، فإذا به يصوّرها بصورة حسية – بصرية – حركية – ضوئية في قوله:

ورامَ استراقَ السمع جنٌّ فَزَيّلت ... مقاعدَهم منها رجومُ الكواكبِ

---

(١) البيهقي، **دلائل النبوة**، ج١، ص١٩.

بتصويره السماء مليئة بالشهب المتساقطة التي تتابع الجن الذين كانوا يسترقون السمع، وأحسن الشاعر اختياره لألفاظه بحيث صوّر مقاعد الجن أُزيلت من أماكنها، كناية عن استئصالها ولم يعد لها شأن يُذكر فبزوال المقاعد لم تعد تجلس لتسترق السمع.

وفي اختياره لكلمة زيّلت ما يوحي بصعوبة تزحزح المقاعد من أماكنها كناية عن تمسك الجن أو الشياطين بمقاعدهم لحرصهم على استراق أخبار السماء، لكن الرجم كان أقوى من قدرتها على الاحتمال؛ لذا تركت أماكنها، وأسند الحدث (الرجم) إلى الكواكب ليبيّن أن كل ما في الكون يحارب الشر وأدواته المتمثّلة هنا في الجن، ومما لا شك فيه أن ظلال قوله تعالى حكاية عن الشياطين: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**﴾[الجن: ٨ – ٩]، طافت بذهن الشاعر في تصويره السابق، واستوحى كذلك ما قصّته علينا كتب السيرة في هذا المجال.(١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وربط الشاعر بين تجاوب السماء والأرض مع ميلاده – عليه السلام – بتصويره الأصنام في الأرض تعلن إقرارها بنبوّته – عليه السلام – وبتصويره مقاعد الجن تُزال في السماء، إذن صوّر العدوين اللدودين (الأصنام – الشياطين) لهذا الدين يتأثّران بميلاده عليه السلام.

وكان لحركة الضمائر والأفعال في تصويره السابق أكبر الأثر في إبراز عظمة الحدث الذي شهده الكون ببعثته – عليه السلام – فهو

---

(١) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م) **السيرة النبوية**، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥، ج١، ص ١٨٩ – ١٩٢.

راوح بين الضمير الدّال على الجمع والضمير الدّال على المفرد، وراوح كذلك بين صيغ التعبير الدّالة على المتكلم تارة وعلى المخاطب تارة أخرى وعلى الغائب تارة أخرى، وراوح كذلك بين بناء الفعل للمعلوم وبنائه للمجهول، وبين الفعل الماضي والفعل المضارع في قوله: (أتتنا، وشاعت، وأصبحت، وتهتف، وتُبقى، وأُنطقت، وتبرأت، وقالت، وآتاكم).

وربط ثانيةً بين الماضي والحاضر عندما عبّر بلقطتين متباعدتين زمنياً الأولى من الماضي البعيد بسرده مجموعة من الأحداث الكونية التي رافقت ميلاده وبعثته – عليه السلام – أما الثانية فهي من الزمن الحاضر (زمن الشاعر) كما يتّضح من قوله:

هدانا إلى ما لم نكن نهتدي له ... لطولِ العمى عن واضحاتِ المذاهبِ

بتصويره – عليه السلام – مصدر الهداية على مرّ العصور، وبهذا التصوير يكون الشاعر قد ربط الماضي بالحاضر والمستقبل معاً، وفي هذا كناية عن خلود رسالته – عليه السلام – وعمومها، فمصدر الهداية واحد عبر العصور المختلفة هو هو لا يتغير.

وتضمّن قوله السابق صورتين متقابلتين: الأولى صورة البشرية تعيش في ظلام دامس قبل مجيئه – عليه السلام – والصورة الثانية صورتها بعد مجيئه حيث الهداية والإشراق، مستعيناً بضمائر الجمع (هدانا – نكن – نهتدي) للدلالة على أنّ الظلام كان عاماً فجاءت الهداية عامة، أو كما كان الظلام عاماً كانت الهداية عامة.

كما أن الشاعر (ضمناً) شبّه من لم يؤمن برسالته – عليه السلام – بالأعمى على الرغم من وضوح الطريق أمامه، وشبّه من اهتدى بالمبصر الذي رأى طريق الهداية فسلكه.

ومما سبق ذكره يتّضح حرص الشاعر– شأنه في هذا المجال شأن شعراء المديح النبوي– على تصوير رموز سلطان الشرك والشر على الأرض تتهاوى واحداً إثر الآخر، منذ بزوغ نجمه – عليه السلام – إيذاناً بهزيمتها التي لا مفرّ منها[1]، سواء في ذلك تصويره الكهان تهتف باسمه – عليه السلام – وبراءة الأصنام من الشرك وإزالة مقاعد الجن ... إلخ، وسنلاحظ فيما بعد أن هذا الأمر مما حرص شعراء المديح النبوي على تضمينه في قصائدهم وتوسّعوا فيه وذلك بتصويرهم خمود نار الفرس واهتزاز إيوان كسرى ونضوب بحيرة ساوة ... إلخ.

ثم عاد الشاعر إلى الماضي البعيد ثانيةً بسرده مجموعة من المعجزات الحسية التي أيّد بها الله – سبحانه وتعالى – رسوله ممهداً لها بقوله:

وجاء بآيات تُبَيِّن أنها دلائل جبّار مُثيبٍ مُعاقبِ

مستعيناً بإيجاز القصر (وجاء بآيات) لتشمل كل المعجزات الحسيّة التي أجراها سبحانه وتعالى على يديه – عليه السلام – وجاءت استعانته بصيغة المبالغة (جبّار) للدلالة على أن المعجزات لا تصدر إلا عن قوةٍ هائلةٍ تستطيع الإتيان بالأمر الخارق الذي يتحدّى البشر ويعجزهم، كما أن الطباق (مثيب – معاقب) دلّ على قدرته سبحانه فهو مثيب لمن

---

(١) محمد، السيد إبراهيم، **قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، ط١، المكتب الإسلامي، مصر، ١٩٨٦، ص ٢٥٧.

يستحق الثواب، وفي الوقت ذاته يعاقب من يستحق العقاب، ولا يستطيع فعل ذلك إلا الجبار العالي فوق خلقه، والقاهر لهم على ما أراد من أمر ونهي[1] ومن مظاهر قدرة الجبّار جمعه بين الثواب والعقاب كلاً في موضعه.

وبعد أن ذكر المعنى عاماً في بيته السابق شرع في سرد تفاصيل معجزاته – عليه السلام – بادئاً بمعجزة انشقاق القمر في قوله:

فمنها انشقاقُ البدرِ حين تعمّمَت شُعوب الضيا منه رؤوس الأخاشبِ

مستوحياً ما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، معبّراً بصورة حسية بصرية لونية، لإبراز عظمة هذا الحدث وغرابته، وعبّر عن بروز هذه الحادثة بتصويره لها تحدث عندما كان الضياء يعلو أعالي الأرض اليابسة، وفي هذا كناية عن ظهور هذا الأمر ورؤية الناس له؛ لأن المعجزة إذا لم تكن بمرأى من الناس ومسمعهم ينتفي الغرض منها؛ ولذلك صوّر الحادثة تحدث والقمر بدر مكتمل الإضاءة؛ ليكون أبلغ في التصوير وفي التأثير.

ولم يكتفِ بتشبيه الأرض بكائن حي إنما جعل له رأساً؛ ليتمّم جوانب صورته، وشبّه النور المنبعث من القمر بالعمامة التي يلفّها فوق رأسه، فإذا ما انشقّ القمر أحسّ بهذا الحدث وشعر به كل من رآه، وكأنه يرنو في تصويره السابق إلى قول أنس بن مالك – رضي الله عنه–: "أن أهل مكة سألوا رسول الله – عليه السلام – أن يريهم آية،

---

(١) **لسان العرب**، مادة (جبر).

فـأراهم القمـر شـقتين، حتـى رأوا حـراء بينهمـا"[1]، وحـديث عبـد الله – رضي الله عنه – "انشق القمر ونحن مع النبـي – عليـه الـسلام – بمنـى، فقال: اشهدوا وذهبت فرقة نحو الجبل"[2].

واستعان بالصورة المبنية على المقابلة لتـصوير معجـزة تفجّـر المـاء بين يديه– عليه السلام– في قوله:

ومنها نُبوعُ المـاء بـين بنانـه وقد عَـدِمَ الـوُرّاد قـربَ المـشاربِ

وصوّر حالة العطش الشديدة التي كانـت موجـودة بقولـه (وقـد عـدم الورّاد قرب المشارب) مستعيناً بالتوكيد (قـد والفعـل الماضـي) ثـم بلفظـة (عدم) للدلالة على الجفاف وشدة الحاجة إلـى المـاء، وللدلالـة علـى انعـدام الأمل بوجود الماء، وعبّر عن شدة الحاجة إلى المـاء بكثـرة الـورّاد الـذين يبحثون عن الماء ولا يجدونه. ثم جاءت الصورة المقابلـة لهـا تمامـاً مـلأى بالحركة والحيوية، صـورة الخيـر العمـيم بانبجـاس المـاء بـين أصـابعه – عليه السلام – المتمثلة في قوله:

فروَّى به جَمّـاً غفيـراً وانهلـت بأعناقِـه طوعـاً أكُـفّ المَـذانبِ

وفي سبيل إبراز كثرة المـاء المتجمّـع بـين يديـه – عليـه الـسلام – جمع بين (جم وغفير) للإفادة من دلالتهما معاً علـى الكثـرة، وأكّـد المعنـى

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ/٨٧٠ م) **صحيح البخاري**، ضبطه ووضع فهارسه: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار التقوى للتراث، مصر،٢٠٠١، ج٢، ص٣٠٢.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

نفسه من خلال استعانته بصيغة التضعيف (روّى) وصيغة الجمع (أكفّ)، وترك لخيال القارئ تصوّر احتشاد هذا العدد الضخم الباحث عن الماء ثم ارتوى منه لمّا تفجّر الماء بين يديه، وأبرز الشاعر سرعة تحوّل الجفاف إلى الخصب بقوله (فروّى) فالفاء تدل على الترتيب مع التعقيب.

واستوحى بيته السابق من الأحاديث الكثيرة المروية عن تكثير الماء بين يديه عليه السلام منها قول عبد الله بن مسعود: "كنا مع النبي- عليه السلام – في سفر فلم يجدوا ماء، فأتى بتور (إناء للشرب) من ماء، فوضع النبي – عليه السلام – فيه يده، وفرج بين أصابعه، قال فرأيت الماء يتفجر من بين أصابع النبي الله – عليه السلام – فقال: "حي على الوضوء، والبركة من الله تعالى" وعندما سُئل جابر بن عبد الله: كم كان الناس يومئذ؟ قال: كنا ألفاً وخمسمئة"[1]؛ لذا جاء قول الشاعر (جماً غفيراً) منسجماً مع الرواية التاريخية للحدث.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما هو جدير ذكره أن تكثير الماء بين يديه – عليه السلام – لم يحدث مرةً واحدةً، وإنما تكرّر حدوثه بدليل أن كثيراً من الصحابة رووا ما شاهدوه بأم أعينهم في أكثر من موقع، لذا أعاد الشاعر الحديث عن هذه المعجزة مرة ثانية، معتمداً على الصورة المبنية على المقابلة؛ ليصوّر تفجّر الماء من البئر التي مسّها – عليه السلام – بيده الكريمة في قوله:

وبئرٌ طَغَت بالماءِ من مسّ سَهمه ومن قبلُ لم تَسمح بمَذقَةِ شاربِ

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩، ج١، ص ٤٠٢.

بدأ الشاعر بتصوير لقطة من الحاضر تصوّر الماء المتدفّق بكثرة من البئر، ثم صوّر لقطةً من الماضي تتضمّن الصورة المقابلة لها: صورة الحاجة إلى الماء من خلال قوله (لم تسمح بمذقة شارب)، ووُفّق في اختيار ألفاظه وكأنه يترك للقارئ الموازنة بين دلالة (طغى الماء) و(لم تسمح بمذقة شارب)، فالطغيان يدل على الكثرة الفائضة عن الحاجة، أمّا اسم المرة (مذقة) فيدل على عدم وجود الماء مع شدّة الحاجة إليه، إذن ترك للفظتي (طغى – مذقة) إبراز معالم الصورتين المتقابلتين اللتين رسمهما لتصوير هذه المعجزة.

كما أن قوله (طغى) تضمّن تشبيه الماء بكائن حيّ يندفع بقوة، ويمكن للقارئ تخيّل صورة الظمآن الذي لم يكن يجد شربة ماء، ثم إذا به يرى تدفّق الماء بكثرة بحيث طغى، وتوّج دقته في اختيار ألفاظه بقوله (مسّ) فمجرد المسّ فعل ذلك، وفي هذا كناية عن بركة يديه عليه السلام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما تدفّق الحليب بغزارةٍ من الضرع الذي مسّه – عليه السلام – بيده الكريمة فترك للصورة الحسية الحركية السمعية التعبير عنه في قوله:

وضرعٌ مَـراه فاستدرّ ولم تكن به دَرّةٌ تُصغي إلى كفّ حالبِ

مستعيناً بحرف العطف (الفاء) للكناية عن سرعة تحول حال الضرع من جافّ أو كما صوّره لا قطرة حليبٍ فيه، وإذا به يفيض بالعطاء بعدما مسحه – عليه السلام – بيده الكريمة. وترك لاسم المرة (درة) وللفعل (استدرّ) الكناية

عن حال الضرع قبل أن يمسّه – عليه السلام – بيده الكريمة وحاله بعد أن مسّه، وشتّان بين الحالين. معتمداً في تصويره السابق الصورة الصوتية القائمة على تبادل المادّيات للمعنويات، وذلك بتشبيهه الدرّة بكائنٍ حيٍّ لا يسمع، وفي قوله: (تصغي) ما يوحي بشدة جفاف الضرع. أما الصورة الحركية فتمثّلت في حركة يد الحالب للضرع الجافّ، وخيبة أمله لعدم تحقيقه مراده من الحلب.

ولم يغفل الشاعر عن الحديث عن المخاطر التي تعرّض لها – عليه السلام – بفعل أحقاد أعدائه عليه، الذين لم يتركوا وسيلةً للنيل منه –عليه السلام – إلا واتّبعوها، وإنما بلغ بهم الأمر إلى محاولة قتله – عليه السلام – وفاتهم أن عين الله – سبحانه وتعالى – ترعاه وتحفظه؛ لذلك عندما قدّموا له شاةً مسمومةً أخبرته بفعلتهم، وهذا ما أفصح عنه قوله:

ونطق فصيح من ذراع مبينة لكيد عدوٍ للعداوة ناصبِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاءت ألفاظ (كيد – عدو – العداوة – ناصب) لتصوّر شدة الكراهية له – عليه السلام – التي أعمت بصر أعدائه وبصيرتهم فهمّوا بقتله، وبما أن الله – سبحانه وتعالى – تعهّد بحمايته – عليه السلام – بدليل قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾[المائدة :٦٧]، جعل الشاة تنطق وتخبره بأمرها.

وبما أن ما حدث معه – عليه السلام – كان أمراً خارقاً للعادة، لذلك وصف الشاعر نطق الشاة بالفصيح أي المظهر عمّا في داخله، وبدأ بيته بالجملة الاسمية (ونطق فصيح) وختمه باسم الفاعل (ناصب) من باب تأكيد وقوع هذه الحادثة؛ وليبرز غرابة الحدث، ولولا أنه حدث مع الرسول – عليه السلام– لما صدّقه عاقل؛ إذ كيف يمكن للذراع أن ينطق؟

والتفت الشاعر إلى مظهرٍ آخر من مظاهر نبوّته – عليه السلام– (الإخبار بالغيب) في قوله:

وإخبارُه بالأمرِ من قبل كونِه وعند مباديه بما في العواقبِ

ومما لا شك فيه أن الإخبار بالغيب هو إحدى معجزاته – عليه السلام – لذا عبّر بالجملة الاسمية من باب تأكيد قدرته – عليه السلام – على هذا الفعل الذي لا يتسنّى لغيره من البشر؛ وجاء الشطر الثاني مؤكّداً في مضمونه لما ورد في الشطر الأول، وبذا يكون الشاعر قد عبّر عن المعنى نفسه مرتين.

وإذا كانت المعجزات السابقة تتميز بأنها معجزات حسية، وينتهي مفعولها في وقت حدوثها، ويقتصر تأثيرها على من رآها؛ لذا أتبعها بالحديث عن أعظم معجزاته – عليه السلام – معجزته الخالدة على مرّ الأيام (القرآن الكريم) لذلك أطال الوقوف عند هذه المعجزة وخصّص لها أحد عشر بيتاً متتالية، لعلّه بهذه الإطالة يفي هذه المعجزة حقّها من التصوير.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووصف القرآن الكريم بـ (قريب المأتى) مستعيناً بصيغة فعيل (قريب) لدلالتها على الثبات والملازمة في قوله:

ومن تلكم الآيات وحيٌ أتى به قريبُ المأتى مستَجِمّ العجايبِ

فمن مظاهر إعجاز القرآن الكريم أنّ كلّ إنسان مهما بلغ مستواه العلمي والثقافي يستطيع أن يقرأه ويفهمه، لذا وصفه بقريب المأتى

ووصفه أيضاً بـ (مستجم العجائب) للدلالة على أن عجائبه لا تنقضي وهذا مظهر آخر من مظاهر إعجازه.

وعلى الرغم من أن قوله (مستجم العجائب) اشتمل ضمناً على كلّ مزايا القرآن الكريم، إلا أنه أعاد ذكر هذه المزايا واحدة واحدة وبالتفصيل، وبذا يكون قد ذكر المعنى مجملاً أولاً ثم شرع في تفصيله. ففي قوله:

حوى كلّ علمٍ واحتوى كلّ حكمة وفاق مَرام المستمر المواربِ

تصوير للقرآن الكريم يتفوّق على خصومه حتى المخادع منهم، الشديد المراس في الخصومة[1] ليكنّي بهذا عن المعركة الحامية الوطيس التي خاضها – عليه السلام – مع أعدائه الذين كانوا -كما وصف القرآن الكريم- شديدي الخصومة في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً** ﴾[مريم:٩٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأفاد الشاعر من دلالة (كل) على العموم ليكنّي عن اشتمال القرآن على ما يضمن صلاحيته لكل زمان ومكان، وكرّرها ليؤكّد صحة كلامه، وهذا مظهر آخر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم؛ لذا أبان عن المصدر الرباني للقرآن الكريم في قوله:

أتانا به لا عن رَويّة مُرتئ ولا صُحفِ مُستَمَلٍ ولا وصفِ كاتبِ

فهو وحيّ وإلهام مُذكّراً بأميّته – عليه السلام – وكأنه بهذا القول يردّ على المشركين الذين زعموا: أنّ القرآن الكريم من عند محمد عليه السلام، وليس

---

(١) **لسان العرب**، مادة (ورب)، وينظر **المعجم الوسيط**، مادة (ورب).

كلام الله؛ لذا فنّد ادعاءاتهم ونفى عن القرآن الكريم كل ما وصفوه بـه، وذلـك بتكراره (لا) الدالّة على النفي، مستوحياً مضمون عدد من الآيات القرآنية التـي بينت أميته عليه السلام، والمشركون يعرفون هذا الأمر كما يعرفـون أنفـسهم، ولمسوه بأم أعينهم فهم يعرفون أن "الخطيب منهم إذا ارتجل خطبةً ثـم أعادهـا زاد فيها ونقص، أما عليه السلام فقد تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه فلم يُغيره ولم يُبدل ألفاظه، وهـذه الخلـة إحـدى آياتـه المعجزة" لكن عنادهم دفعهم إلى الزعم بأن القرآن الكريم من عند محمد – عليه السلام– أو من إملاء أحد الأعاجم .... إلخ. وإذا ما ثبت لهم بطلان كلامهم لـم يبق أمامهم إلا الإقرار بمصدره الرّباني، وكأني بالشاعر ينعى على المـشركين الذين غيّبوا عقولهم عندما قالوا ما قالوه، ونلمس نوعـاً مـن الحجـاج العقلـي (المفهوم ضمناً) في البيت السابق.

ولم يكتفِ الشاعر بـتقمّص شخـصية الـراوي للحـدث، إنمـا صـوّر نفسه وكأنه عاصر الحدث وعايشه وتفاعـل معـه بـدليل قولـه (أتانـا بـه)، فهو هنا ليس مجرد ناقلٍ لخبرٍ قادمٍ من أعماق التاريخ.

وبما أنّ تأثير القرآن في النفـوس مظهـر مـن مظـاهر إعجـازه؛ لـذا عبّر بصورتين متقابلتين تبرزان هذا المعنى، كما يتّضح من قوله:

وفي مجمعِ النادي وفي حـومةِ الـوغى وعند حديثِ المعضلات الغـرايبِ

فهو في السلم (في مجمع النادي) وفـي الحـرب (فـي حومـة الـوغى) هو هو لا يتغير، وتأثيره هو هو؛ ليدلّل بهـذا علـى صـلاحية القـرآن لكـل زمان ومكان، وصلاحيته للأمور الحياتية اليوميـة العاديـة، وصـلاحيته فـي عظائم الأمور (المعضلات الغرايب) أي المـسائل المُـشكِلة التـي لا يُهتـدى

لوجهها[1]، وإذا كانت كلمة مُعضلة بحدّ ذاتها توحي بالتباس الأمر وشدّته وصعوبته، أو ضيق مخرجه فإنّ الشاعر زادها صعوبة بقوله الغرايب، كما أنّ صيغتي الجمع (المعضلات والغرايب) أبانتا عن قيمة القرآن الكريم في حياة الإنسان المسلم وبخاصة في أوقات الشدة، وقدّم الشاعر في بيته السابق (في مجمع النادي) على (في حومة الوغى) ليبيّن أن هذا الدين دين سلام وأمن وحياة وليس دين قتال أو عنف.

ولئن جاء المعنى عاماً في البيت السابق إلا أنّ الشاعر زاده وضوحاً في قوله:

فيأتي على ما شئتَ من طُرقاته كريمَ المعاني مُستَلَذّ الضرايبِ

ليبرز أن القرآن الكريم بمستوىً واحد من الفصاحة لا تفاوت فيه، على الرغم من تعدّد موضوعاته؛ وهذا أمر ثابت لذا عبّر بصيغة فعيل (كريم) لدلالتها على الملازمة والثبات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبنى الشاعر صورته (مستلذّ الضرايب) على تراسل الحواس الذي يقوم على خلع صفة حاسّةٍ على حاسةٍ أخرى[2]، فهو شبّه الأمر المجرد (ألفاظ القرآن ومعانيه) بالشيء اللذيذ الذي له حلاوة ويؤكل، وكأن هذه الحلاوة تُذاق باللسان مع أن المرء يدرك حلاوة القرآن ويدرك روعته بعقله ووجدانه، وبفعله هذا يكون الشاعر قد قام بإثارة تداعيات جمالية

---

(١) لسان العرب، مادة (عضل)، وينظر **المعجم الوسيط**، مادة (عضل).

(٢) البطل، علي، **الصورة في الشعر العربي**، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٧.

في نفس المتلقي، يصعب إدراكها لو اقتصر على المعنى الحرفي للدلالات.

وممّا لا شكّ فيه أن الشاعر استحضر مضمون قوله تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً** ﴾[النساء: ٨٢] في قوله:

يُصدِّق منه البعضُ بعضاً كأنما يلاحظُ معناه بعينِ المراقبِ

للدلالة على عدم وجود تناقضٍ في القرآن الكريم، وفي هذا إشارة إلى مصدره الرّباني، وفي الوقت ذاته ردّ على المشركين أو من يثيرون الشبهات حول فصاحة القرآن الكريم.

واستمدّ من مضمون آيات التحدي (الطور٢٤، وهود١٣ و١٤ويونس ٣٨ والبقرة ٢٣،٢٤) قوله:

وعَجزُ الورى عن أن يجيئوا بمثلِ ما وصفناه معلومٌ بطولِ التجاربِ

ليصوّر عجز الناس عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، مع أن الله -سبحانه وتعالى- تحداهم أكثر من مرة، ومع أنّ الأسباب الباعثة على معارضة القرآن كانت موفورة متضافرة فهم أهل الأنفة والحمية، وهم أهل الفصاحة والبيان التي بها يفاخرون[1] ومع ذلك وقفوا موقف العاجز؛ لذا جاء التعبير بالجملة الاسمية (وعجز الورى) ليبرز هذا العجز. كما أنه عبّر بالمصدر (العجز) ليكنّي عن أن العجز سيكون على مرّ الأزمنة، وليس خاصاً بزمنٍ معين، وفي قوله (الورى) أي الخلق ما

---

(١) عباس، فضل حسن، **إعجاز القرآن**، دار الفرقان، عمان، ١٩٩١ ، ص ٣٠.

يدل كذلك على أن هذا العجز ليس خاصاً بجنسٍ معينٍ (قريش أو العرب) وإنما هو تحدّ عام عموم المخاطبين به، وكذلك ليس خاصاً بالبشر، وإنما يشمل الجن أيضاً فهم مشمولون بقوله (الورى) بمعنى الخلق، كما أن التعبير بواو الجماعة في قوله (يجيئوا) أبان عَن هذا المعنى، وبما أن الرأي السابق ليس خاصاً بالشاعر ولا يعبّر عن وجهة نظره فقط؛ لذا جاء قوله (وصفناه) بصيغة الجمع.

أما القسم الثاني من قصيدته فسرد فيه سلسلة نسبه الشريف شعراً بدأها بأبيه عبد الله، ثم تدرّج إلى أن أوصله إلى آدم عليه السلام، ووصف عبد الله بأكرم والد في قوله:

تأبَّى بعبد الله أكرم والدٍ ... تبلّج منه عن كريمِ المناقبِ

ودلّت أكرم على تمكّن الصفة فيه، وحيازته على أعلى المراتب فيها، فإذا ما ورثه ابنه ورث أفضل ما عنده. أما صيغة فعيل (كريم) فدلّت على الثّبات والملازمة فهي لا تتغير، وختم بصيغة منتهى الجموع (المناقب) للدلالة على توافر صفات الفضل جميعها فيه؛ لذلك جاء عليه السلام خلاصة لهذه المناقب جميعها.

وتضمّن قوله:

وشيبةَ ذي الحمد الذي فَخرت به ... قريش على أهلِ العلا والمناصبِ
ومَن كان يُستَسقى الغمامُ بوجهِه ... ويُصدَرُ عن آرائه في النواصبِ

صورتين متقابلتين لبيان مزايا شيبة الحمد. الأولى: صورته في السلم مكتفياً بإيجاز القصر (يُستسقى الغمام بوجهه) لإبراز ملامح هذه

الصورة الجميلة والمؤثّرة بحيث صورّه مصدراً للخير والبركة، حاله حال السّحاب الممطر الجالب للخير حيثما حلّ، أما الصورة الثانية: فصورته في الشدائد حيث صوّره الموئل لقومه بحيث يستنيرون برأيه، وبخاصة عندما يدلهمّ الخطب. ففي مثل هذا الموقف يتفاضل الناس ويظهر معدنهم الأصيل؛ لذا صوّر قريشاً تتباهى به، وحُقّ لها أن تفعل ذلك، فمن كان هذا شأنه في السلم وفي الشدائد لا يُستغرب أن يوصف بذي الحمد، وعبّر الشاعر بالمصدر (الحمد) للدلالة على أنه يستحق الثناء عليه عبر العصور المختلفة وليس في عصره فقط.

وصرّح باسمه الصريح أولاً (شيبة)، ثم عبّر بالاسم الموصول (الذي) تارة وبالاسم الموصول (من) تارة أخرى، وكأنه يريد الاستلذاذ بذكره ويشنّف أذنيه بسماع اسمه أكثر من مرة، كل ذلك ليعظّم من شأنه.

ARCHIVE

وفعل الفعل نفسه أي التعبير بصورتين متقابلتين عن رجاحة عقل أُدَد في قوله:

وفي أُدَدٍ حُكمٌ تَزيّن في حِجاً إذا الحكم أزهاه فُطورُ الحواجبِ

بادئاً بإبراز ملامح الصورة المشرقة أولاً ثم أتبعها بالصورة المظلمة، ليترك المجال أمام القارئ؛ ليوازن بين الوضعين المتباعدين ليدرك قيمة أُدَد في قومه.

وترك للصورة الحسية البصرية المفهومة من (فطور الحواجب) الكناية عن عمق المشكلة وصعوبتها، وذلك بتجسيده لحركة الحواجب وهي تكاد تتفطر من شدة الموقف، ثم جاءت الصورة المقابلة لهذه

الصورة مليئة بالإشراق والضياء بتصويره (أُدَد) برجاحة عقله يزيل كل الضيق والحرج الذي كان يسيطر على الناس قبل حلّ المشكلة.

وأبانت الصورة الحسية البصرية عن صفات هاشم وفضله في قوله:

وهاشم الباني مَشِيدَ افتخاره بِغُرّ المساعي وابتذالِ المواهبِ

قوامها الاستعارة ثم الكناية بتجسيد الفخر بصورة البناء الشامخ الثابت الأركان، وبهذا التصوير يكون الشاعر قد ارتفع بالمجرد إلى المادي المحسوس، ثم أكسب "الصور المعنوية ملامح الإنسان وصفاته وأفعاله"[1] وذلك بتشبيهه المساعي بالكائن الحيّ ذي الغرة، فلم تعد المساعي أمراً معنوياً فقط.

وأسند الحدث (البناء) إلى هاشم ليبيّن أنه صنع مجده الشخصي بيده، وصوّره يبنيه بناءً للدلالة على صبره وتأنّيه فالبناء لا يتم إلا بجهد صاحبه، كما أن بناء هاشم كان بناءً خاصاً يليق به (بناء يتكون من المكارم والمناقب).

وأبرزت الصورة الكنائية (ابتذال المواهب) كثرة عطائه بحيث صوّره يعطي العطاء الكثير بلا عوض، ويعطي عن طيب خاطر، وهذا هو العطاء الذي يخلّد صاحبه، ويميّزه عن الآخرين إلا أن الشاعر لم يوفّق في قوله ابتذال؛ لأن الذهن ينصرف أول ما ينصرف إلى الظلال السلبية لهذه اللفظة.

---

(١) الصائغ، عبد الإله، **الصورة الفنية معياراً نقدياً**، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧، ص٤١٩.

أما عبد مناف فصوّره في قوله:

وعبد مناف وهو علّم قومه انبـــ بساطَ الأمـاني واحتكـامَ الرغايـبِ

يعلّم قومه المكارم، فهو لم يقصر خيره وفضله على نفسه، إنما شجّع قومه على فعل ما يفعل، فهو قدوتهم ومثلهم الأعلى في هذا المجال؛ لذلك عبّر بـ (علّم) لدلالتها على التكثير فهو علّمهم مرةً بعد مرة، أو واحداً واحداً؛ لذا جنى ثمرة تعليمه بتصويره الأماني تتحقّق على يديه وتنتشر.

وتجسّدت ثمرات تعليمه أيضاً في ابنه قصي الذي كان تلميذاً نجيباً، وورث عن أبيه أفضل ما عنده، كما يتّضح من قوله:

وإنّ قُصيّاً من كرامِ غراسِه لفي مَنهلٍ لم يَدنُ من كفّ قاضبِ
به جمعَ اللهُ القبائلَ بعدما تَقسمها بَتّ الأكف السوالبِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصوّره يزرع في منهلٍ لم يدنُ منه كف قاضب؛ لذلك جاء ابنه من خيرة ما زرع.

واستمدّ الشاعر طرفي صورته من عالمين مختلفين عالم الإنسان (قصي) وعالم النبات (الغرس) وكلاهما يلتقيان في نتيجة واحدة هي الفائدة في كلٍ منهما، فالنبات ضروريّ لحياة الإنسان، وكذلك قصي ضروريّ لحياة القبائل واتّحادها، لذلك ضمّن صورته السابقة صورتين متقابلتين الأولى: صورة القبائل المتناحرة وترك للصورة الحركية (تقسمّها بتّ الأكف) إبراز معالمها، والصورة الثانية: صورة القبائل

المتوحّدة بفضل حكمته وهمّته، ولكن الشاعر لم يتحدّث عن هذه الصورة مباشرة إنما ترك لخيال القارئ تصوّرها من خلال مشاهدته لصورة التناحر كما أبرزها.

وجسّد المجد بصورة الجبال الشامخة في قوله:

وحلّ كِلابٌ من ذُرى المجدِ معقلا تقاصَرَ عنه كلّ دان وعازبِ

وصوّر كلاباً يسكن في أعاليها، بحيث زادها شرفاً على شرف، وكنّى عن علوّ شأنه بتصويره يسكن معقلاً في ذرى المجد فمن يستطيع الوصول إلى مكانته هذه! فالمعقل يوحي بالمنعة والقوة لذا جاء التعبير (تقاصر) ليبرز الصعوبة التي تواجه كلّ من يحاول الوصول إلى القمة حيث كلاب.

وجاء الطباق ما بين (دانٍ وعازب) ليكنّي عن رفعة شأن كلاب وتميّزه بحيث لم يستطع أحد الوصول إلى هذه المرتبة، وجاء التعبير بالصيغة الدّالّة على العموم (كل) لتؤكّد هذا المعنى.

وإذا كان الضدّ بضدّه يظهر حسنه؛ لذا رسم الشاعر صورتين تميّزت الأولى بما فيها من إباءٍ وشممٍ صورة (كلاب) يسكن في أعالي الجبال، والصورة الثانية: صورة من يحاول الصعود والارتقاء إلى تلك القمّة ومع ذلك لا يستطيع الوصول، لصعوبة الوصول إليها، إذن كلابُ لم يبلغ تلك المنزلة العالية إلا لتوافر خصائص فيه أهّلته لنيل تلك المرتبة، وعلى الرغم من التّباعد بين الصورتين: صورة كلاب يسكن أعالي القمم وما فيها من ثباتٍ وسكون، وصورة من يحاول الصعود وما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيها من حركة وحيوية إلا أن التقاءهما معاً يبرز معالم الصورة التي أراد الشاعر تقريرها وإيضاحها.

وترك للصورة الحسيّة البصرية الحركية رسم الصورة المشرقة لكعب في قوله:

وكعبٌ علا عن طالبِ المجد كعبُه فنالَ بأعلى السعي أعلى المراتبِ

وكان الشاعر دقيقاً في اختياره لألفاظه بحيث صوّر كعباً يعلو على طالب المجد؛ لذلك نال أعلى المراتب، وقابل بين العلوّ والكعب ليظهر بُعد منزلته؛ لذا أكثر من الألفاظ الدالّة على العلوّ (علا – بأعلى – أعلى). وجاء حرف العطف الفاء ليدلل على سرعة وصوله إلى قمة المجد لتوافر صفات النجاح عنده (علا – فنال)، كما أنّ لفظة (أعلى) تظهر مدى طموحه وقوة إرادته، فهو لا يقبل إلا بالأعلى في كلّ شيء، وبنى مجده الشخصي نتيجة لسعيه، والسعي يدل على المشي السريع، وفي هذا إشعارٌ بعلوّ همته؛ لذا ارتقى ووصل إلى أعلى المراتب.

وتميّزت الصورة السابقة بما فيها من حركةٍ تمثّلت في صورة السعي يقابله صورة الوصول إلى أعلى المراتب، مسلّطاً الضوء في كلٍ على الكعب والسعي، وجانس الشاعر بين (كعب وكعبه) ليظهر حتى وإن كان لفظ الكعب يوحي بالدنوّ، فإنّ كعباً حوّل هذا الدنوّ إلى أعلى المراتب وأفضلها.

وتضمّن قوله:

وألوى لؤي بالعُداةِ فطُوّعَت له هِممُ الشُمّ الأنوفِ الأغالبِ

صورتين متقابلتين للكناية عن قوة لؤي وشجاعته. الأولى: صورته وهو يتفوّق على أعدائه، أمّا الثانية فتتمثّل في تصويره الهمم طيّعة لينة بين يديه، فإذا كانت هذه الصورة تتميّز بما فيها من هدوءٍ ولينٍ ناتج عن تشبيهه للهمم بالمادة اللينة سهلة التطويع، فإنّ الصورة الأولى تتميّز بما فيها من قوةٍ وشدةٍ تتمثّل في صراعه مع أعدائه. أما حرف الفاء في قوله (ألوى فطوّعت) فدلّ على سرعة لؤي في التغلّب على أعدائه، وإنجازه لمهمّته، وتتابعت الصيغ الدالّة على الجموع (العداة – همم – شُمّ – الأنوف – الأغالب) للدلالة على عظم مكانته وقوته بحيث تغلّب على هؤلاء مجتمعين.

وتضافرت الكنايات في البيت السابق لتتمم جوانب صورة لؤي؛ لذا سلّط الضوء على بيان أثره على أعدائه، فهو كما صوّره شديد الخصومة، قوياً على أعدائه بحيث صوّر الهمم تدين له بالطاعة، وجعل شمّ الأنوف والأغالب هم الذين يخضعون له لا أحد غيرهم، وفي هذا التصوير كناية ذات دلالة فمن يخضع له هذه صفتهم، فما بالك بشأنه هو؟ لذا جاء تقديم الجار والمجرور (له) ليقصر خضوع شُم الأنوف والأغالب عليه، فكأنها لا تلين إلا له.

وأعلى الشاعر من شأن أعداء لؤي؛ ليبرز بذلك قوته وشجاعته، وفي الوقت ذاته ليصوّر أنّ كل هذا العلو والشموخ الناتج عن الهمم والشمّ الأنوف، زال ولم يعد له وجود بفضل قوة لؤي، لذا جاء قوله (طوعت) للموازنة بين صورتين: صورة أعدائه قبل مواجهته لهم وصورتهم بعد المواجهة، وشتّان ما بين الحالين.

أما غالب فترك للصورة الزاخرة بالحركة إبراز معالم الصورة البهية التي رسمها له في قوله:

وفي غالبٍ بأسٌ أتى الناس دونهم يدافع عنهم كلّ قرن مغالبِ

بتصويره يتفوّق على المماثلين له شجاعةً وقوة، ونكّر كلمة بأس لتشمل كلّ أنواع الشدة والقوة، وعبّر بالصيغة الدالّة على العموم (كل) لتؤكد هذا المعنى. وافتتح صورته السابقة بالجملة الاسمية لما فيها من دلالةٍ على الثبات والديمومة فهذه الصفة متأصّلةٌ فيه، مما جعله دائم التفوّق على أقرانه.

ومما يدل على تنوع أساليب التعبير عند الشاعر؛ رسمه صورة لمالك، قوامها الجناس ما بين مالك الاسم ومالك بمعنى المسيطر في قوله:

وما زال منهم مالكٌ خيرَ مالكٍ وأكرمَ مصحوب وأنجدَ صاحبِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأضفى الإيقاع الموسيقي الناتج عن حسن التقسيم بين: خير مالكٍ وأكرم مصحوبٍ وأنجد صاحبٍ، مزيداً من المؤثرات الصوتية المتناغمة مع الصورة المشرقة لمالك لتزيدها بهاء. وأسهم اسما التفضيل (أكرم وأنجد) في الكناية عن تمتع مالكٍ من كل صفةٍ بأحسنها وأفضلها.

وينطبق على الصورة في البيت السابق ما قاله عشري زايد: مقياس جودة الصورة في النهاية هو ما تزخر به من طاقاتٍ إيحائيةٍ، فقد

تخلو صورةٌ ما من أي استخدامٍ مجازيّ للغة، ومع ذلك تكون إيحائيةً كأغنى ما تكون الصورة الشعرية، فهي صورة شعرية بكل المقاييس[1].

وجانس بين مدركة ولم يدرك ليظهر فضله وقيمته في قومه؛ وترك المجال لصيغة (أعفّ وأغنى) ليعلي من شأنه بحيث صوّره يترفّع عن دنيّ المكاسب، ووضع أغنى وأعفّ في مقابل دنيّ؛ ليظهر حسن خلقه فالشيء بضدّه يظهر حسنه، كما يتّضح من قوله:

ومُدرِكَة لم يُدرك الناسُ مثلَه أعفّ وأغنى عن دنيّ المكاسب

كما أنه رسم صورتين متقابلتين صورة ظاهرة في النص، صورته وهو يترفّع عن دنيّ المكاسب ويقابلها صورة غير ظاهرةٍ لكنها مفهومة ضمناً، صورة غيره وهو يُقبل على دنيّ المكاسب، ومن خلال التقابل بين الصورتين يظهر لنا رفعته وعلوّ شأنه، فهو ترفّع لذلك حقق ما يصبو إليه، أما غيره فنزل إلى سفساف الأمور لذا لم يستطع الوصول، إذن الطريق الذي سلكه لم يكن سهلاً؛ لذلك لم يدرك الناس مثله.

أما إلياس فترك للجناس ما بين إلياس واليأس، رسم معالم صورته في قوله:

وإلياس كان اليأس منه مقارِناً لأعدائِه قبل اعتدادِ الكتائبِ

بحيث صوّره يقهر أعداءه، بحيث بات اليأس ملازماً ومصاحباً لهم حتى قبل اعتداد الكتائب، وأسند الحدث إلى اليأس وليس إلى صاحبه

---

(١) زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٩٨ – ٩٩.

للمبالغة في إعلاء شأنه هذا من جهة، ومن جهة أخرى ليصوّر أنّ غير العاقل (اليأس) قد لمس شجاعة إلياس بحيث بات يخشاه، ولا يحاول الاقتراب منه، فكيف إذن بالعاقل وهم أعداؤه.

ويظهر حسن التقسيم بتصويره الأمور المعنوية (السماحة والحكمة والهمة) بصورة الأمور المادية المحسوسة التي يمكن حيازتها في قوله:

وحِيزَت لِقيدارٍ سماحةُ حاتم وحكمةُ لقمان وهمةُ حاجبِ

فقيدار كما صوّره لم يكن شخصاً واحداً، إنما هو يجمع في شخصه بين أفضل ما عند حاتم (جوده) وأفضل ما عند لقمان (حكمته) وأفضل ما عند الحاجب (همّته) لذلك جاء قيدار نتاجاً لهذه الصفات مجتمعة، ويذكرنا صنيع الشاعر في بيته السابق بصنيع أبي تمام عندما قال[1]:

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتم في حِلمِ أحنف في ذكاءِ إياس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصوّر أبا لمك يذل ويقهر الكمي[2] في قوله:

ولَمكٌ أبوه كان في الروع رائضاً جريئاً على نفس الكميّ المُضاربِ

وبتصويره السابق يكون قد رسم له صورةً مشرقةً؛ لأنه صوّره يتفوّق على الكمي وليس الإنسان العادي، وهذا أبلغ في تصوير شجاعته وقوته، فهمّه الأكبر في المعركة الظفر بالكمي لا أحد غيره، وزاد صورته إشراقاً بوصفه الكميّ بالمضارب ليصوّره يتفوق على الكميّ

---

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس (٣٢١ هـ/ ٨٤٥ م) **ديوان أبي تمام**، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ط ٥، دار المعارف مصر، ج٢، ص ٢٤٩.

(٢) الشجاع المقدام الجريء كان عليه السلاح أو لم يكن، **لسان العرب**، مادة (كمي).

الحامل السلاح أيضاً، وصوّر خصمه في كامل قوته وعتاده ليظهر بطريق غير مباشر قوته وشجاعته، وسلّط الشاعر الضوء على والد لمك ولم يتحدث عن لمك مباشرة تاركاً المجال أمام القارئ؛ ليدرك مغزى قوله السابق، فإذا كان هذا هو شأن الأب فما بالك بشأن الابن الوارث لهذه الخصال.

وتضافرت الجملة الاسمية مع الصورة الحسية البصرية الضوئية لإبراز معالم الصورة المشرقة التي رسمها للنضر في قوله:

وللنضر طَوْلٌ يَقصرُ الطّرفُ دونه يجيب إلى ضوءِ النجومِ الثواقبِ

وذلك بتصويره البصر لا يستطيع إدراك مدى الفضل والغنى الذي كان يتمتع به النضر، وصوّره أيضاً بالنجم الذي توهّج واشتدّت حمرته بحيث لا يستطيع البصر النظر فيه. وفي هذا التصوير إيحاءٌ بمقدار حاجة قومه إليه؛ لذا جاء جمع الشاعر بين صيغتي الجمع (النجوم الثواقب) ليبرز عظم شأنه، فكأنه مجموعة من النجوم المضيئة وليس نجماً واحداً؛ لذا كانت الصعوبة في الوصول إلى مكانته هذا من جهة، ومن جهة أخرى ليبيّن أن خيره عمّ الآخرين، كما يعمّ ضوء النجوم الظلام.

ومن وسائل التعبير التي اعتمدها الشاعر التشخيص لما فيه من قدرةٍ على إكساب المعاني المجردة قدرة الإنسان في أفعاله، فها هو يشخص المحاسن (الأمر المعنوي) بصورة كائن حيّ عصيّ على التطويع لكنها لانت لكنانة في قوله:

لَعمري لقد أبدى كنانة قبله محاسن تأبى أن تُطوع لغالبِ

لذا رسم للمحاسن صورتين متقابلتين الأولى: صورتها وهي عصيةٌ على التطويع، وما توحيه هذه الصورة من مظاهر التمرّد والعصيان،

والصورة الثانية: صورتها وقد لانت، وما توحيه هذه الصورة من الانقياد والاستسلام، ولولا شكيمة كنانة لما أصبحت المحاسن طوع بنانه. ومن خلال الصورتين معا تتضح قيمة كنانة في قومه. ولذلك جاءت المؤكدات (اللام والقسم وقد والفعل الماضي) لإبراز هذا المعنى وتقويته.

وشخّص السجايا (الأمر المعنوي) بصورة كائنٍ حيٍّ يحمي من يلوذ به في قوله:

وشالِخُ وارفَخشَد وسامٍ سَمَت بهم سجايا حَمَتهُم كلّ زارٍ وعايبِ

واختار التعبير بـ (سمت) ليجانس بينها وبين سام هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفعل (سمت) يصور حركة السجايا وهي ترتفع بـ (شالخ وارفخشد وسام)، وأسند الحدث إلى السجايا من باب المجاز العقلي وهذا أبلغ من نسبتها إلى أصحابها مباشرة، بتصويره الأمر المعنوي المجرد بصورة كائنٍ حي يسمو.

أما صيغة الجمع (سجايا) فأبرزت عظيم فضلهم وحسن خلقهم، وفي الوقت ذاته تصور تفوّقهم على كلّ من يحاول الانتقاص من قيمتهم؛ ولذلك جاءت صيغة التعميم (كل) لتحقّق التوازن ما بين (سجايا – كل)، كما أن الشاعر أسند للسجايا فعلين مؤثرين ودالين في الوقت نفسه، فالسجايا تسمو بأصحابها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تحمي أصحابها.

وكان للإيقاع الصوتي الناتج عن (سمت وحمت) أثره في التخفيف من الخشونة الناتجة عن صعوبة (شالخ وارفخشد) على السمع والنطق معاً.

واستوحى ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٥] في قوله:

وكان خليلُ اللهِ أكرمَ مـن عَنَـت له الأرض من ماشٍ عليهـا وراكـبِ

وفي نسبته الخليل إلى الله إعـلاء مـن شـأنه – عليـه الـسلام – فهـو جعله من خاصته سبحانه وتعالى، وأكـدت هـذا المعنـى وأبرزتـه اسـتعانته بصيغة (أكرم)؛ فلو لم يجد فيه سبحانه وتعالى مـا جعلـه يتّخـذه خلـيلاً لمـا اتّخذه خليلاً.

وصوّر الأرض بكائنٍ يخضع ويلـين لإبـراهيم – عليـه الـسلام–، وإذا كان غير العاقل قد لان له، فمن باب أولى أن يخضع لـه العاقـل ويـدين لـه بالطاعة، وكأنه بهذا التـصوير ينعـى علـى المـشركين الـذين لـم يؤمنـوا برسالته؛ لذلك أسهم الطباق ما بين ماشٍ وراكـبٍ فـي الإعـلاء مـن شـأن خليل الله.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وممّا يدلّ على تنويع الشاعر فـي أسـاليبه اسـتعانته بالتـشبيه البليـغ؛ لما فيه من إعلاء لشأن المشبّه به بحيـث يبـدو هـو والمـشبّه فـي صـورة واحدة من الكمال لا فرق بينهما، في قوله:

وناحورُ بحرٌ والعِدا خَـضعَت لـه بأشياء لمّـا يُحـصِها عَـدّ حاسـبِ

بتشبيهه ناحور بـالبحر، هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى فـإنّ تصويره السابق تضمّن صورةً كنائيةً جـسّدت جـوده بـصورة البحـر دائـم العطاء، هذا حاله في السلم، أما حاله في الحرب فلـم يتحـدث عنـه مباشـرة مكتفياً بتسليط الضوء على صورة أعدائه وهم يخـضعون لـه، ولـم يـصف

معركةً خاضها، مكتفياً بذكر نتيجة المعركة المتمثّلة في خضوع أعدائه له، وهذا الإيجاز يغني عن كثيرٍ من التفاصيل، كما أنّ الشاعر بنى صورته السابقة على دلالة اسمه ناحور على صيغة (فاعول) التي توحي بكثرة نحره لأعدائه.

واستعان بالتشبيه البليغ ثانيةً ثم بالصورة الحسية الحركية في قوله:

وساروعُ في الهيجاء ضيغمُ غابة يَقِدُّ الكِلى بالمرهفاتِ القواضبِ

ليصوّر شجاعة ساروع وفروسيته، وعبّر الشاعر عنها بلقطتين من زاويتي رؤية مختلفتين تمثّلت الأولى في: تصويره للمشهد بلقطةٍ عامةٍ صوّر من خلالها ساروعاً يخوض معركة مع أعدائه، ثم جاءت اللقطة الثانية أكثر تفصيلاً؛ لذا عبّر بصورةٍ جزئية، تمثّلت في قوله (يقدّ) بحيث سلّط الضوء على حركة يده وهي ترتفع بالسيف لتهوي على جسد عدوّه فتصيب منه مقتلاً حيث الكلى، وتضافرت اللقطتان معاً لإبراز شجاعته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستمدّ الشاعر طرفي صورته السابقة من عالمين مختلفين عالم الإنسان وعالم الحيوان، وذلك بتصويره ساروع بأسد يدافع عن عرينه، وترك المجال أمام القارئ ليربط بخياله بين الصورتين.

وأبانت الصورة الحسية الحركية العقلية عن مكانة مضر في قوله:

وفي مُضَرٍ يُستَجمَعُ الفخرُ كلّه إذا اعترفت يوماً زحوفُ المناقبِ

وذلك بتصويره المناقب بصورة كائنٍ حيٍ يعترف ويقرّ بفضل مضر، وبهذا يكون الشاعر أرانا كما يقول عبد القاهر: "الجماد حياً

ناطقاً، والأعجم فصيحاً والمعاني الخفية باديـة جليّـة"[1]؛ وذلـك بإضـفائه الحياة على المعنى المجـرد فـإذا هـو إنـسانٌ كامـل الخلـق لـه حركتـه وعواطفه[2].

وأضفت الصورة الحركية المتمثلة فـي كلمـة (زحـوف) حيويـةً علـى الصورة المشرقة التي رسمها له، بحيـث صـوّر المناقـب تزحـف وتتجمـع لتلتقي في مكانٍ واحدٍ حيث مـضر، وكأنـه بمنزلـة المـصب الـذي تتجمّـع فيه كلّ هـذه الزحـوف، وإذا كانـت كلمـة الزحـف وهـي مفـردة تـوحي بالكثرة والاكتظاظ، فإنّ الشاعر زاد دلالتها قوة وكثافـة بجمعهـا؛ كـلّ هـذا ليبرز قيمة مضر ومكانته في قومه.

وتضافر التجسيد والتشخيص معاً للتعبيـر عـن رفعـة نـسبه – عليـه السلام – في قوله:

ونَبتٌ بَنَته دوحةُ العـزِ وابتنـى معاقلَـه مـن مُـشمَخِرّ الأهاضـبِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهو أولاً جسّد العز بالدوحة[3] ثم شبّهه بكـائنٍ حـيٍ يـزرع، وبعـد أن جسّد نسبه – عليه السلام – بالدوحة، جسّده ثانيـةً بالبنـاء الحـصين العـالي، وصوّر العز يبنيه؛ لذلك جاء بناءً خاصاً لا يشبه أي بناءٍ آخر.

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر (٤٧١ هـ/ ١٠٧٨ م)، **كتاب أسرار البلاغة**، تحقيق هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف، اسطنبول، ١٩٥٤، ص ٤١.

(٢) أبو إصبع، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ص ٤٤، وينظـر الربـاعي، عبـد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط٢، المؤسسة العربية للدراسـات والنـشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢١١.

(٣) الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة، لسان العرب، مادة (دوح) وينظر **المعجم الوسيط**، مادة (داح).

وحفل بيته السابق بالألفاظ الدالّة على الرفعة والشموخ (العز – معاقل– مشمخر– الأهاضب) ليصوّر الرفعة تجتمع له من جهتين: الأولى من جهة الأرض حيث النبات ينمو ويرتفع، والثانية صورة البناء العالي فوق أعالي الهضاب فالتقى البناءان، فكان نسبه – عليه السلام – ومع أن كلمة الأهاضب توحي بالعلو والرفعة إلا أنه زادها رفعة بقوله مشمخر (الشديد الارتفاع) كما أن الدوحة توحي بالعلوّ وكذلك العز. وبما أن البناء يتطلّب جهداً ومشقّة؛ لذا اختار الألفاظ الدالّة على الصعوبة والمشقّة من مثل (المعقل – أهاضب – مشمخر).

ويمكن القول إنّ الصورة السابقة جاءت وليدة خيالٍ خصبٍ وإعمالٍ للفكر والعقل؛ فبمثل هذه الصور يستطيع الشعراء تجسيد الأمور المعنوية في صورةٍ مجسّمةٍ مرئيةٍ محسوسةٍ، ثم بإكسابها صفات الكائن الحي في قوته واقتداره[1]. وكأن الشاعر يطبّق مقولة أرسطو عن فضل المجاز وقيمته في العمل الفني، وأنه موطن البراعة والتميز؛ لأنه الشيء الذي لا نتلقاه عن الغير، ولا يمكن تعلمه؛ لذا فهو آية المواهب الطبيعية[2].

وختم الشاعر مجموعة الصور المفردة في أبياته السابقة التي صوّر من خلالها أصالة نسبه – عليه السلام – منذ آدم، ختمها بصورةٍ كليةٍ عمادها الصورة الحسية الضوئية الحركية في قوله:

---

(١) الرباعي، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ص ٢٠٩ و٢١٠ و٢١١.

(٢) أرسطو، **فن الشعر**، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقّق نصوصه: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ص٦٤.

وكلّهمُ من نورِ آدم اقتبسوا وعن عودهِ أجنوا ثمارَ المناقبِ

بتشبيهه آدم بالنور الذي استمد منه آل الرسول عليه السلام فضلهم واحداً واحداً بلا استثناء، بدليل قوله (كلهم) بالصيغة الدالّة على العموم والدالّة على التوكيد أيضاً.

وشبه آدم ثانيةً بالغصن المثمر الذي قطف منه آل الرسول – عليه السلام – مناقبهم، وترك للقارئ تخيل حركة الأيدي وهي تمتد لتجني الثمر من الشجر. واستعان بالضمير الدال على الجماعة في قوله (أجنوا) وبالجموع (ثمار المناقب) ليكني عن عظم تأثير آدم – عليه السلام – وفضله، فهو وإن كان فرداً واحداً إلا أن أثره عمّ البشرية بدليل أنه – عليه السلام – جاء خلاصة فضائل آبائه الذين استمدّوا من آدم عليه السلام.

وإذا كان الشاعر في بيته السابق قد ترك القارئ يستنتج غرضه استنتاجاً فإنه صرّح في البيت الآتي بغرضه:

وكان رسولُ اللهِ أكرمَ مُنخَبِ جرى في ظهورِ الطيبين المناخبِ

وأبان عن قصده بصورةٍ جليّة، فهو تدرج في ذكر مناقب نسب الرسول – عليه السلام– ليتوصل إلى النتيجة التي ذكرها في بيته السابق؛ لذا جاء عليه السلام أكرم مُنخَب[1]، كما أن صيغة التفضيل (أكرم) دلّت على أنه – عليه السلام – يتميّز على قومه، فهو وإن ورث عنهم صفاتهم إلا أنه فاقهم؛ لذا اختاره سبحانه وتعالى رسولاً ونبياً. وأبان إيجاز القصر

---

(١) المختار من كل شيء، **لسان العرب**، مادة (نخب) وينظر **المعجم الوسيط**، مادة (نخب).

(أكرم منخب) عن عظيم صفاته – عليه السلام – وحسن أخلاقه كما أن صيغة منتهى الجموع (مناخب) زادت الصورة إيضاحاً وتأثيراً.

ثم زاد الشاعر صورته السابقة تفصيلاً وتوكيداً عندما عبّر بالجملة الاسمية في قوله:

عقايلُه آباؤه أمّهاتُه مبرأةٌ من فاضحاتِ المثالبِ

ليدلل على رسوخ صفات الفضل والحسن في آله – عليه السلام – لذا جاء أفضل النسب؛ لأنه جمع بين صفات الفضل من جهتين جهة الأب والأم معاً كما قال ابن هشام "فرسول الله – عليه السلام – أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه"(١).

ولم يجد الشاعر أفضل من الصلاة والسلام على الرسول – عليه السلام– ليختم بها قصيدته في قوله:

عليه سلامُ اللهِ في كلِّ شارق ألاحَ لنا ضوءاً في كلِّ غاربِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لذا جاء الطباق (شارقٍ وغاربٍ) ليكني عن دوام الصلاة – عليه السلام – في اتساع المدى المكاني بين الشرق والغرب، وفي توالي الزمان كلما أشرق يوم وغربت شمسه. كما أن الشاعر آثر استخدام كلمة شارق بدلاً من مشرق؛ ليحقّق ما يريد من التوازن الموسيقي بين شارقٍ وغارب.

أما صيغة العموم (كل) فأظهرت حرص الناس على السلام والصلاة على الرسول – عليه السلام – تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فهو لا يريد أن يمر يومٌ دون السلام والصلاة عليه

---

(١) **السيرة النبوية**، ١ج، ص ١٠١.

السلام، كما أنه أضاف السلام إلى الله سبحانه وتعالى؛ لإدراكه أن البشر قد تفوتهم الصلاة والسلام على الرسول – عليه السلام – لأمر ما، أما الله سبحانه وتعالى فلا، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾.

وعبّر الشاعر بصيغة الغائب في قوله (عليه) من باب التعظيم للرسول – عليه السلام – فهو –وإن غاب جسداً– حاضرٌ فكراً وروحاً.

ويمكن وصف هذه القصيدة بذات البناء الدائري* لأن الشاعر بدأ قصيدته بتعظيمه – عليه السلام – وختمها بتعظيمه.

النتائج:

تميّزت هذه القصيدة بسيطرة عاطفة واحدة وإحساس واحد من أولها حتى نهايتها، وهذا أدّى إلى ترابطها وتماسكها؛ لذا يمكننا وصفها بأنها قصيدة الصورة الكلية المتكونة من مجموعة من الصور الجزئية التي تساوقت فيما بينها، وتلاحمت بحيث بثّت الوحدة والانسجام بين أبيات القصيدة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتضافرت الصور المبنية على الاستعارة؛ لما فيها من قدرةٍ على التجسيد والتشخيص، وإبراز المعنويات في صورٍ محسوسة تدرك بإحدى الحواس، مع الصور المبنية على التشبيهات بأنواعها المختلفة، ومع الصور الكنائية تضافرت كلها لتكوّن الصورة الكلية التي رغب الشاعر في التعبير عنها.

---

* يقوم البناء الدائري على بدء الشاعر نصه بموقف معين أو لحظة نفسية ثم العودة إليه ثانية ليختتم به، ولمزيد من التفاصيل ينظر: غنيم، كمال أحمد، **عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر**، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٢٩ – ٢٣٠.

وتآزرت الصور الحسية بأنواعها المختلفة (البصرية والسمعية والضوئية والحركية واللونية) لترسم صوراً دقيقةً ومعبّرةً عن رفعة نسبه عليه السلام.

واعتمد الشاعر في صوره على الثنائيات المتقابلة، وهذه الثنائيات كانت جزءاً لا يتجزّأ من المعنى، وتلاحمت هذه المتقابلات مع بقية الصور الجزئية؛ لإبراز معالم الصور الكلية التي رسمها الشاعر للرسول – عليه السلام – وصفاته ومناقبه ومعجزاته ونسبه.

ولم يغفل الشاعر عن توظيف الألفاظ الدالّة مستفيداً من إيحاء الكلمات ودلالاتها، ليساعد هذا في تمثل الصورة وإظهار المعنى.

وظفرنا ببعض الصور التي جاءت نتاج الخيال الخلاّق، القادر على اكتشاف العلاقات الكامنة بين الأشياء المتباعدة، وإضفاء الانسجام عليها بحيث خلقت عوالم جديدة من الإبداع.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتلفتنا قدرة الشاعر على توظيف ظاهرة جناس الاشتقاق في هذه الفترة المبكرة في تاريخ الأدب العربي (القرن الثالث الهجري) فهو حرص على اشتقاق من أسماء الأعلام الذين ذكرهم في قصيدته صفة مستوحاة من دلالة أسمائهم، كما في قوله (مرة – مريرة) و(كعب – علا كعبه) و(غالب – مغالب) و(مدركة –لم يدرك) و(إلياس – اليأس).....الخ.

المصادر والمراجع

- أبو إصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
- أبو تمام، حبيب بن أوس (٣٢١ هـ/ ٨٤٥ م) **ديوان أبي تمام**، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ط٥، دار المعارف، مصر.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م) **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤.
- **البداية والنهاية**، تحقيق: أحمد أبو ملجم وآخرين، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م) **السيرة النبوية**، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (٢٥٦ هـ/ ٨٧٥ م) **صحيح البخاري**، ضبطه ووضع فهارسه: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار التقوى للتراث، مصر، ٢٠٠١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- بكار، يوسف، "**قصيدة الناشئ الأكبر في مدح النبي ونسبه**"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العددان الثالث والرابع، سنة ١٩٧١.
- البطل، علي، **الصورة في الشعر العربي**، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، (٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م) **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، دار النصر للطباعة، ١٩٦٩.
- الجرجاني، عبد القاهر، (٤٧١ هـ/ ١٠٧٨ م) **كتاب أسرار البلاغة**، تحقيق: هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف، اسطنبول، ١٩٥٤.
- الحميري، إسماعيل بن محمد (١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م) **ديوانه**، ط١، دار صادر بيروت، ١٩٩٩.
- زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧.
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.
- شبيب، غازي، **فن المديح النبوي في العصر المملوكي**، ط١، المكتبة العصرية، ١٩٩٨.
- الصائغ، عبد الإله، **الصورة الفنية معياراً نقدياً**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧.
- طاليس، أرسطو، **فن الشعر**، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- عباس، إحسان، **فن الشعر**، ط٣، دار الثقافة، بيروت.
- عباس، فضل حسن، وسناء فضل عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، دار الفرقان، عمان، ١٩٩١.
- غنيم، كمال أحمد، **عنصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨.
- القط، عبد القادر، **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر**، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- محمد، السيد إبراهيم، **قصيدة "بانت سعاد"، لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، ط١، المكتب الإسلامي، مصر، ١٩٨٦.
- مكي، محمود علي، **المدائح النبوية**، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة في البحث الموسوم

بـ "سمات العطاء الأدبي والفكري في القرن الثامن الهجري"

عبد الرازق حويزي

يُعدُّ تراثنا العربيُّ أحدَ الأسسِ التي يلزمُ الالتفاتُ إليها، ووضعُها في الاعتبار ونحن نشيِّدُ صرحَ حضارتِنَا في العَصرِ الحديثِ، ففي هذا التراثِ فكرُ أجدادِنا، ونبضُ مشاعرهم، ورَصْدٌ لأحوالِهم السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والعلميَّةِ، فهو يمثِّلُ عصارةَ ما وَصلَ إليه السَّلفُ الصَّالحُ في شتَّى الأمور، وبه انطلقوا إلى إعلاءِ صَرْحِ الحضارةِ الإنسانيةِ، مما حدا بالمستشرقين إلى الالتفات إليه؛ ومن ثم أدركُوا قيمتَه الإنسانية، خصوصًا في العلومِ التطبيقية.

ومن هذه القيمةِ الكبيرةِ انطلقَ رهطٌ من هؤلاء المستشرقين إلى العنايةِ بهذا التراثِ، وتمثلتْ هذه العنايةُ في اقتناء مخطوطاته في مكتباتهم العامة، والقيام بدراسة وتحقيق بعضها، وعلى أثرهم انطلقَ الباحثون العربُ في انتهاجِ المنهج السديدِ في العنايةِ بتحقيق التراثِ العربيِّ، فوضع بعضهم بحوثًا في رسمِ منهجٍ لتحقيق المخطوطاتِ، منهم على سبيل المثال والاستدلالِ لا على سبيلِ الحصر: العلامة "صلاح الدين المنجد"، والمحقق "عبد السلام هارون"، والدكتور "رمضان عبد التواب"، وغيرهم من شوامخ المحققين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تمخضت السطور التالية عما ورد في البحث المنشور في العدد (٦٣) من هذه المجلة تحت عنوان: "سمات العطاء الأدبي والفكري في القرن الثامن الهجري" للأستاذ "هلال ناجي"، الذي أتي فيه على ذكر كتابين من تحقيقه، وهما كتاب "حدائق الأنوار وبدائع الأشعار لجنيد بن محمود"، المنشور في بيروت عام ١٩٩٤م، وكتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، "المنشور في بريطانيا عام ١٩٩٩م، وشاركه في تحقيقه الأستاذ "وليد بن أحمد"

– على ما ورد على صفحة غلافه – وقد قال الأستاذ "هلال ناجي" عن تجربته في تحقيق الكتاب الأول ص ١٩٨: "وقد أسعدني الحظ بتحقيق هذا الكتاب ونشره في بيروت سنة ١٩٩٥، بعد معاناة استمرت عشرين عاماً معتمدًا نسخة مخطوطة فريدة في الدنيا"، وقال عن تجربته في تحقيق الكتاب الثاني ص ٤٧: "لقد استَمَرَّ العملُ في هذا الكتابِ نحو عِقْدَينِ من السنين وفي فَتراتٍ مُتَقَطِّعَة".

وأود أن أقف عند قوله: "عشرين عامًا"، وقوله: "عقدين من السنين وفي فترات متقطعة"، إذ ربما تسري في نفس المرء خاطرة حول أثر تحقيق المخطوطة على فترات زمنية متقطعة من خلال ما نال هذين الكتابين من أغلاط تحقيقية من آثار توزيع التحقيق على هذه الفترات.

إذن فالحديثُ هنا سينصبُّ على خطورةِ تحقيقِ المخطوطة على فتراتٍ متقطعة، وأزمان متباعدة، قد ينشغل فيها المحقق بأعمال أخرى، وسيقتصر الحديث هنا على جانبٍ واحدٍ من الجوانبِ ذاتِ المخاطِرِ والمزالقِ المتَمَخِّضَةِ عن هذا الأمرِ، إذ لهذا التَّراخِي مزالق كثيرة، ترجعُ في أساسِهَا إلى أن المحقق بانصرافِه عن تحقيقِ المخطوطةِ إلى أشغال أخرى يَنْسَى – وهذا أمر واردٌ على ما جبلت عليه الطبيعة الإنسانية من النسيان– ما قالَه وما فَعَلَه في بدايةِ التَّحقيقِ، فيثبتُ آراءَ بعد ذلك ربَّما تَتَعَارضُ مع ما سبق أن قَالَه وما قَيَّدَه، هذه واحدةٌ، وأما الثانيةُ فتكْمُنُ في تَذَبْذُبِ المنهج الذي اتَّبَعَه في بداية العمل ومجافاته له بعد عَوْدَتِه إليه مرة ثانية في تحقيق المخطوطةِ نفسِها بعد الانصرافِ عنها حينًا من الدَّهْرِ، فهذا التوزيع جعل محقق هذين الكتابين يتصرَّف مع كل جُزْئِيَّةٍ من جزئياتِ المخطوطتين في التحقيقِ وكأنَّها تُمَثِّلُ نصًّا قائمًا برأسِه، لا عَلاقةَ لها بباقِي الجُزئيَّاتِ الأخرى السَّابقَةِ عليها، واللاحقَةِ لها في كل مخطوطة، فالمهمُّ إقامةُ النَّصِّ لُغويًّا وعَرُوضيًّا، إما عن طريقِ الاجتهادِ، وإما عن طَريقِ الاستنادِ إلى المصادرِ الأخرى.

إن هذا التراخي المتمثل في ترك العمل ردحًا من الدهر ثم العودة إليه من شأنه أن يجعلَ التحقيقَ العلميَّ غيرَ مترابطِ الأوْصَالِ، وما ذلك إلا لأنَّ المحققَ لا يَتَمَكَّنُ من السَّيطرةِ على مادةِ الكتابِ المحقَّقِ ليرْبطَ أولَهُ بأوسَطِهِ وبآخرِهِ، ولا يتمكن كذلك من ربط المقدّماتِ بالنتائجِ بدرجة كافية، ومن ثم يصعبُ عليه إماطةُ اللثامِ عن أوهام المؤلف، ليقفَ عليها القارئ والدارسُ.

أما الأمرُ الوحيدُ الذي سأقف أمامَه في تحقيقِ هذينِ الكتابينِ فيتمَثَّلُ في وقوعِ تَكْرَارِ النصوص وغيرها، هذه النصوص كانتْ تَستَأهلُ في التحقيق الإلماحَ إلى تَكرارِها حَتَّى يكونَ القارئُ على بَيِّنَةٍ من أمرِهِ، فَيَتَدَبَّرُ السِّرَّ في هذا التَّكرارِ، وأبعادَ أهمِّيتِهِ من عَدَمِهَا في التصنيف، ومن ثم يُدْرِكُ ضَعفَ التأليفِ من عَدَمِهِ، وبالطبع إذا تَسَاءَلنا عن السِّرِّ في غياب الإشارةِ إلى هذه التَّكْرَارات المتعدِّدةِ في تحقيق هذين الكتَابين فسنجد الإجابةَ كامنةً في توزيعِ المحقق عمله فيهما على فتراتٍ زَمَنِيَّةٍ مُتباعدةٍ، الأمرُ الذي أدَّى إلى تَصَرُّفِه مع كُلِّ مقطَّعةٍ شعرية – كما قلت – في كلِّ كتابٍ على أنَّهَا نصٌّ مُستقلٌّ بنفسِهِ، دونَ مُحاولةِ رَبْطِه بالمادَّةِ الكُلِّيَّةِ للكتابِ ذَاتِهِ، وكأن ليسَ ثَمَّةَ عَلاقةٌ بينه وبينَ باقي الكتابِ الذي ضَمَّه بينَ دَفَّتَيهِ.

وليس السكوت عن الإفصاح عن وُقوعِ تَكرارِ المقطَّعاتِ الشعريَّةِ في الكتابينِ إنَّما كان تَحْتَ إدراكٍ من المحقق له، وعدم اقتناعِهِ بعدمِ أهَمِّيةِ التنبيهِ عليه، إذ لو كان الأمرُ كذلك لما جاءتْ بعض النصوص المُكَرَّرَة في كُلِّ كتابٍ من الكتابينِ مُختلفَةً في القراءةِ والتَّحقيقِ في المرَّةِ الثانيةِ عنها في المرَّةِ الأُولى، ولَمَا جاءتْ تَخْريجاتُ بعض هذه النصوص في كُلِّ كتابٍ مختلفةً عندَ تَكْرارِها في المرَّةِ الثانيةِ في الكتابِ عينِهِ عن ذكرِها في المرة الأولى، وللكَشفِ عن هذه التكرارات يبدأُ كاتب هذه السطورِ.

أولاً: بكتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه":

قضيةُ تكرار النصوص في هذا الكتاب شائكةٌ، فقد وقفتُ أثناءَ تصفحي له على عدد من المقطعات الشعرية المكررة دون إشارةٍ المحقق إلى تَكرارِها، أو أخذِ موقفٍ حيالَه، ولا ريبَ أن هذا التَّكرارَ كان يفتقرُ في التحقيق إلى أخذ موقف تجاهه؛ لأنه ورد في الكتاب بصورة تسترعي الانتباه، ولا تُنكَرُ الإشارة إلى التَّكرارَ في موضعٍ وَاحدٍ في هامش ص٨٢، ففي هذه الصفحةِ شعرٌ تَمَّ تكرارُه مرتين أخريين في ص ١٣٧، وفي ص ٢٣٤، وأشير إلى هذا ، بيد أنه لا توجد إشارات إلى كثيرٍ من مواضعِ تَكرارِ النصوص في هذا الكتاب، ومن المؤكد أنه لو لم يُتَرَاخَ في التحقيق، أو لم يوزَّع على فترات زمنية متقطعة، ولو فُحصت نصوص الكتاب بعد الانتهاء من تحقيقه لأمكن اكتشاف هذا التكرارِ، ومن ثم الإفصاحِ عنه وعن صفحاتِه في مقدمة التحقيقِ أو في هوامشه، وقد تَجاوز الأمرُ تكرارَ النصوص إلى الاختلافِ في قِراءةِ بعضِها عند تكرارها، وكذا الاختلاف في تخريجها في الموضعين بصورةٍ تَختلفُ في كُلِّ مَوضعٍ عنه في الموضعِ الآخر، وحتى لا أطيل أثبتُ هنا بعضِ الأمثلةِ، منها نُتفةٌ شعريةٌ منسوبة "لقاضي القضاة نَجم الدين عبد الرحيم بن البارزي ت ٦٨٣هـ"، ذكرها "الصفدي" في ص ٨٧، ثم عاد وَكَرَّرَها في ص ٣٦٠، وردتْ هذه النُّتفة محققة في المرَّة الأولى ص ٨٧ هكذا:

يُقَطِّعُ بالسكينِ بطيخةً ضُحىً ... على طبقٍ في مَجْلِس(___) صاحِبُهْ
كشمسٍ ببرقٍ قَدْ شمسًا أهِلَّةً ... لَدَي هَالةٍ في الأفق (____) كَوَاكبُهْ

كذا وردت هذه النتفة في هذا الموضع دون تخريج، وعُلِّق في هامش التحقيق على ما بين الأقواسِ بأنها كلماتٌ غيرُ مَقرُوءةٍ، ثم عاد "الصفديُّ " وكَرَّرَ النتفة عينها بالنسبة ذاتها في ص ٣٦٠، ووردت في التحقيق هكذا:

يُقَطِّعُ بالسِّكينِ بطيخةً ضُحىً على طبق في مَجْلسٍ لانَ صَاحبُهْ
كشمسٍ ببَرقٍ قَدَّ بَدرًا أهِلَّـــةً لدى هَالةٍ في الأفْقِ شَتَّى كَواكبُـــهْ

كذا وردتِ النتفةُ هنا تامَّةً وواضحةً دون وجودِ كلماتٍ غيرِ مقروءةٍ! وعُلِّقَ عليها بالاستنادِ إلى كتاب نهايةِ الأرَبِ بالتخريج التالي: "له في نهاية الأرب ٣٥/١١ في الأصل بين كواكبه. والتصويب عن نهاية الأرب".

لا شكّ في أن الاختلاف واضح في القِراءةِ في كُلِّ مَرَّةٍ، وهو واضحٌ كذلك في التعليقِ والتخريجِ في الموضعينِ مع أن المادةَ العلميةَ واحدةٌ، وواردة في كتاب واحد لمؤلف واحد، ولا شك كذلك أن ترك عدم الإفادة من وضوح النص المكرر في إصلاح غموضه عند تكراره أمر واضح.

لقد كان من الممكنِ الاستفادةُ من الجهد المبذولِ في التخريج، أو وضوحُ النَّصِّ في المخطوطة نفسها في المرَّة الثانية عند إثباته في المرَّةِ الأولى لِسَدِّ ثلْماته، كان من الممكن ذلك لو جُعِلَ التَّحقيق مُتَّصِلاً، وليس على فَتراتٍ زَمنيَّةٍ مُتَقَطِّعَةٍ، أو حتَّى –على الأقل– لو أُخضِعَ الكتابُ بعد تحقيقِه وقبل نشرِه للمراجعةِ الدقيقة والقراءةِ الفَاحصةِ المتتابعة الشاملة لكل نصوصه.

ومن أمثلةِ وقوعِ التَّكرارِ مع الاختلافِ في القِراءةِ أيضًا في كُلِّ مَوضعٍ دونَ إشارةٍ إلى ما وَرَدَ في ص ٢٧٤، حيث أوْرَدَ "الصفدي" مُقطَّعَةً شعريَّةً في ثلاثة أبيات ناسبًا إيَّاهَا لنفسه، منها الأبياتُ التاليةُ:

ولربَّ روضٍ بُردُهُ من سندسٍ بطـــراز مـــاءِ غـــديرِهِ مفـــروزِ
يُسقى النديمُ به الكُميتَ علـــى بساط أخضر بالزهر مثـــل اللـــوز
والنَّبتُ يرقص في مُصبَّغِه فانْ تنظـــره لـــم تحـــفل بنقش التُّـــوز

وكرر "الصفدي" هذه الأبيات ضمن مقطعة في خمسة أبيات في ص ٤١٣، ولم يشر في التحقيق إلى هذا التكرار، زد على ذلك أنها وردت هكذا:

ولَرُبَّ روضٍ بُردُه من سـندسٍ بطـراز مـاء غـديره مفـروزِ
يُسقى النَّديمُ به الكميتَ على بسا ط أخضر بالزَّهر مثـل البـوز
والنبتُ يرقصُ في مُصبَّغِهِ فـإن تنظره لم تحـف بنـقش التُّـوز

لا شكَّ أن الاختلافَ في القراءةِ والرسمِ في الموضعينِ واضحٌ.

ومن الأمثلةِ على وُقوعِ التَّكرارِ في مادَّةِ الكتاب وعدمِ الإشـارةِ إليـه مـع الاختلافِ في التَّعليقِ ما وَرَدَ في ص ٣٦٣ منسوبًا إلى "ابـن وكيـع التِّنِّيـسيِّ ت ٣٩٣هـ"، وهو:

أما ترى النَّخلَ حُمِّلتْ بَلَحًـا جـاءَ بـشيرًا بدولـةِ الرُّطـبِ
مخازنٌ من زَبَرْجَدٍ خُرطتْ مُقَمَّعَـاتِ الـرءوسِ بـالـذَّهَـبِ

كذا وَرَدَ البيتانِ في هذه الصَّفْحَةِ بهذه الرواية، وتمَّ التَّعليـقُ عليهمـا فـي الهامشِ بما يلي: "ديوان ابن وكيع ٤٦. رواية صدر الأول: أطلعت بلحًا. رواية الثاني: مكاحل من زبرجد".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على حين يجدُ القارئُ البيتينِ مُكرَّرَينِ بلا نسبةٍ فـي ص ٣٦٢ –الـصفحة السابقة على هذه الصفحة – بالرِّوَايةِ التالية:

أما تَرَى النَّخلَ نثَّرَتْ بَلَحًـا جـاءَ بـشيرًا بدولـةِ الرُّطـبِ
مكاحلٌ من زَبَرْجَدٍ خُـرطتْ مُقَمَّعـاتِ الـرءوسِ بـالذَّهَـبِ

وَتَمَّ تخريجُهما على ديوان "ابن وكيع" دونَ تثبيت لرواية البيت الأول،أو إشارة إلى تكرار النتفة.

وهذا رصدٌ لبعض المقطَّعاتِ والنتف الشِّعْريَّةِ التي كُرِّرَتْ في كتابِ "الكَشفِ والتَّنبيهِ على الوَصفِ والتشبيه" دونَ وجودِ مَوْقفٍ ولو بالإشارةِ في هوامش التحقيق:

م	القافية	صفحات التكرار		الشاعر	ملاحظات
١	عنبر	٦١	١٨٦	ابن المعتز	
٢	كاليه	٦١	٣٢٦	" "	مع اختلاف التعليق
٣	مثقوب	٦٥	١٥٦	ابن طباطبا	
٤	بالعيد	٦٦	١٨٦	ابن المعتز	
٥	الرقيب	٦٦	١٥٦	ابن طباطبا	
٦	تبر	٧٣	١٩٨	الشريف العقيلي	مع اختلاف تثبيت الرواية
٧	نرجس	٧٣	١٥٨	ابن الحجاج	مع اختلاف التخريج
٨	مرهفا	٨٠	٢٤٣	ابن قلاقس	مع الاختلاف في تثبيت الرواية
٩	كالعنقود	٨٢	١٧٤	ابن المعتز	
١٠	التذهيب	٨٣	١٨٩	ابن طباطبا	مع اختلاف في القراءة والتعليق
١١	صاحبه	٨٧	٣٦٠	ابن البارزي	مع الاختلاف في القراءة والتعليق
١٢	المفرق	١٦٥	١٩١، ٢٠٢	ابن ظافر	كررت٣ مرات باختلاف التخريج
١٣	بنفسج	١٦٥	١٧١	أبوبكر الخالدي	
١٤	الصريح	١٧٣	٢١٠	الشوا	
١٥	متنفس	١٧٣	٢٠٦	الصفدي	
١٦	الظفر	١٨٧	٢٠٨	ابن المعتز	
١٧	أشمط	٢٢٨	٢٧٠	ابن الساعاتي	مع اختلاف التخريج
١٨	والمفارق	٢٣٢	٣٠٠	الشريف العقيلي	مع الاختلاف في تثبيت الرواية
١٩	الورق	٢٣٩	٤١٠	الشريف العقيلي	
٢٠	أذنابها	٢٥٩	٣٣٠	الصنوبري	
٢١	راض	٢٦٥	٣٠٤	بلا نسبة	مع الاختلاف في التخريج
٢٢	الخرد	٢٦٨	٣٣٦	ابن الساعاتي	
٢٣	مفروز	٢٧٤	٤١٣	الصفدي	مضى الحديث عنها
٢٤	قيد (ميد)	٢٩٥	٣٥٣	ابن وكيع	مع اختلاف التحقيق
٢٥	الرطب	٣٦٢	٣٦٣	ابن وكيع	مضى الحديث عنها
٢٦	أنيق	٣٧٠	٣٧٢	ابن رافع	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهناك بعضُ الأبياتِ يقف القارئُ على صُدورِها مكررةً أيضًا دونَ إشارةٍ إلى تَكرارِها، كما ورد في ص ١٦٠، ففيها صَدرُ بيتٍ تَمَّ تكرارُه في ص ١٧٦، وص ١٧٨.

وما دام كاتب هذه السطور بصَدَدِ الإشارةِ إلى التَّكرارِ الحَادثِ في هذا الكتاب فيجدُرُ به أن يُفصِحَ عن تَكرارِ صفحتينِ دُونَ داعٍ، هما ١٤٧، ٣٢٩ كُرِّرَتا في ص ١٤٨، ٣٣٩.

إن توزيعَ تحقيقِ المخطوطةِ على فَتَرَاتٍ زمنيةٍ متقطعة – كما فعل الأستاذ "هلال ناجي" – لا يُؤدِّي – فقط – إلى عَدمِ اكتشافِ ما تَمَّ تَكرارُه فيها من نصوص – كما رأينا – وإنَّما يؤدي إلى شيءٍ أخطر من هذا، ألا وهو تذبذبُ مَنهجِ التحقيقِ، ووقوعُ المحقِّقِ نفسِه – وليس المؤلف – في تكرارِ ما سَبَقَ أن ذَكره في صدرِ تحقيقِه، وتحقيق كتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه" خيرُ مثالٍ على هذا، فعندما ينظرُ القارئُ في هوامشِه نظرةً عابرةً يقفُ فيها على العَديدِ من التَّراجمِ لبعضِ الأعلام، وما إن يَصِلُ في تَصفُّحِه لهذا الكتاب إلى نهايتِه حتى يصادفَه في إكمال التحقيق ذيلٌ مستقِلٌ لتراجمِ معظمِ الأعلام المذكورة في المخطوطة، وعندما يبادرُ القارئُ إلى مطَابقةِ التراجمِ الواردةِ في هوامشِ تحقيقِ الكتاب على ما وردَ في هذا الذيل من تراجمَ يجدُ كثيرًا من التراجمِ تَمَّ تَكرارُها في الذَّيلِ مرَّةً ثانيةً، ولكن بشيءٍ من الإطنابِ والحشوِ ممَّا جعلَ هذه التراجمَ خارجةً عما استقرّ عليه الأمر في منهج تحقيق التراث، وعما يذهب إليه الأستاذ "هلال ناجي" في تمسّكه بضَرُورة الإيجازِ في الترجمة للأعلامِ في التحقيق العلمي، فقد وَردتْ في كتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه" ترجمةٌ لـ "علي بن الجهم ت٢٤٩هـ"، وهو من شعراء العصر العباسي المشهورين، احتلت ما يقرب من صفحتين ص ٤٦١– ٤٦٢، وكذلك وردت في ص ٤٣٩ ترجمةٌ موسعةٌ "للصاحب بن عباد ت ٣٨٥ هـ"، وهو أشهر من أن يُستطردَ في ترجمته، أما ترجمةُ الأستاذ "هلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناجي" للعالمِ الموسُوعيِّ "أبي عثمان الجاحظ "- وهو أشهر من نارٍ على علم - فقد استغرقتْ ما يَقربُ من صفحتين أيضًا ص٤٧١ - ٤٧٣، وجاءتْ على هذا النَّحو من الإسهابِ: "الجاحظ: (١٦٣ - ٢٥٥هـ) أبو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجَاحظ، مُعتزلي شيخُ الأدباء والمصنفينَ في زمنِه، وُلِدَ في البصرة، ومات فيها، قتلتْه أسفارٌ صخمةٌ (كذا والصواب ضخمة) تساقطتْ عليه، ضاعَ الكثيرُ من آثارِه، ووصلنا منها غيرُ قليلٍ، وقد نَهَدَ عبد السلام محمد هارون -رحمه الله- إلى نشرِ عَددٍ منها، حققه مدققه (كذا ولعل الصواب محققة مدققة) من بينها: الحيوان، والبيان والتبيين، ورسائل الجاحظ في أربعةِ أجزاء، والبرصان والعرجان والعميان والحولان.

ونشر صديقنا د . طه الحاجري - رحمه الله - كتابه "البخلاء"، ومجموعةً من رسائله، ونشرَ صديقُنا العلامة حسن حسني عبد الوهاب - رحمه الله- كتابَه "التبصرة بالتجارة"، ونشرَ يوشع فنكل ثلاثًا من رسائلِه هي: في الرَّدِّ على النَّصارى وفي ذمِّ أخلاق الكُتَّاب - كتاب الدواوين- وفي القِيان، ونشر حسن السَّندوبي عددًا من رسائلِه. وقد استطاعَ جليل إبراهيم في مقدمة نشرتِه لكتابِ الحنين إلى الأوطانِ أن ينفي بالدَّليلِ القَاطعِ نسبتَه إلى الجاحظِ، وأن يَرُدَّهُ إلى مؤلِّفه الحقيقيِّ محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي، وكان عبد السلام هارون قد نشره ضمن رسائل الجاحظ، كما نشر رسالة العُثمانية، وكذلك كتابه (التَّاج)، وأسهم داود الجلبي -رحمه الله- في نَشرِ بعضِ رسائلِه في مجلة (لغة العرب)، ومن الكتب التي نسبتْ إليه ولم ينشرْ حتى اليوم نشرةً علميَّةً كتابُ "المحاسن والأضداد"، طُبع طبعات تجارية. وذكر خير الدين الزركلي - رحمه الله- في الأعلام ٢٣٩/٥، مخطوطة للجاحظ، عنوانها "تنبيه الملوك"، قال: إنها في ٤٤٠ ورقة، ولم يذكر مظنة وجودها. ونشر صديقنا إبراهيم السامرائي رسالة الجاحظ في مدح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتب والحث على جمعها في مجلة المجمع العلمي العراقي، وكان أبو حيان قد صنَّفَ كتابًا عُنوانُه: (تقريظ الجاحظ)، وهو مفقود، ولِعَدَدٍ كبير من معاصرينا كتبٌ عن الجاحظ، ذكر بعضهم الزركلي، وأضيف الكتب التالية: كتاب لطه الحاجري، وآخر لمحمد عبد المنعم خفاجة، والثالث لنوري جعفر. وجمع شعر الجاحظ، ونشره د . محمد جبار المعيبد.

ترجمته في: إرشاد الأريب ٥٦/٦ – ٨٠، وتاريخ بغداد ٢١٢/١٢، وأمراء البيان ٣١١– ٤٨٧، والأعلام ٢٣٩/٥ – ٢٤٠" أ . هـ.

وهكذا ضمت الترجمة مؤلفات الجاحظ، وأعمال أصدقاء المحقق في هذه المؤلفات، وما كتبه بعض القدماء والمعاصرين من مؤلفات حول الجاحظ وأدبه، واستدراك المحقق على حصر بعض المعاصرين لمؤلفاته مما أدى إلى الإطناب فيها مخالفًا قواعد تحقيق التراث، وهذا الأمر ملموس أيضًا في ما خصصه الأستاذ "هلال ناجي" لتراجم الأعلام في نهاية تحقيقه لكتاب حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، ففي تراجمه إطناب ظاهر، وهذا أمر مؤكد، لأن العديد من تراجمه للأعلام في كتاب الكشف والتنبيه مكررة في حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، وهذا الإطناب جعل عمله في هذه التراجم مجانفًا لقواعد تحقيق التراث المجمع عليها من شيوخ المحققين[1]، هذا فضلاً عن ترجمته للمشاهير في تحقيقه لكتاب حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، مثل: ابن الجوزي ص ٤٠٣، والزمخشري ص٤٢٥– ٤٢٦، والقاضي التنوخي ص ٤١٥، وهؤلاء أعلام مشهورون لا يفتقرون لتراجم، وقد تناولتُ تراجم المحقق للأعلام في تحقيقه لهذا الكتاب في موضع آخر بشيء من التفصيل.

---

(١) ينظر تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ١٠٧ للصادق عبد الرحمن الغرياني، منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٩م.

وأعودُ إلى ما كنت بصدد الحديث عنه لأرصدَ بعضَ ما وقفتُ عليه من التراجم المكرَّرة في تحقيقِ كتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه"، وهي تفصح -دون شكّ- عن تذبذُبِ منهج التحقيقِ، من هذه التراجم:

م	العَلَم المترجَم له	تكرارُ التَّرجمة في	
		هامش الصفحة	ذيل الكتاب
١	ابن أبي عون	٥٢	٤٣٤
٢	الحاتمي	٥٢	٤٧٧
٣	الثعالبي	٥٢	٤٥٩
٤	الوطواط الكتبي	٥٣	٤٧٥
٥	ابن نفاذة	٦٧	٤٣٥
٦	ابن البواب	٦٧	٤٧٠
٧	العتبي	٦٨	٤٨٠
٨	ابن سعيد المغربي	٦٩	٤٦٩
٩	المطوعي	٨١	٤٧١
١٠	ابن قاضي ميلة	٨٤	٤٥٧
١١	القاضي علي الجرجاني	٨٥	٤٦٥
١٢	بدر الدين بن النحوية	١١٧	٤٨٦
١٣	المنازي	١٢٩	٤٣٧
١٤	الشهاب محمود	١٧٠	٤٨٧
١٥	ابن الطراوة	٣٠١	٤٤٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهذا التكرارُ الحاصلُ في تراجمِ هذه الأعلام ليسَ من عَمَلِ المؤلف، بل هو من صَميمِ التَّحقيقِ، ولا أرَى سَبَبًا في وُقوعِ تَكرارِ هذه التراجمِ سوى توزيعِ تحقيقِ المخطوطةِ على فتراتٍ زمنية متقطعة، وهو أمرٌ كفيلٌ بأن يُنسِيَ المرء ما نهض بتنفيذِه في بداية عملِه، أضف إلى ذلك ما تمثَّلَ في إفضَاءِ هذا الأمرِ إلى تذبذبِ منهجِ التحقيقِ في عملِ المحققِ، الذي اتضح من خلال تَكرارِ هذه التراجمِ.

ثانيًا: كتاب "حدائق الأنوار وبدائع الأشعار":

أما بالنسبة لإهمال الإشارة إلى تكرار النصوص في كتاب "حدائق الأنوار في بدائع الأشعار" فهو أمر ظاهر، وقد اكتشف المحقق بعضه كما في ص ٤٩، ٢٧٩، وفاته أكثره، فمما فاته المقطعات والنتف ذوات الأرقام التالية:

رقم المقطعة	رقم تكرارها
١٠	٢٢١
٢٦	١١١
١٦٧	١٩٠منها شطر مكرر
٣٢٣	٥١٧
٤٣١	٧٠١
٥٧٦	٥٧٩ منها شطر مكرر

ومن هذه المقطعات ما هو مكرر مع الاختلاف في القراءة والتخريج والعزو وتثبيت الروايات على الرغم من وقوع التكرار في كتاب واحد، وإتمام التحقيق على يد محقق واحد، غير أن توزيع المحقق عمله على فترات زمنية على مدار عشرين عامًا أظهرها وكأنها محققة على يد أكثر من محقق! وإن كان لا بد من دليل على تكرار بعض المقطعات والنتف الشعرية ذات الاختلاف في التخريج ، والعزو، والقراءة وتثبيت الروايات فأحيل القارئ الكريم على تحقيق النتفة رقم (٤٣١) الواردة في ص ٢٣٤، والمكررة دون إشارة برقم (٧٠١) في ص ٣٤٤، وقد تناولتُ في بحث آخر هذه النتفة من أوجه عدة مبينًا ما اشتملت عليه من أغلاط علمية، وأوضحت هناك أيضًا أثر كسر المحقق عمله على فترات متقطعة في عدم تمكينه من ربط المادة العلمية في الكتاب ببعضها، وضربتُ أمثلة بالمقطعات والنتف الواردة في الكتاب تحت الأرقام: (١١٢)، (١٩٨)، (٢٣٠)، ومن ثم لم أجد لدي رغبة في إعادة ما قلته هناك مكتفيًا بالإشارة إليه هنا.

إن وقوع التكرار في هذين الكتابين، وعدم إدراك المحقق له، وتركه للإفادة من تكراره في كل كتاب يعد خروجًا صريحًا على قواعد تحقيق التراث[1].

---

(١) ينظر منهج تحقيق المخطوطات ٥٦ إياد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

ومن هنا بات الأمر واضحًا أن من لوازمِ التحقيقِ العلميِّ للمخطوطاتِ لزومَ تحقيقِ المخطوطةِ دونَ تَرَاخٍ في فترة زمنية متَّصِلَةٍ قصيرة كانت أو طويلة، لا على فترات زمنية متقطعة حتى يكونَ المحقق مُسيطرًا على مادةِ المخطوطةِ، مستوعبًا لمحتواها، وعلى إدراكٍ تام بما سَبَقَ أن حققه في بدايتها من نصوص ليشيرَ إلى التكرارِ الواردِ بعد ذلك، إذ ربما يكونُ في تحقيقه لهذا التكرارِ ما يتناقضُ في مضمونِهِ مع ما سبق أن ذهب إليه من قبل، وإذا تعذَّرَ أمرُ تحقيقِ المخطوطةِ جملةً واحدةً ودون تراخٍ لأمر أو لآخر، فينبغي قراءتُها ومراجعتُها جملةً واحدةً بعد الانتهاءِ من التحقيقِ لاكتشافِ هذا الأمرِ أو غيره ممَّا ينبغي عدمُ فواتِه على المحققِ.

وليست إشارةُ المحققِ إلى التكرار – كما ذكرت آنفًا– الحاصل في نصوص المخطوطة من بابِ الفضولِ، إذ يُحتمل أنَّ مؤلِّفَها قصد هذا التكرارَ لجودةِ الأنموذج المكرَّرِ أو لرداءته، أو لمغْزًى نقديٍّ، أو لاشتمَاله على أكثر من معنى يخدمُ التأليفَ، أو لقلَّةِ المادةِ العلميةِ لديه في جانب من الجوانبِ، أو لحبّه لذكرِ صَاحبِ الأنموذج المكرَّر، أو لسَهوٍ في التأليف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن كشفَ المحقق عن التكرارِ الواقعِ من المؤلفِ أمرٌ يخدُمُ النَّصَّ والقارئ والباحثَ والمحققَ نفسَه، فلا يرهق نفسَه أولاً في قراءةِ المادةِ العلميةِ الواحدة مرتين، وقد يقرؤها في مرة قراءةً مختلفة عن المرة الأخرى – كما مرَّ بنا في صنيع الأستاذ هلال ناجي– وحتى لا يثبت لها تخريجًا وعزوًا مختلفين في كلِّ مرةٍ عن المرة الأخرى، فتبدُو وكأنَّها محققةٌ على يَدِّ شخصينِ مختلفينِ، وقد مضت أمثلة على هذا.

أظن أنه قد اتضح ما سعت هذه السطور إلى الحث عليه، والذي يتمثلُ في ضرورةِ البُعدِ عن توزيعِ العملِ في تحقيقِ المخطوطةِ على سنواتٍ مُتباعدةٍ، وفتراتٍ متقطعةٍ، والانصراف عن تحقيق المخطوطة لإنجازِ مؤلفاتٍ بجوارِ

تحقيقِها، ولكن إن أبى المحقق إلا تشتيت جهده وذهنه، وتوزيع تحقيق المخطوطة على فترات زمنية متقطعة فأظن أنه يلزمُه معاودة النَّظرِ المرَّة تلو المرَّة في تحقيقه للمخطوطةِ بعد إنجازِ تحقيقِها لحذفِ تكراراته، وأقوالِه التي يعارضُ بعضُها بعضًا، والإشارةِ إلى التكرارِ الحاصلِ في المخطوطة، وتوحيدِ مصادرِه، ومنهجِه في التحقيق، وتوحيدِ – كذلك– تخريجاتِه وهوامشِه ونسبة النصوص إلى أصحابها في ما تَكرَّرَ من نصوص الكتاب، وربطِ النتائجِ في مقدمتِه للمخطوطةِ بما يتَّسقُ ومحتواها، إنه لو فعلَ ذلك لظَهرَ تحقيقُه مُنقَّحًا، خاليًا من الزوائدِ والمتناقضات التي لا طائلَ تحتَها، وسيُعطِي ثمارَه – بعد ذلك– يانِعةً.

وإذا كانتْ السطور السابقة تَحثُّ على تركِ التراخِي، وضرورةِ التَّفرُّغِ للعملِ في تحقيقِ المخطوطةِ في وقتٍ مُتَّصلٍ دون أن تتخلَّلَ العملَ في التحقيق مشاريعُ علميةٌ أخرى، فليس معنى ذلك أنَّها تُحبِّذُ من جانبٍ آخر التسرعَ والعجلةَ في إنجاز التحقيقِ، فمعروفٌ أن العجلةَ أمُّ النَّدامةِ. هذا وباللهِ التوفيقُ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com